

رسالة العلم

إسلامية ثقافية شاملة



السنة السادسة - العدد الرابع والعشرون - شوال ١٤٣١ هـ - سبتمبر ٢٠١٠ م

٢٤

اقرأ في هذا العدد

- ♦ في رحاب الزيارة والحج .. في حوار مع العلامة إخوان
- ♦ مكانة الحج وفوائده في الإسلام
- ♦ الترخيص بالاتمام في الموضع الأربع
- ♦ تحقيق نسخ تفسير القمي ونسخ مختصراته
- ♦ رجال ابن فضال
- ♦ عروج روح ويتيم أمة

Resalat Alqalam



رسالة القلم

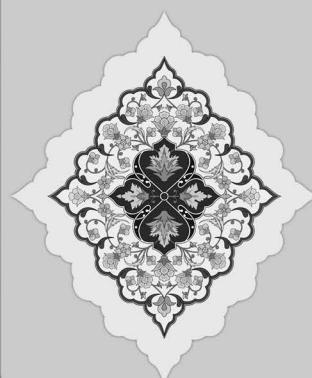
إسلامية ثقافية شاملة



فصلية تصدر عن
طلاب البحرين في الحوزة العلمية
بمدينة قم المقدسة

برعاية
مكتب البيان للمراجعات الدينية

- المشرف العام والمدير المسؤول:
عبد الله علي الدقاد
- رئيس التحرير:
عزيز حسن سلمان
- مدير التحرير:
عبد الرؤوف حسن الريبع
- رئيس هيئة التحرير:
خازبي عبد الحسن إبراهيم
- هيئة التحرير:
حسين علي أبو رويس
حسين فؤاد المرزوقي
محمد باقر خليل الشيخ
محمد علي خاتم





كلمة العدد

٣

رئيس التحرير =

حرب على الإسلام

٤

حوار مع سماحة العلامة الشيخ صادق اخوان (حفظه الله)

في رحاب الزيارة والحج

١٧

عزيز حسن الخضران

مكانة الحج وفوائده في الإسلام

٢٨

علي فاضل الصددي

الترخيص بالإتمام في الموضع الأربع

بحوث ومقالات أخرى

٤٨

غازي عبد الحسن السماني

الراسخون في العلم

٦٢

علي أحمد الكربابادي

صلة ذرية الرسول ﷺ

٧٩

أحمد إبراهيم نوار

إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

٩٢

قصي الشيخ علي العربي

أميرنا ﷺ (القسم الثاني)

١٠٨

محمد علي العربي

تحقيق نسخ تفسير القمي ونسخ مختصراته

١٣٧

حسين فؤاد المرزوق

رجال ابن فضال

١٧٨

سعيد جعفر حماد

حجية الظواهر عند صاحب الحدائق

٢٠٦

محمد صالح رضي

عروج روح ويتم أمة

حرب على الإسلام

بسم الله الرحمن الرحيم. اللهم صل على محمد وآل محمد.
حرب شعواء على الإسلام وال المسلمين. تشنّها جهاتٌ مختلفةٌ
في هذا العالم. فالدولُ الغربيةُ لمْ تزلْ ولا تزالْ تسقى (فاسلة)
لتشويه الإسلام وإبعاد المسلمين عنه. وهذا ليس غريباً ولا أمراً
جديداً. كيف وحكمُ المسلمين الذين تسلّطوا على رقابِ الناسِ
بالجحود والظلم. لم يجدوا سبيلاً للحفاظِ على عروشِهم المصطنعة.
وبقاءِ كراساتهم المزيفة. إلا من خلال محايرِ الإسلام؛ لعلّهم بأنَّ
الإسلامُ الحقيقي يدعو أهله ومحنته لرفضِ كلِّ ظلمٍ وجورٍ
وفسادٍ وأخراجٍ. ويدعوهم لنشر العدل والصلاح. وختّهم على
الوحدةِ والتآخي. ويفرضُ عليهم التكاففَ والتعاونَ على البرِّ
والتفوى. ويوجبُ عليهم طاعةَ العلماءِ الأتقياءِ بعد طاعةِ اللهِ
ورسولِه عليهما السلام والأئمةُ عليهم السلام. ويحرمُ عليهم طاعةَ الحكامِ الظالمين
وابنائهم. وكلُّ هذا ليس في صلاحِ أولئك السلاطين. وهذا ما
يوجبُ على المؤمنين الحذر الشديد من كيدِ الأعداء. وعدمِ الوقوع في
الفتنَةِ التي إذا وقعت لا سمح الله - فإنها ستؤدي إلى ضياعِ
المؤمنين وضعفهم ووهنهم.
ندعوا الله تعالى أن يجمع كلمة المؤمنين على التقوى. وأنْ
يعجل في فرج مولانا الحجّة بن الحسن عليه السلام لرفع هذه الغمة عن هذه
الأمة.

رئيس التحرير

في رحاب الزيارة والحج

حوار مع سماحة العلامة

الشيخ صادق إخوان (احفظه الله)

حاوره: عزيز حسن الخضران

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد وآل محمد.

❖ ما هو تاريخ الحج في الأديان السابقة؟ وهل كان قبل النبي

إبراهيم عليه السلام وجود لبيت الحرام أم لا؟

□ من الواضح أن التكمل عن تاريخ يعود إلىآلاف بل ربما عشراتآلاف السنين -مع إعواز كثير من المصادر من جهة، وتدنيس أيدي التحريف والتداليس المتبقى منها من جهة أخرى- ليس سهلا، ولكن القرآن الكريم وبعض الروايات الواردة من رسول الله وعترته الطاهرة عليهم السلام تعيننا ولو على سبيل الظن في هذا المجال كرواية أبي إبراهيم عبد الرحمن بن كثير الهاشمي في حج أبينا آدم، وأن آدم قد جاء البيت ألف أتية؛ سبعمائة حجة وثلاثمائة عمرة، كلها وهو ماش على قدميه، وقد عقد ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني من مفاخر رواة محدثي القرن الثالث الهجري باباً في كتابه الكافي تحت عنوان (باب حج الأنبياء)، فهناك يذكر تحقق الحج في زمن نوح بطوافه وسعيه، بل حتى في رواية مع طواف النساء، أو أن موسى بن عمران عليه السلام حج البيت الحرام ومعه سبعوننبياً منبني إسرائيل قائلا: ليك عبدك وابن عبدك، وفي رواية أخرى أن موسى أحرم من رملة

قائلاً: ليك يا كريم ليك، ومر يونس بن متى وهو يقول: ليك كشاف الكرب العظام ليك، ومر عيسى بن مريم وهو يقول: ليك عبدك وابن أمتك ليك، وأن داود صعد الجبل في عرفة، ودعا في الناس، وأن سليمان بن داود حج البيت في الجن والإنس والطير والرياح، وكسا البيت، وعن الإمام باقر علم الأنبياء محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام: «صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ الْخَيْفِ مِنْ سَبْعَةِ نَبِيٍّ، وَأَنَّ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ وَالْمَقَامَ لَمْشُوْنَ مِنْ قُبُورِ الْأَنْبِيَاءِ». وقد ورد أن تحت الميزاب مصلى شبر وشبير ابني هارون.

ولكن الملحوظ أن الحج لم يكن كما هو عليه اليوم، بل حتى ما كان عليه العرب قبل الإسلام، فهو متفاوت من زمان إلى زمان من حيث الشكل؛ كما في قصة نوح يذكر الطواف بالسفينة، وكذلك الأشخاص فمثل موسى حج بالأنبياء، وداود وسليمان بالناس، فالمتيقن أن هذه البقعة المباركة كانت محطة التفات خاص من قبل جميع الأنبياء من سبق سيدنا إبراهيم عليهما السلام، أو من تبعه، ولم ينزل أي مكان سواه هذه المرتبة السامية. وقد ذكرها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليهما السلام في خطبة القاعدة مشيرا إلى حج الأنبياء:

«وفرض عليكم حج بيته الحرام الذي جعله قبلة للأئم يردونه ورود الأئم، ويأهلون إليه ولوه الحمام^(١)، جعله سبحانه علامه لتواضعهم لعظمته، وإذعنهم لعزته. واختار من خلقه سماعا أجابوا إليه دعوته. وصدقوا كلمته. ووقفوا موقفا أنبيائه. وتشبهوا بملائكته. المطيفين بعرشه يحرزون الأرباح في متجر عبادته. ويتباررون عند موعد مغفرته. جعله سبحانه وتعالى للإسلام علماء، والعائذين حرما. فرض حجه وأوجب حقه وكتب عليكم وقادته^(٢)، فقال سبحانه: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وأما بناء على أن إبراهيم هو الذي بني البيت فأي شيء كان يحج قبله، فهو أقوال منها: أن موضع البيت كان يحج ويطاف حوله ومعلوم لدى الأنبياء.

ومنها أن البيت قواuded كانت موجودة على عهد آدم وإنما إبراهيم وإسماعيل رفعوا القواuded من البيت كما يشير إليه القرآن الكريم ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلَ مِنَاهُ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٤)، و﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمِ مَكَانَ الْبَيْتِ﴾^(٥).

❖ كثير من مناسك الحج إن لم يكن كلها، مأخوذة من أفعال صدرت من النبي إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل أو زوجته هاجر عليهما السلام، فما هو سر ذلك، وما هو ربطه بالحج كعبادة؟

□ إن إبراهيم عليه السلام أصبح مثلاً دينياً وتأريخياً وإنسانياً للديانات التوحيدية وإن كان جميع الأنبياء قبله موحدين داعين إلى عبادة الله وتوحيده، وإنما نال إبراهيم هذا المقام لخصوصيات وميزات تجسدت في شخصيته وعصره وموافقه منها خروجه وتردد على أعراف بيته وقومه بصورة صريحة من دون خوف ولا تقية، قال الله الحكيم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلٍ وَكُنَّا بِهِ عَالَمِينَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ * قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالُوا أَجِئْنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ مِنَ الْلَّاعِبِينَ * قَالَ بَلْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَى ذَلِكُمْ مِّنَ الشَّاهِدِينَ * وَتَالَّهُ لِأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ ثُوُلُوا مُذْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَادًا إِلَّا كَيْرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِالْهَنَاءِ إِنَّهُ لِمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتَّى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾^(٦).

ومنها إخلاصه واستقامته وعمق إيمانه رشحه منزلة وهبة الله تعالى إليها، مثل منصب الإمامة وعنوان الأمة ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لَا يَعْمَهُ اجْتِبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِمِنَ الصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ

إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧﴾

ثم ان سيدنا إبراهيم صلوات الله عليه هو الذي أظهر بناء الكعبة وعرفها لعامة الناس فلا بد أن يسن لهم حرمتها وأحكامها ومناسكها. فالحاصل أن

إبراهيم عليه السلام قد عرف بأنه رمز ومثال:

أ. العزوف والتجافي عن كل ما يكون بعيداً عن التوحيد الإلهي.

ب. مبالغة الطغاة وكسر هيمنة وإعتبار اصنامهم.

ج. البرهان والاستدلال القاطع والقائم من دون أي خشية ولا تردد أمام المدارس الملحدة والظالمة.

د. التضحية والفداء لأغلى وأنفس الأشياء ولو كان ابنه النبي إسماعيل امثلاً لأمر السماء.

فر بما في كل هذا إشارات واضحة لكل حاج بأن مناسك الحج جامعة لجميع هذه الجهات اعتقاداً وإيماناً وسلوكاً وجهاداً وتضحية وفداء.

وإحدى مظاهر إمامته العامة التي منحها الله إياه بعد ما ابتلاه بالاختبارات الصعبة جعله الله وقومه أسوة للمؤمنين ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَعْضَاءُ أَبْدَأَ حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لَأَبِيهِ لَا تَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلَكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنْبَنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾^(٨).

❖ لماذا كانت قريش وأهل مكة يحترمون البيت الحرام ويقدسونه مع أنهم مشركون يعبدون الأصنام؟

□ من الطبيعي أن البيت الحرام المقدس أصبح رمزاً تاريخياً لهم يفتخرن به على غيرهم، وهذه الماخورة قد استمرت إلى ما بعد الإسلام، فمثل الفرزدق

القرشي يفتخر على جرير بالكعبة قائلًا:

إن الذي سك السماء بني لنا بيتا دعائمه أعز وأقوم

وقد جعلوا أصنامهم داخله وفوقه، وما من موضع في المسجد الحرام
وملحقاته كالصفا والمروة إلا زرعوا فيه ما يرتبط بأصنامهم من الأوثان
والأنصاب والأزلام وغيرها من الأرجاس. ومع كل هذا إنما كانت العرب في
الجاهلية مشركة تؤمن بالله، مشركة به ومنكرة المعاد لا أنهم ملحدة منكريين
لأصل وجود الله بِجَاهَةِ فَقَارَ.

هذه من ناحية ومن ناحية ثانية توجه العرب إلى مكة كان يدر لسكان مكة
وبالأخص الآثرياء والتجار منهم الربح الكثير، فمصالحهم المادية من جانب
والاحتفاظ بحق الأسبقية من حيث السلطة السياسية والمركزية الاجتماعية
لقرىش باعتبار أنهم سدنة الكعبة من جانب آخر. والقرآن الكريم يشير إلى هذه
الظاهرة رافضا العادات والموازين المتحكمة في الجاهلية بقوله عز من قائل: ﴿مَا
كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمِرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَى أَنفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ أُولَئِكَ
حَبَطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ * إِنَّمَا يَعْمِرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ أَمَنَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهُ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ
يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ * أَجَعَلْنَا سِقَايَةَ الْحَاجِ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامَ كَمَنْ أَمَنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ
أَعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ * يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرَضْوَانٍ
وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ * خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾^(٩).

❖ ما هي أسرار الحج، وما الذي يميز الحج عن غيره من العبادات

الأخرى؟ وهل هناك روايات تشير إلى ذلك؟

□ إضافة إلى ما أشرنا يمكن ذكر المميزات التالية:

١- محورية الحج والكعبة للعبادة العالمية من غير فرق بين شرائح وطبقات البشر، قال المولى الحكيم: ﴿إِنَّ أُولَئِيْتُ وُضُعَ لِلنَّاسِ لِلَّذِي بِيَكَةَ مُبَارِكًا وَهَدَى لِلْعَالَمِينَ﴾^(١٠)، ﴿وَأَذْنَ فِي النَّاسِ بِالْحَجَّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾^(١١)، ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَنَّا ... وَعَهَدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهَّرَا بَيْتِيَ لِلطَّافِقِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرَّكْعَ السُّجُودَ﴾^(١٢). ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سَوَاءَ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾^(١٣)، فالملاحظ في هذه الآيات الخمس وغيرها من الآيات والأخبار ثلاثة أمور:

أ- أن المجعلول لهم والمقصودين عامة الناس.

ب- أن البيت يؤدي إلى البركة والأمان، وبالنهاية إلى هداية الناس (العالمين).

ج- أن المقصودين لم يكونوا عامة الناس بعد نزول القرآن الكريم، بل حتى من سبقهم لأن الخطاب لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام.

٢- الحج سبب لنھوض الأمة لأجل حمو الأمية والجهالة والوقوف أمام المظاهر الشيطانية وإعلان البرائة منها كما فعل إبراهيم عليهما السلام وقومه. فنحن إذا تلونا القرآن الكريم نلاحظ أن الله تعالى جعل غاية إرسال الرسل وإنزال الكتب والقوانين قيام الناس بالقسط، ﴿وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾^(١٤)، وكذلك جعل الله الغاية من الكعبة القيام قائلًا عز من قائل: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ﴾^(١٥)، وهذا القيام لم يكن إلا بإحياء السنة الواجبة المفروضة على جميع الرجال والنساء والكبار والصغار وهي فريضة الأمر

بالمعرفة والنهي عن المنكر، الذي بإحيائه نحمي الإسلام من المخاطر وقد قال الإمام جعفر بن محمد الصادق علیه السلام: «لا يزال الدين قائما ما قامت الكعبة»^(١)

٣- بالحج تنار للمؤمنين مصابيح ربما لم يحصل عليهما المؤمن في غيرها، ولا يبعد أن يشير إلى هذا السر قوله تعالى: «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ»^(٢)، والإمام الصادق علیه السلام يفسر قوله تعالى: «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا»^(٣)، بأنه «ذلك الذي يسوف نفسه الحج، يعني حجة الإسلام حتى يأتيه الموت»^(٤)، وكذلك يروي معاوية بن عمار عن الإمام الصادق حول غنى ثري قد استطاع للحج ولم يؤده فالإمام الصادق علیه السلام يقول: «فَهُوَ مَنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى»^(٥)، أعماء الله عن طريق الحق»^(٦).

٤- فباعتبار أن الحج دعوة من الله إلى زيارة بيته فلا بد للإنسان أن يتحلى بما يرضيه ويستحلله صاحب البيت، ويتجانس مع أجواء الدعوة الزيارة الداعي والمزور علیه السلام، والوقوف في منازل العبودية والطاعة، والتخلص من أوساخ الشهوات والمادة، ويقف على مرتبة «إِنَّمَا يَتَّقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»^(٧)، فيسعى قبل الحج مقدمة لتوفير هذه الشروط وفي الحج عزما على إيقائها واستدامتها.

٥- السير إلى الله: فهذا كل الأسرار مختبية فيه، فلا بد أن يعلم كل إنسان إننا لله وإننا إليه راجعون، وما من شيء إلا بأمره وإذنه، وأن مقاليد كل شيء بيده، وهذا الخلق إنما خلق للعبادة التي مظهرها المعرفة وباطنها الصعود والترقي والاستكمال، «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ»، وهذا السير والمسير والسائل له شروطه وشروطه الخاصة التي لا بد للعبد في مدرسة العبادة والطاعة والعرفان أن يستحصلها بحسب قابليته وقدرته الامكانية.

وأما الروايات فكثيرة منها ما ذكرناها من خطبة القاصدة في نهج البلاغة، ومنها ما يرويه محمد بن علي بن بابويه الصدوق في أماليه: ابن مسرون، عن ابن

عامر، عن عمه، عن محمد بن زياد، عن الفضل بن يونس قال: أتى ابن أبي العوجاء الصادق عليه السلام فجلس إليه في جماعة من نظرائه، ثم قال: له يا أبا عبد الله إن المجالس أمانات، ولا بد لكل من كان به سعال أن يسعف فتأذن لي في الكلام؟ فقال الصادق عليه السلام: تكلم بما شئت، فقال ابن أبي العوجاء: إلى كم تدوسون هذا البيدر، وتلوذون بهذا الحجر، وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر، وتهرون حوله هرولة البعير إذا نفر، من فكر في هذا أو قدر، علم أن هذا فعل أنسه غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فإنك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أسه ونظامه؟ فقال الصادق عليه السلام: «إن من أضل الله وأعمى قلبه استوخم الحق فلم يستعذبه، وصار الشيطان وليه، يورده مناهم الهملة ثم لا يصدره، وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في إتيانه، فتحثهم على تعظيمه وزيارةه، وقد جعله محل الأنبياء وقبلة للمصلين له، فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال ومجتمع العظمة والجلال، خلقه الله قبل دحو الأرض بألفي عام، وأحق من أطيع فيما أمر، وانتهي عما نهى عنه وزجر، الله المنشئ للأرواح والصور»^(٢٣).

❖ ماذا يجب على الحاج أن يفعله قبل وأثناء الحج، حتى يستفيد من هذه السفرة العبادية؟

□ يجب على الذي يريد أن يسافر للحج أن يعد نفسه إعداداً روحياً بأنه قد دعي من قبل الله ورسوله لجهاد هو أعظم من قتال أشجع الشجعان، وأقوى الترسانات، إنما هو جهاد أعدى الأعداء أي النفس «أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك»^(٢٤)، وهذا هو الجهاد الأكبر، فأنت أيها الحاج مهاجر إلى الله ورسوله، «وَمَنْ يَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ»^(٢٥)، فلنصفي جميع ديوننا، أولاً ديوننا لأنفسنا لأننا بأعمالنا السيئة قد احتطينا لأنفسنا حطباً وهبباً، «قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ

وَالْحِجَارَةِ^(٢٦)، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه، ثم حقوق الناس ممن أساء إليهم، أو لا سمح الله اغتصب حقوقهم، أو أكل تراثهم، أو سبب عروض خسارة أو مضره لهم، وثم العهد والميثاق الوثيق مع الله تعالى بأن يكون إنساناً متفاوتها نوعاً من يرتضيه الله لوفادته.

❖ كيف يمكن للحج أن يحافظ على ما استفاده من الحج بعد رجوعه إلى بلده، خصوصاً أنه قد لا يوفق للحج مرة أخرى؟

□ أنا أكتفي بهذه الجملة: أيها الحاج عند إكمال مناسكك كما ورد في الحديث الشريف ستكون كمن ولدتك أمك، فكم ساعة أو يوم أو إسبوع وشهر وسنة تتمكن أن تحفظ على هذا العطاء والنتائج، وإلا نستجير بالله ستكون أعمالنا كسراب بقيعة نحسبها ماء ونكون من مصاديق ﴿قُلْ هَلْ نُنَيْكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا * الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيهِمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾^(٢٧). إذن فرضنا أن نحاول المحافظة والحماية عن هذا العطاء والناتج.

❖ في المستدرك، عن فقه الرضا عليه السلام عن النبي صلوات الله عليه وآله: «ومن حج ولم يزرنـي فقد جفاني»، لماذا هذا الربط بين تمامية الحج وزيارة النبي صلوات الله عليه وآله؟ وكذلك زيارة قبور أئمة البقيع عليهم السلام، ولماذا إصرار المسؤولين في مقبرة البقيع على إبعاد الناس عن زيارتهم ومعرفتهم؟

□ حيث إن دين الله لم يعرف إلا برسول الله صلوات الله عليه وآله، ولو لا تفسيره للقرآن الكريم وحديثه وسنته وما ورثته من التراث العلمي الغني لأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين لما كان للدين أي مصداقية، وهذا عائلاً أمرنا بتوقيره وجعل تبعيته سبباً لجلب محبته عائلاً: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَأَتَيْعُونِي

يُحِبُّكُمُ اللَّهُ^(٢٨)، وجعل دعوته سبباً لحياة الروح والأمة: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِرَسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحِبِّيْكُمْ﴾**^(٢٩)، وقد قرن الله طاعته بطاعته **﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْفَقُوكُمْ﴾**^(٣٠).

ومن أهم الأسرار في زيارة المدينة المنورة استحضار واستعراض الأحداث التي اتفقت مع ميلاد أول دولة إيمانية في الجزيرة العربية للتعلم والاعتبار، فإنها هي رحلة مدرسية، فالحج رحلة معرفية إيمانية تعليمية في كل أجزائها الواجبة والمستحبة.

وكذلك للمؤمن في المدينة المنورة بصمات جميع البطولات التي قام بها أبطال الأمة وروادها من الصحابة والتابعين، أولئك المدافعين عن القيم الإيمانية، ولم تأخذهم في الله لومة لائم، الذين بذلوا الغالي والنفيس لكي يصل هذا الدين إلينا. جميع المعالم والمشاعر في مكة والمدينة من البيت والخطيم ومنى وعرفات والشعر الحرام والصفا والمروة وجميع أزقة المدينة ومسجدها وبقيعها، واحدها يحيي الجهود الجبارية والمظلومية التي لا مثيل لها التي تحملها أهل بيت النبي ﷺ. الثقل الأصغر الموعظ القرآن الجسم، فإبعاد الأمة بشتي الوسائل عن هذه المعالم لم يخدم إلا أعداء الأمة، ولا يجعل للأمة إلا الازدياد من الخسران والوبال، فنسأل الله العلي القدير أن يجعلنا من ثبتنا الله بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، وألا يجعلنا من بدلوا نعمة الله وأحلوا قومهم دار البوار.

❖ في الآونة الأخيرة (في بعض البلدان) كثرت زيارة النبي ﷺ من دون الذهاب إلى مكة المكرمة للاعتمار رغم عدم صعوبة الجمع بين الاعتمار وزيارة النبي ﷺ، ما هو رأيكم في ذلك؟

□ يقيناً ترك الاعتمار مع القدرة عليه، ومآلـه من الفضل العظيم، وهذا هو الجفاء الأكبر أن يصل إلى المدينة ويحرم نفسه من الكعبة وطواها وتلك الآيات

البيئة حولها، والأمن والإيمان المحاصل بدخولها.

❖ كثيراً ما يحصل تعارك بين أتباع أهل البيت عليه السلام، وبين الموظفين في الحرمين الشريفين، وقد تؤدي إلى السجن وما شابه، فما هي نصيحتكم لأنصار أهل البيت عليه السلام لتجنب ذلك؟

□ أهم سدّ أمام المخططات الصهيونية اليوم هي حفظ وحدة المسلمين، وأنا أؤمن من صميم نفسي أنّ أغلب المحاولات التي تصدر من الفريقين لشق الوحدة وإحداث الفرقة والتقابل إنما يخدم أولاً وبالذات أعداء الله ورسوله وأهل البيت عليه السلام، وقد ثبتت أمارات بينة الأيدي الخبيثة الاستعمارية لشق وحدة المسلمين.

فكيف والحج لأجل الوحدة، ونحن نساهم في شقها، وكسر دعائهما، والمواجهة مع مشرعها، هؤلاء أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم ينادون إلى مستوى "أن الصلاة خلفهم كالصلاة خلف رسول الله عليه السلام"، ومراجعتنا حفظهم الله يحثوننا على ذلك، وإذا بالشيطان يستغل جهلنا وعواطفنا فيجندنا لنفسه، أعادنا الله والأمة الإسلامية من الشيطان الرجيم.

❖ هناك إصرار من قبل أتباع أهل البيت عليه السلام على إحياء مراسم يوم البراءة من المشركين، لماذا ذلك؟

□ إنما حجنا حج إبراهيمي ومحمي، وشعار سيدنا إبراهيم ورسول الله صلوات الله عليهما وآلهما كان (الله أكبر)، أي أنه أكبر من كل قوة، ومن كل هيمنة وسلطة، وإيانا منا بأن الدين الإسلامي كما وعدنا ربنا ليظهره على الدين كله^(٣) له الظهور الاعتقادي والثقافي والعلمي والسياسي والاقتصادي والعسكري على جميع التيارات والأحزاب والفئات والأجندة.

فمناسك الحج أكبر مؤتمر عالي شعبي إيماني يحضره الملايين من شتى أنحاء المعمورة ليشهدوا منافع هم، وأي منفعة وفائدة تعود للمسلمين أعظم من استرجاع عزهم وسلطة دينهم، والوصول إلى المفاخر والمقامات العليا التي جعلها الله لعباده، وهذا لا يمكن الوصول إليه إلا برفع الصوت بإعلان البرائة من جميع القوى الشيطانية المساعدة في تحريض المسلمين ومسخهم الثقافي، وتفسيق شبابهم وفتياتهم، ونهب ثرواتهم، وكسر عزتهم، واحتلال بلدانهم، وقتل وسجن وتعذيب وتشريد أبناءهم.

فنحن نعلم أن كلمة التوحيد تبدأ بالبرائة (لا إله) وهي الأساس والداعمة التي بها تبني مصداقية الأمة، وأنا أعجب من عجز دولنا مع ما تمتلك من ثروات هائلة، ونسبة سكانية كثيرة كفؤة قوية، ومع ما لها من ادعاءات، لم تتمكن إلى الآن من استرجاع شبر من أرض الإسلام المحتل فلسطين المسلمة، ولا أنسى الكلمة الخالدة لفخر الأمة الإسلامية ورمزاً لها أمامها الإمام الخميني الكبير: "لو أن كل مسلم صب في إسرائيل كففة ماء لفرقت"، فلماذا يعنون من أن يبدوا موافقهم الشريفة، فالمسلمون اليوم محرومون من المقابلة والمواجهة العملية واللسانية تجاه أعدائها لاسترجاع كرامتها وعزتها وإلى الله المشتكى، وإنما الله وإليه راجعون.

المواهش:

- (١) أي يفزعون إليه ويلوذون به ويعكفون عليه.
- (٢) الوفادة: الزيارة.
- (٣) نهج البلاغة، شرح عبده، ج ١، ص ٢٧.
- (٤) البقرة . ١٢٧
- (٥) الحج . ٢٦
- (٦) الأنبياء ٥١ - ٦٠

- (٧) النحل .١٢٠ - ١٢٤.
- (٨) المتحنة .٤.
- (٩) التوبية .٢٢ - ١٧.
- (١٠) آل عمران .٩٦.
- (١١) الحج .٢٧.
- (١٢) البقرة .١٢٥.
- (١٣) الحج .٢٥.
- (١٤) الحديد .٢٥.
- (١٥) المائدة .٩٧.
- (١٦) تفسير العياشي ج ١: ح ٩٩، والكافي ج ٥ ص ٤١٤.
- (١٧) آل عمران .٩٧.
- (١٨) الإسراء .٧٢.
- (١٩) الكافي ج ٤ ص ٢٦٨.
- (٢٠) طه .١٢٤.
- (٢١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ٢٥.
- (٢٢) المائدة .٢٧.
- (٢٣) أمالى الصدوق ص ٦١٦ طبعة الإسلامية، وروي الحديث في علل الشرائع ص ٤٠٣.
- (٢٤) بحار الأنوار، ج ٦٧، ص ٦٤.
- (٢٥) النساء .١٠٠.
- (٢٦) التحرير .٦.
- (٢٧) الكهف .١٠٤.
- (٢٨) آل عمران .٣١.
- (٢٩) الأنفال .٢٤.
- (٣٠) النساء .٥٩.
- (٣١) التوبية .٣٣.



مكانة الحج وفوائده في الإسلام

عزيز حن الخزان

بسم الله الرحمن الرحيم، اللهم صل على محمد آل محمد. من الأمور المهمة في الدين الإسلامي الحنيف هو التنوع في الأساليب العبادية التي تربط الإنسان بربه، وتقربه منه سبحانه، وتؤدي إلى تكامله الروحي، وهناك مواسم تتركز فيها العبادة بعضها زمانية والأخرى مكانية، وعبادة الحج وزيارة بيت الله الحرام من هذه المواسم الإلهية الزمانية والمكانية، والتي تحتوي على مجموعة من الطقوس التي تخلق حالة العبودية في نفس الإنسان.

وعبادة الحج عبادة مالية وبدنية، فتبذل فيها الأموال، كما تحتاج إلى جهد بدني كبير، خصوصاً في الأزمان المتقدمة التي يمثل السفر وحده جهداً كبيراً إذ يحتاج إلى أيام أو أسابيع بل أشهر بالنسبة لبعض البلدان البعيدة.

مكانة الحج في الإسلام

الحج في اللغة هو القصد، وفي الاصطلاح قصد البيت للتقرب إلى الله تعالى بأفعال مخصوصة وبזמן مخصوص في أماكن مخصوصة. وهذا يعني أن الإنسان الذي يريد الحجَّ يبدأ توجهه إلى الله تعالى من حين شروعه في المسير للحج. وللحج مكانة خاصة في الدين الإسلامي الحنيف حيث جعلَ ركناً أساسياً من أركان الدين، فعن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «بني الإسلام على خمس دعائين: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، والولاية لنا أهل البيت»^(١). ومن الواضح بأن الدعامة إذا سقطت تتصدع البناء وسقطت. وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»^(٢).

وفي رواية أخرى لطيفة عبرت عن الحج بالشريعة، مروية عن النبي عليه السلام قال: «بني الإسلام على عشرة أسمهم: على شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة، والصلة وهي الفريضة، والصوم وهي الجنة، والزكاة وهي المطهرة، والحج وهو الشريعة، والجهاد وهو العز، والأمر بالمعروف وهو الوفاء، والنهي عن المنكر وهو الحجة، والجماعة وهي الألفة، والعصمة وهي الطاعة»^(٣).

ومن الطبيعي حينئذ أن يكون حكمُ تارك هذه الفريضة حكماً شديداً، فقد وصفت الرواياتُ تاركَ الحج بأوصاف شديدة منها عن النبي عليه السلام في وصيته للأمير عليه السلام: «يا علي، تارك الحج وهو مستطيع كافر، يقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾. يا علي، من سُوفَ الحج حتى يموت بعثه الله يوم القيمة يهودياً أو

نصرانياً»^(٤).

ويفهم من بعض الروايات أن الله عز وجل -حسبه أن يذكر في آناء الليل والنهار، وأن لا يخلو وقت من عبادته -لا يرضى بأن ينقطع الناس عن البيت الحرام، فعن أبي عبد الله الصادق ع قال: «أما إن الناس لو تركوا حجًّا هذا البيت لنزل بهم العذاب وما نظروا»^(٥). وعن عائشة: «كان في وصية أمير المؤمنين ع قال: لا تتركوا حجًّا يتربّع على ركبكم فتلهكوا»، فالمؤمن المداوم على الحج يساهم في رفع العذاب عن هذه الأمة.

وجعل الواجب على المسلم حجة واحدة في العمر فقط، إما رحمة من الله وتسهيل على الناس، فعن أبي عبد الله ع قال: «والله ما كلف الله العباد إلا دون ما يطيقون، إنما كلفهم في اليوم والليلة خمس صلوات، وكلفهم في كل ألف درهم خمسة وعشرين درهما، وكلفهم في السنة صيام ثلاثين يوما، وكلفهم حجة واحدة، وهم يطيقون أكثر من ذلك»^(٦).

وإما لأن الأثر الكبير الذي يتركه الحج في نفس المسلم يؤدي الغرض من تشريعه ولو أتى به مرة واحدة فقط، ثم بعد ذلك هو مستحب خصوصاً لأهل السعة. نعم ظاهر كلام الشيخ الصدوق ع من علمائنا المتقدمين، هو وجوب الحج كل عام على الأغنياء^(٧).

علل الحج وفوائده

إن الله العالم الحكيم لا يفرض شيئاً إلا لكونه ذا ملاك ومصلحة تعود على الناس بالخير والنفع في الدنيا والآخرة، وفرضية الحج لا بد أن تحتوي على درجة كبيرة من المصلحة تجعلها ركناً للدين. والروايات الشريفة ذكرت أموراً عديدة كمنافع وعلل للحج، بعضها يتعلق بالدنيا وبعضها بالآخرة، يقول النبي ﷺ: «من أراد دنيا وآخرة فليؤم هذا البيت»^(٨): ونحن نذكر بعضها منها:

الفوائد الدنيوية

١- صحة البدن وسعة الرزق:

عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ قال: قال علي بن الحسين عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «حجوا واعتمروا تصح أبدانكم، وتتسع أرزاقكم، وتكتفون مؤونات عبلكم»^(٩).

ويلاحظ عند بيان بعض العبادات، ذكر صحة البدن، فعن النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «صوموا تصحوا»^(١٠)، وعند مراجعة الآراء الطبية التي تخرج بين المحن والآخر نكتشف بعض الفوائد الموجودة في الأحكام الشرعية كالطهارة بالماء، وأفعال الوضوء، وكيفية الصلاة، وغيرها، وهذا يعني أنَّ الله تعالى عندما يشرع حكماً أو يفرض عبادة على الناس، فإنه تعالى يختار الأسلوب الذي ليس فقط لا يضر بالبدن بل إنه يكون مفيداً ومحجاً لصحة البدن، وهذا من آيات الإسلام العظيم. وعندنا في الفقه كثير من الأحكام التي يتشرط في وجوبها عدم الضرر كالصوم والقيام في الصلاة وغيرها.

ووجود المشقة في العبادات لا يعني أن فعل تلك العبادة ضار، كما هو الحال في ممارسة بعض الرياضات البدنية المرهقة ولكنها تزيد في صحة البدن. ويقول الأمير عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «ألا وإن من النعم سعة المال، وأفضل من سعة المال صحة البدن، وأفضل من صحة البدن تقوى القلب»^(١١).

وأما سعة الرزق، فإن المعادلة المادية تقول إن إخراج المال يُنقصه، ولكن يأتي الإسلام ويقلب المعادلة ليقول بأن إخراج المال في سبيل الله هو سبب في زيادته، فعن النبي عَلَيْهِ الْكَلَمُ: «ما نقص مال من صدقة، فأعطوا ولا تجبنوا»^(١٢)، ول يكن التصدق كالدعاء الذي هو أمر معنوي من خلاله يحصل المؤمن على مبتغاه. ونحن نلاحظ أن المشهورين بالكرم والجود (مع أنهم ليسوا بأغنى من غيرهم، ومع كثرة ما يبذلون) لم يفتقرموا بل ربما يكون حالمهم أفضل من غيرهم. ثم إن إخراج المال

امتحان لإيمان المؤمن، ومدى ثقته بربه.

٢- التجارة وقضاء حوائج الفقراء:

عن الرضا عليه السلام في بيان علل الحج: «مع ما في ذلك لجميع الخلق من المنافع لجميع من في شرق الأرض وغربها، ومن في البر والبحر، من يحج ومن لم يحج، من بين تاجر وجالب وبائع ومشتري كاسب ومسكين ومكار وفقير، وقضاء حوائج أهل الأطراف في الموضع الممكн لهم الاجتماع فيه»^(١٣). ولعل هذا الأمر كان بشكل أوضح في الأزمنة السابقة.

ولا يعني هذا أنَّ التجارة هدف لتشريع الحج، بل هو من لوازم الحج، فإنَّ الذي يذهب للحج بهدف التجارة فإنَّ قصده مذموم كما ورد في بعض النصوص، كقول النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان يحج أغنياء أمي للترفة، وأواساطهم للتجارة، وقراؤهم للرياء والسمعة، وقراؤهم للمسألة»^(١٤). فالمهدف الذي ينبغي أن يحرك المؤمن لبيت الله الحرام هو الله فقط ولا شيء سواه.

الفوائد الدينية والأخروية

١- التفقه في الدين:

في حديث الرضا عليه السلام عن علل الحج: «مع ما فيه من التفقه ونقل أخبار الأئمة عليهم السلام إلى كل صقع وناحية، كما قال الله عز وجل: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنَذِّرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَذَرُونَ وَلَعَلَّهُمْ يَسْهُدُوا مَنَّا فَعَلَهُمْ﴾.

وفي زماننا من الواضح بروز هذه الفائدة المهمة، فكثير من الناس لا يتعلمون كثيراً من الأحكام الشرعية الضرورية إلا في الحج والعمرة، كأحكام الوضوء والغسل والخمس وغيرها. وهذا يوجب على المرشدين في الحج والعمرة استثمار

هذه الرحلة الإلهية بتعليم المؤمنين أحكام دينهم، وكذلك يوجب على الناس الاستفادة قدر المستطاع من ذلك، والسؤال عما يجهلون من الأحكام. وإن كان الواجب على كل مسلم أن يتعلم المسائل الشرعية الابتلائية سواء ذهب إلى الحج أو العمرة أم لم يذهب، فلا يصح أن ينتظر الإنسان أن يوفق للذهاب للعمره مثلاً حتى يسأل عن حكم شرعي وهو في معرض الابتلاء به.

وذكر الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ هذه الفائدة لعله لأن المسلمين وخصوصاً الشيعة في ذلك الوقت لم يكن يتوفّر لهم العلماء في كل المناطق التي يقطنونها، ثم إن كثيراً منهم كان لا يرى إمام زمانه عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا في موسم الحج، ف تكون فرصة ثمينة له في التعرّف على أحكام دينه، ومن ثم نقل ما تعلمه إلى أهل منطقته، وأما في زماننا فإن وسائل الوصول إلى العلماء والفقهاء متوفّرة بشكل أكبر.

٢- الامتحان والاختبار في الطاعة:

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ألا ترون أن الله جل ثناؤه اختبر الأولين من لدن آدم إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً»، إلى أن يقول: «ثم أمر آدم وولده أن يثنوا أعطافهم نحوه؛ فصار مثابة لمتجمع أسفارهم، وغاية لملقى رحالم، تهوي إليه ثمار الأفتدة من مفاوز قفار متصلة، وجزائر بحار منقطعة، ومهاوي فجاج عميقة، حتى يهزوا مناكبهم ذلاً، يهلكون الله حوله، ويرملون على أقدامهم شيئاً غيراً له، قد نبذوا القناع والسرابيل وراء ظهورهم، وحسروا بالشعور حلقاً عن رؤوسهم، ابتلاءً عظيماً، واختباراً كبيراً، وامتحاناً شديداً، وتحيضاً بليغاً، وقنوتاً مبيناً، جعله الله سبباً لرحمته، ووصلة ووسيلة إلى جنته، وعلة لغفرته، وابتلاء للخلق برحمته»^(١٥).

وفي كلام الأمير عَلَيْهِ السَّلَامُ البيان الوافي لحقيقة الحج والهدف الرئيسي له ولغيره من العبادات، وهو الامتحان في طاعة الله بأفعال وأعمال هي في نظر الإنسان ليس

فيها منفعة أو فائدة، ولو لا أمر الله بذلك لما قصد البيت الحرام قاصد، ولا حج إليه حاج، فبذهاب المؤمن للحج مع النية الخالصة - يُظهر طاعته وانصياعه لأوامر الله تعالى، ويكون عنائه وتعبه وفراقه لأحبته وبذله لأمواله مظهراً من مظاهر العبودية، وهذا يوجب على المؤمن في أثناء أداءه لمناسك الحج، أن يتذكر في هذه الأعمال، وأن يُشعر نفسه الخشوع والخضوع والتذلل لله رب العالمين. وفي حديث أبي الحسن الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ : «إِنَّمَا أَمْرَوْا بِالْحَجَّ لِعَلْتَهُ الْوِفَادَةَ إِلَى اللَّهِ وَطَلَبَ الزِّيَادَةَ، وَالْخَرُوجَ مِنْ كُلِّ مَا اقْتَرَفَ الْعَبْدُ تَائِبًا مَا مَضَى، مُسْتَأْنِفًا مَا يَسْتَقْبَلُ، مَعَ مَا فِيهِ مِنْ إِخْرَاجِ الأُمُولَ، وَتَعْبِ الأَبْدَانِ، وَالاشْتَغَالِ عَنِ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، وَحُظْرِ النَّفْسِ عَنِ اللَّذَاتِ شَاهِدًا فِي الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، ثَابَتَا عَلَى ذَلِكَ دَائِمًا، مَعَ الْخُضُوعِ وَالْاسْتِكَانَةِ وَالتَّذَلُّلِ».

٣- غفران الذنوب:

كل العبادات إذا صدرت من العبد عن إخلاص الله تعالى، فإنها توجب الحسنات وتتحو السيئات، ولكن بعض هذه العبادات تظهر الإنسان طهارة كاملة تامة، كالحج كما ورد في روایات أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ، فعن زین العابدین عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : «الْحَاجُ مَغْفُورٌ لَهُ وَمُوْجُوبٌ لَهُ الْجُنَاحُ وَمُسْتَأْنِفٌ لَهُ الْعَمَلُ وَمُحْفَظٌ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ»^(١). وبنفس المضمون عن صادق آل محمد عَلَيْهِمُ السَّلَامُ : «الْحَجَاجُ يَصْدِرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ؛ صَنْفٌ يَعْتَقُ مِنَ النَّارِ، وَصَنْفٌ يُخْرَجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهْيَةً يَوْمَ ولَدَتْهُ أُمُّهُ، وَصَنْفٌ يَخْفَظُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَذَاكَ أَدْنَى مَا يَرْجِعُ بِهِ الْحَاجُ»^(٢).

ويستفاد من حديث آخر أن توبة آدم كانت مشروطة بالإتيان بأعمال الحج فعن أبي عبد الله الصادق عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَا أَرَادَ أَنْ يَتُوبَ عَلَى آدَمَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَرْسَلَ إِلَيْهِ جَبَرِيلَ، فَقَالَ لَهُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا آدَمُ الصَّابِرُ عَلَى بَلِيْتِهِ، التَّائِبُ عَنْ خَطِيْتِهِ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى بَعْنَيْ إِلَيْكَ لَأُعْلَمُكَ الْمَنَاسِكَ الَّتِي يَرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكَ بِهَا»^(٣). وهذا يدل على عظمية الحج و المناسبة، وأن له مكانة خاصة عند الله

سبحانه.

وفي رواية أخرى طويلة تبين ما يحصل عليه الحاج من حجه، فعن أبي عبد الله عليه السلام، عن آبائه عليهما السلام: «أن رسول الله عليه السلام لقيه أعرابي فقال له: يا رسول الله، إني خرجت أريد الحج فقاتني وأنا رجل مميل (أي كثير المال)، فمرني أن أصنع في مالي ما أبلغ به مثل أجرا الحاج، فالتفت إليه رسول الله عليه السلام فقال: انظر إلى أبي قبيس، فلو أن أبو قبيس لك ذهبة حمراء أفقته في سبيل الله ما بلغت ما يبلغ الحاج، ثم قال: إن الحاج إذا أخذ في جهازه لم يرفع شيئاً ولم يضعه إلا كتب الله له عشر حسنات، ومحى عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، فإذا ركب بعيره لم يرفع خفاً ولم يضعه إلا كتب الله له مثل ذلك، فإذا طاف بالبيت خرج من ذنبه، فإذا سعى بين الصفا والمروة خرج من ذنبه، فإذا وقف بعرفات خرج من ذنبه، فإذا وقف بالمشعر الحرام خرج من ذنبه، فإذا رمى الجamar خرج من ذنبه»، قال: «فعد رسول الله عليه السلام كلها وكذا موقفاً إذا وقها الحاج خرج من ذنبه، ثم قال: أني لك أن تبلغ ما يبلغ الحاج»، قال أبو عبد الله عليه السلام: «ولا تكتب عليه الذنوب أربعة أشهر وتكتب له الحسنات إلا أن يأتي بكبيرة»^(١٩).

العمرة

وصفت العمرة في بعض الروايات بالحج الأصغر، وهي واجبة أيضاً في العمر مرة واحدة، وتستحب في كل شهر مرة على تفصيل يطلب من محله، والذي لا يوفق للحج فإن بإمكانه الاعتمار والمداومة على ذلك خصوصاً لأهالي بلدان الخليج الذين يسهل عليهم الذهاب إلى مكة المكرمة، وهذا من نعم الله التي يجب عليهم تقديرها وشكرها، ويتمثل الشكر بالمداومة على العمرة، وإعطائها حقها. ويلاحظ عند كثير من الناس -للأسف الشديد- عدم معرفة هذه النعمة، إما بإهمال الذهاب إلى مكة المكرمة للاعتمار، وإما بالتعامل مع هذا السفر الإلهي



كالتعامل مع السفرات الترفيهية الأخرى، وهذا من سوء التوفيق، ويخشى الإنسان أن يكون مصداقاً لقول الإمام عثيمين: «ما أكثر الضجيج، وأقل الحجيج».

فهذه الأيام القليلة التي يوفق فيها الإنسان للذهاب لأفضل بقعة في الأرض، والتي حرم منها الكثير من الناس، يجب أن يستغلها المؤمن في طاعة ربه ومولاه، فإن الشواب فيها مضاعف، والأجر عظيم، وقد تقدمت الروايات في ذلك، وربما تكون غفلة الإنسان في تلك الأماكن المقدسة، مع وجود الأجواء المساعدة على التوجه لله عزوجل عقاباً من الله لذلك العبد الشقي، وما أعظمها من شقاء.

بعض أعمال مكة المكرمة

إن انتهاء الحاج أو المعتمر من أعماله الواجبة لا يعني انتهاء رحلته الإيمانية وسفرته الإلهية، بل هو قريب من الله ما دام في تلك البقاع المقدسة، وعليه استغلال كل لحظة من لحظاته وشغلها بعبادة من العبادت. وقد ذكرت الروايات ثواب بعض تلك العبادات منها:

١- ثواب الصلاة في المسجد الحرام:

عن أبي عبد الله، عن آبائه عثيمين قال: «الصلاحة في المسجد الحرام تعدل مائة ألف صلاة». وكلما كانت الصلاة أقرب إلى الكعبة كان أفضل، فعن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا الحسن الرضا عثيمين عن أفضل موضع في المسجد يصلني فيه، قال: «الخطيم ما بين الحجر وباب البيت»، قلت: والذي يلي ذلك في الفضل فذكر: «أنه عند مقام إبراهيم عثيمين» قلت: ثم الذي يليه في الفضل؟ قال: «في الحجر»، قلت: ثم الذي يلي ذلك؟ قال: «كلما دنى من البيت»^(٢٠).

وبعض الفقهاء يرى بأن الصلاة في المسجد فرادى أفضل من الصلاة في غيره وإن كانت جماعة، فمن سوء التوفيق أن تفوت المعتمر أو الحاج فريضة من دون

أن يصل إليها في المسجد الحرام.

٢- ثواب النظر للكعبة والطواف بالبيت:

عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إذا خرجتم حجاجا إلى بيت الله فأكثروا النظر إلى بيت الله، فإن الله مائة وعشرين رحمة عند بيته الحرام، ستون للطائفين، وأربعون للمصلين، وعشرون للناظرين، وعن النبي عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَامٍ: «النظر إلى الكعبة حجا لها يهدم الخطايا هدما»^(٢١).

وهذا كله يدل على عظمة الكعبة ومكانتها عند الله تعالى، ويدل أيضا على رحمة الله الواسعة؛ إذ النظر للكعبة لا يكلف الإنسان شيئاً، ولكن الله تعالى أبى إلا أن يكون رحيمًا بعباده، فيعطي للناظر هذا الثواب العظيم. فما أعظم المخالق، ثم ما أشقي الإنسان الذي يفوت على نفسه هذه الرحمة، ويحرم نفسه من هذه النعمة.

٣- ثواب مجموعة أعمال أخرى:

نختم هنا بمجموعة أحاديث في أعمال متفرقة لها ثوابها الجليل، نقلها من كتاب المحسن للبرقي ج ٢٧٤ هـ من علمائنا الكبار: عن الباقي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «من دخل مكة بسکينة غفر الله ذنبه»، وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لم يهبط وادي مكة أحد ليس في قلبه من الكبر الا غفر له»، وعن عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا قال: «تسبيح عكة يعدل خراج العراقيين ينفق في سبيل الله» وعن الباقي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الساجد بعكة كالمتشحط بدمه في سبيل الله» وعن عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا قال: «من ختم القرآن بعكة لم يمت حتى يرى رسول الله عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَامٍ ويرى منزله من الجنة». وعن الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «كان علي بن الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: «النائم بعكة كالمتشحط في البلدان». وكان يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ أيضًا: «يا معاشر من لم يمح استبشروا بال حاج وصافحوهم وعظموهم فإن ذلك يجب عليكم لشاركتوهم في الأجر»^(٢٢).

نسأل الله تعالى أن يوفقنا لزيارة بيته الحرام، في هذا العام وفي كل عام،

زيارة قبر نبيه المصطفى ﷺ، وقبور الأئمة علیهم السلام، والحمد لله رب العالمين،
وصلى الله على محمد وآلـه الطـاهـرـين.

المواهـش:

- (١) الوسائل، ج ١، ص ٢٦.
- (٢) الكافي ج ٤، ص ٢٧١.
- (٣) الوسائل، ج ١، ص ٢٦.
- (٤) الوسائل، ج ١١، ص ٣٢-٣١.
- (٥) الوسائل، ج ١١، ص ٢٢.
- (٦) الخصال، ص ٥٣١، والوسائل، ج ١، ص ٢٨.
- (٧) راجع الحدائق، ج ١٤، ص ٢٣.
- (٨) الوسائل، ج ١١، ص ٥٨.
- (٩) الكافي، ج ٤، ص ٢٥٢.
- (١٠) ميزان الحكمة، ج ٤، ص ١٦٨٦.
- (١١) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٩٣.
- (١٢) مستدرك الوسائل، ج ٧، ص ١٥٣.
- (١٣) الوسائل، ج ١١، ص ١٣.
- (١٤) الحج والعمرة في الكتاب والسنة للريشهري، ص ٢٤٤.
- (١٥) الكافي، ج ٤، ص ١٩٩.
- (١٦) الكافي، ج ٤، ص ٢٥٢.
- (١٧) الكافي ج ٤، ص ٢٥٣، والوسائل ج ١١، ص ٩٤.
- (١٨) علل الشرائع، ج ٢، ص ٤٠٠.
- (١٩) تهذيب الأحكام، ج ٥، ص ١٩، والوسائل، ج ١١، ص ١١٣.
- (٢٠) الكافي، ج ٤، ص ٥٢٦-٥٢٦.
- (٢١) المحسن، ج ١، ص ٦٩.
- (٢٢) المحسن، ج ١، ص ٦٧-٧١.



الترخيص بالإتمام في المواطن الأربعة

علي فاضل الصدوي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَى مُحَمَّدٍ
وَآلِهِ. ما قامت عليه ضرورة المذهب تختَّم القصر في السفر،
ولكنَّ المشهور من عصر شيخ الطائفة تبيَّنَ إلى هذه الأعصار
ترخيص المسافر في الإتمام في المواطن الأربعة، وقد حكى عدهُ
من ضروريات مذهب الشيعة أيضًا^(١)، بل ذهب المرتضى عليه السلام
إلى تعينه عليه^(٢)، وفي المقابل ذهب الصدوق عليه السلام إلى القول
بتعيين القصر، وأن الأمر بالإتمام في تلك المواطن بمعنى العزم
على مقام عشرة أيام فيها حتى يتم^(٣)، وقد نسبت موافقته إلى كلٍّ من المحقق
البهبهاني وتلميذه السيد بحر العلوم فيهما^(٤) هذا.



ومنشأ خلافهم اختلاف الأخبار، فلا بدّ من عرضها، وهي على طوائف:

الطائفة الأولى: ما دلّ منها على التمام - وهي جملة وافرة من الروايات لا تقلُّ عن عشرين روايةً، منها صحيحة حمّاد بن عيسى عن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ قال: «من مخزون علم الله الإمام في أربعة مواطن: حرم الله، وحرم رسوله عَلَيْهِ السَّلَامُ، وحرم أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ، وحرم الحسين بن علي عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ»^(٥).

ولا يضرُّ بصحّتها وقوع أبي عبد الله البرقي - وهو محمد بن خالد بن البرقي - في سندھا؛ فإنه وإن قال فيه الشيخ النجاشي عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ: «كان محمد ضعيفاً في الحديث»^(٦)، إلا أنّ ضعفه في الحديث أعمّ من ضعف لسانه، فلا يعارض تصريح الشيخ قدس في رجاله بوثاقته^(٧).

ومنها صحيحة مسموع عن أبي إبراهيم عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ قال: «كان أبي يرى لمذين الحرمين ما لا يراه لغيرهما، ويقول: إن الإمام فيما من الأمر المذكور»^(٨).

ولا دلالة في هاتين الروايتين على تعين التمام.

ومنها صحيحة علي بن مهزيار قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ: (إنَّ) الرواية قد اختلفت عن آبائك في الإمام والتقصير للصلة في الحرمين، فمنها: أن يأمر تتمّ الصلاة، ولو صلاة واحدة، ومنها: أن يأمر تقصّر الصلاة ما لم ينوه مقام عشرة أيام، ولم أزل على الإمام فيهما، إلى أن صدرنا في حجّنا في عامنا هذا، فإن فقهاء أصحابنا أشاروا على بالتصير إذا كنت لا أنوي مقام عشرة (أيام)، وقد ضقت بذلك حتى أعرف رأيك، فكتب بخطه عَلَيْهِ الْأَنْعَامُ: قد علمت - يرحمك الله - فضل الصلاة في الحرمين على غيرهما، فأنا أحب لك إذا دخلتهما أن لا تقصّر وتكثر فيهما من الصلاة، فقلت له بعد ذلك بستين مشافهةً: إني كتبت إليك بهذا، فأجبت بعدها، فقال: نعم، فقلت: أي شيء تعني بالحرمين؟ فقال: مكّة والمدينة..^(٩).

وهذه الصحيحة لا دلالة فيها أيضاً على وجوب التمام؛ فإن التعبير بكون

ال تمام و عدم التقصير عند دخول الحرمين محبوباً منه عليه السلام لابن مهزيار مانع من استفادة و حمّب التمام، بخلاف ما لم قال، مثلاً: (إذا دخلت الحرم من فلا تقصّ).

ومنها صحبة عبد الرحمن بن الحجاج قال: سأله أبا عبد الله عَلِيُّهُ الْكَفَافُ عن

اللهم إكْفُنَّهُ وَالْمَدِينَةَ، فَقَالَ: أَتَمْ وَلَمْ تَصْلِ فِيهِمَا إِلَّا صَلَةً وَاحِدَةً^(١٠).

ومنها موقعة عثمان بن عيسى قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن إقامة الصلاة

(والصيام) في الحرمين (مكة والمدينة)، فقال: أتَهَا ولو صلاة واحدة^(١١).

وهاتان الروايتان وإن ادعى ظهور الأمر فيهما في وجوب التمام^(١٢)، إلا أنه لما

كان وارداً في مورد توهّم حظر التمام، فإن السفر محل التقصير، فكأن السؤال عن

جواز التمام، فلا ظهور للأمر في هذا المورد في الوجوب، نعم هما صريحتان في

التاريخي في الإنقاذ، بحيث لا يكن حملهما على فرض ما لو عزم على إقامة

رة خاصة، كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

و منها

وَالْمُؤْمِنُونَ هُمُ الْأَوَّلُونَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ يَرَهُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ

وَمِنْهُ مَرْوَهٌ حَسْوَانٌ حَنْعَنْ بْنُ رَيْحَانٍ. قَتَلَهُ مَبْرُوكٌ بْنُ عَاصِمٍ وَأَخْدَمٌ

(۱۴)

وَمِنْهَا رَوَاهُ أَبُو شَعْبٍ قَالَ: قَلْتُ لِأَمِّي عَنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ أَذْوَقْتُ الْحَسْبَنَ عَلَيْكُمْ؟

قال: نعم زر الطيب وأتم الصلاة عنده، قلت: أتم الصلاة؟ قال: أتم، قلت: بعض

أصحابنا يرى التقصير، قال: إنما يفعل ذلك الضعف (١٥).

ومنها رواية عمرو بن مرزوق قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن الصلاة في

الحرمين (وفي الكوفة) وعند قبر الحسين عليهما السلام، قال: أتم الصلاة فيهم ^(١).

ومنها رواية قائد الحنّاط عن أبي الحسن الماضي عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: سأله عن الصلاة

في الحرميْن، فقال: أَتَمْ وَلَوْ مَرَّتْ بِهِ مَارَاً^(١٧).

وهذه الروايات الخمس وإن كانت ظاهرة الدلالة في وجوب التمام وتعيينه، إلا أنها طرًا غير نقية الأسناد، أما الأولى فلا شتمال الطريق على ابن أبي جيد، وكونه من مشايخ النجاشي عليه السلام لا يجدي؛ إذ لم تتم كبرى وثاقة مشايخه؛ فإن المسلم أنه لا يروي عن ضعف وغمز فيه إلا بواسطة، وهذه مزيّة عند أرباب الحديث، وأما دعوى أنه لا يروي عن مطلق الضعيف، وإن لم يغمز فيه فليست بستة.

وأما الرواية الثانية فتشترك مع سابقتها في عيب الطريق، ولو تجاوزناه فلا توثيق لعمر بن رياح، وكبri وثاقة من يروي عنه أحد المشايخ الثلاثة - ومنهم صفوان - تامة في خصوص فرض إكثار أحدهم الرواية عن فرد، ولن يست كذلك بالإضافة إلى ابن رياح، وإطلاق عبارة العدة لا يتناول فرض رواية أحدهم عن فرد ندوراً؛ إذ من بعيد أن لا يرروا عن الضعيف مع الوثائق بضمون ما يرويه، بل الذي تسكن إليه النفس روایتهم عنه في الفرض المذكور، فمع الرواية عن فرد ندوراً كما يحتمل لوثاقته، يحتمل للوثائق بالضمون، واقتصرنا على استفادة التوثيق في صورة إكثارهم الرواية عن فرد لا لأنه مفاد العبارة؛ بل لكونه القدر المتبقّ منها.

وأما الرواية الثالثة فيكفي في ضعف سندها جهالة أبي شبل.

وأما الرواية الرابعة فسندها مشتمل على أكثر من مجهول.

وأما الرواية الخامسة فلعدم ثبوت وثاقة علي بن إسماعيل، وهو علي بن إسماعيل بن عيسى، حتى لو ثبتت دعوى اتحاده مع علي بن السندي، كما أن قائد الحنّاط -هو الآخر- لم تثبت وثاقته، ووروده في أسناد كامل الزيارت لا يجدي خصوصاً بالإضافة إلى غير المشayخ، كما في موردنَا؛ إذ ظاهر عبارة الدبياجة

روایته بواسطه بعض مشایخه عمن ثبت ضعفه، كما قرر في محله.

فتتحصل أنه لم ينهض شيء من روایات هذه الطائفة سندًاً ودلالة على تعین تمام، فقول السيد المرتضى تدشّن بتعین التمام غير واضح. نعم أصل مشروعيه التام أو الترخيص فيه بل رجحانه مما لا شبهة فيه بحسب هذه الروایات وغيرها؛ لتمامية سند ودلالة جملة منها، على أن كثرة روایات هذه الطائفة تعفينا عن النظر في أسنادها؛ للقطع بصدور بعضها عن المعصوم علیه السلام.

الطائفة الثانية: ما دلّ من الروايات على التقصير:

منها صحيحة محمد بن إسماعيل بن بزيع قال: سألت الرضا عليه السلام عن الصلاة بجَّة والمدينة تقدير أو قام، فقال: قصر ما لم ت Zum على مقام عشرة أيام ^(١٨).

ومنها صحيحه معاویة بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ عن التنصير في
الحرمين والتمام، فقال: لا تسم حتى تجتمع على مقام عشرة أيام، فقلت: إن أصحابنا
رووا عنك أنك أمرتهم بالتمام، فقال: إن أصحابك كانوا يدخلون المسجد فيصلون
ويأخذون نعائم وينزجون، والناس يستقبلونهم يدخلون المسجد للصلوة، فأمرتهم
بالتمام^(١٩).

ومنها موثقة عمار بن موسى قال: سألت أبا عبد الله عَلَيْهِ الْكَفَافُ عن الصلاة في المأثر، قال: ليس الصلاة إلا الفرض بالتصحير ولا تصل التوافل^(٢٠).

ومنها ذيل رواية الحثعمي: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليه السلام أسأله عن الصلاة في المسجدين أقصر أم أتم؟ فكتب عليه السلام إلى: أي ذلك فعلت فلا بأس. قال: فسألت أبي الحسن الرضا عليه السلام عنها مشافهة؟ فأجابني بمثل ما أجابني أبوه، إلا أنه قال في الصلاة: قصر ^(٢١).

من أوجه الجمع:

والمعترات من هذه الطائفة صريحة في وجوب القصر وتعيينه، فتقع المعارضة

بينها وبين نصوص أفضلية التمام. وقد يجمع بينهما بحمل نصوص التمام على استحباب العزم على الإقامة عشرة أيام حتى يتم، كما تقدم عن الشيخ الصدوق عليه السلام، وقد يشهد له ما رواه الشيخ عليه السلام في الصحيح عن محمد بن إبراهيم الحصيني (الحضرمي) قال: استأمرت أبا جعفر عليه السلام في الإقامة والتقدير، قال: إذا دخلت الحرمين فانو عشرة أيام، وأتم الصلوة، فقلت له: إني أقدم مكة قبل التروية بيوم أو يومين أو ثلاثة؟ قال: انو مقام عشرة أيام وأتم الصلوة^(٢٢).

ولكنَّ جملةً من روایات التمام المتقدمة تأبی هذا الجمع، منها ما دلَّ على التمام ولو صلاةً واحدة، أو ولو كان مارًّا، كصحیحة ابن الحجاج وموثقة عثمان بن عيسى ورواية قائد الخطاط، ومنها ما دلَّ على كون الإقامة من مخزون علم الله أو من الأمر المذكور كصحیحی حماد ومسمع وغيرهما؛ فإن ظاهر الإسناد في قوله عليه السلام: (إن الإقامة في الحرمين من الأمر المذكور) هو أن الإقامة بنفسه من المذكور، لا أن قصد الإقامة ثم الإقامة من المذكور، ومنها صحیحة ابن مهزيار؛ فإن موردها فرض عدم العزم على إقامة عشرة أيام. وأما رواية الحصيني فلا تحمل أدنى شهادة لمذهب الصدوق عليه السلام؛ إذ أنها تدل على كفاية نية الإقامة ولو كانت صوريَّة، بأن يعلم المقيم بأنه سيخرج قبل تحقق إقامة العشرة، وهذا مما لم يلتزم عليه السلام به، على أن الرواية ضعيفة بالحضرمي؛ فإنه لم تثبت وثاقته، وأما ما رواه الكشي في الصحيح عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن حمدان الحضرمي عن الجواد عليه السلام من أن محمد بن إبراهيم الحصيني كان من خصيص شيعته^(٢٣) - فضعفه بحمدان، وب مجرد اتفاق رواية أحد الثقات الثلاثة - و منهم البزنطي عنه في سند هذه الرواية خاصة - لا يجدي في ثبوت وثاقته؛ لعدم ثبوت الكبرى بهذه السعة كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

الطائفة الثالثة: ما دلّ من الروايات على التخيير:

منها صحيحة علي بن يقطين عن أبي الحسن عليهما السلام في الصلاة بمكة قال: مَنْ شاء أتمَ، وَمَنْ شاء قصرَ^(٢٤).

ومنها معتبرة الحسين بن المختار عن أبي إبراهيم عليهما السلام قال: قلت له: إِنَّا إِذَا دخلنا مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ نَتَمْ أَوْ نَقْصُرْ؟ قال: إِنْ قَصَرْتَ فَذَلِكَ، وَإِنْ أَتَمْتَ فَهُوَ خَيْرٌ تزداد^(٢٥).

ومنها رواية عمران بن حمران قال: قلت لأبي الحسن عليهما السلام: أقصر في المسجد الحرام أو أتم؟ قال: إِنْ قَصَرْتَ فَلَكَ، وَإِنْ أَتَمْتَ فَهُوَ خَيْرٌ، وَزِيادةُ الْخَيْرِ خَيْرٌ^(٢٦).

ومنها رواية علي بن يقطين قال: سألت أبا إبراهيم عليهما السلام عن التقصير بمكة، فقال: أتم، وليس بواجب إلا أنني أحب لك ما أحب لنفسي^(٢٧).

ومنها رواية صالح بن عبد الله الخثعمي قال: كتبت إلى أبي الحسن موسى عليهما السلام أسأله عن الصلاة في المسجدين أقصر أم أتم؟ فكتب عليهما السلام إلى: أَيُّ ذَلِكَ فَعَلْتَ فَلَا بَأْسَ...^(٢٨).

ولا تنافي بين هذه الطائفة من الروايات وبين الطائفة الأولى كما هو واضح، نعم ينافيها، مثلما ينافي أخبار الطائفة الأولى -كما تقدم- أخبار الطائفة الثانية الآمرة بالقصر تعيناً.

وقد يقال: بأن الأمر بالقصر وإن كان ظاهراً في تعينه، لكنه قابل للتصريف فيه بحمله على بيان أحد فردي التخيير؛ لأن ظهرية أخبار التخيير فيه من أخبار خصوص القصر في التعين، فيكون محصل قوله عليهما السلام: (قصر ما لم ت Zum على مقام عشرة أيام) بعد تحكيم أخبار التخيير: قصر أو أتم ما لم تقم فيتعين الإقام^(٢٩).

وفيه أولاً: إِنَّه لا موضوعية للأظهرية في القرینية، بل المدار على ما لو جمع الأظهر والظاهر في سياق واحد لرؤيا منسجمين، والمقام ليس كذلك؛ لقوله عليهما السلام

في صحيح معاوية المتقدمة: «لا تتم حتى تجتمع على مقام عشرة أيام»، قوله عليه السلام في موثقة عمار المتقدمة: «ليس الصلاة إلا الفرض بالقصير».

وثانياً: ما قيل - من أنه لو كان التمام جائزًا، وهو أفضل الفردان بقتضى القول بالتخيير، فإنه يلزم أن يحب الإمام عليه السلام بما هو مفضول ومرجوح عنده، مع أنه يمكنه أن يحب بالأفضل والراجح لديه^(٣٠). وهذا من مبعّدات القول بالتمام، وسيأتي التعرّض لها إن شاء الله تعالى.

إعمال المرجح الجهي:

ثم إنه لو لم يتأتِ الجمع العرفي بين الطوائف - ولو لهذا المبعد - فقد يصار إلى حمل روایات التمام على التقىة؛ فإنها موافقة لقول مالك، ففي مغني ابن قدامة: "وممن روی عنه الإلقاء في السفر عثمان وسعد بن أبي وفاص وابن مسعود وابن عمر وعائشة...، وبه قال الأوزاعي والشافعي، وهو المشهور عن مالك"^(٣١).

ولكن يتوجه على هذا الحمل عدة ملاحظات:

الأولى: أنه لا يمكن حمل روایات الإلقاء على ذلك؛ فإن العامة لو التزموا القول بالإلقاء، كما حكيت شهرته عن مالك، فهو لا يفرق بين المواطن الأربع وغيرها، بل يقول به في مطلق السفر من جهة استفادة الرخصة من قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرِبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾، بينما ظاهر روایات الإلقاء ببركةأخذ المواطن الأربع موضوعاً للإلقاء كونه دائراً مدار تلك المواطن وجوداً وعدماً، وأنه لشرف تلك البقاع، وهو مما ينافي الحمل على التقىة، مضافاً إلى أن احتكاك الشيعة بالعامة الموجب لموافقتهم تقىة إنما هو في الحرمين مكة والمدينة دون حرمي أمير المؤمنين والحسين عليهما السلام.

الثانية: إن أخبار التخيير مرخصة في القصر والإلقاء، وهي تتأنى عن حمل الإلقاء بخصوصه فيها على التقىة لقول مالك وغيره.

الثالثة: إن النقل عن مالك مختلف؛ ففي قبال ما نقله في المغني من شهرة التمام عنه، نقل بعضهم أن أشهر الروايات عن مالك هو القول بأن القصر سنة^(٣٢). فلم تحرز موافقة أخبار التمام لقول مالك، لتحمل على التقىة، كما أن غيره من تحتمل موافقة روايات الإنعام له لم يقل به، قال في المغني: "الشهور عن أحمد أن المسافر إن شاء صلى ركعتين، وإن شاء أتم، وروي عنه: أنه توقف إلى أن قال - وقال حماد بن أبي سليمان: ليس له الإنعام في السفر، وهو قول الشوري وأبي حنيفة"^(٣٣).

ويؤيد كون الأمر بالإنعام ليس لموافقة العامة رواية عبد الرحمن بن الحجاج -الضعيفة باللؤلؤي^(٣٤) - قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: إن هشاماً روى عنك أنك أمرته بال تمام في الحرمين، وذلك من أجل الناس؟ قال: لا، كنت أنا ومن مضى من آبائي إذا وردنا مكة أتمنا الصلاة واستترنا من الناس^(٣٥). فإن المستفاد منها أن الإنعام في الحرمين، على خلاف الناس، ولذا كان الأئمة عليهما السلام يستترون منهم.

قال الحق الإصفهاني قائلًا تعقباً على هذه الرواية، -ونعم ما قال:- "والسر في ذلك والله أعلم- أن اختصاص الحرمين بمزية التخيير وأفضلية الإنعام لم ترد به آية ولا رواية عن النبي عليهما السلام، بل لم يكن منه أثر إلى زمان الصادق عليه السلام، ولذا لا تجد في الأخبار مع كثرتها رواية به عن الباقي عليه السلام الذي يستند إليه أدلة الأحكام غالباً، وعمل الأئمة وشيعتهم على القصر في هذه المواطن كغيرها. فالإنعام في خصوص هذه المواطن جهاراً معرض للتشنيع، فإنه عمل لا دليل عليه من الكتاب والسنة النبوية عند الجمهور، فلذا كانوا [عليهم السلام] يستترون عن الناس دفعاً للتشنيع، وأمرروا شيعتهم وأجلاء أصحابهم بالتصحير لهذه الجهة، لا لأجل موافقة أبي حنيفة، ولأجله جعلوا الإنعام من مخزون علم الله، ومن الأمر المذكور، وأمرروا به أحياناً إظهاراً للحق. وربما علموا بعض شيعتهم طريق دفع التشنيع، حيث قال عليه السلام في مكتبة إبراهيم بن شيبة: كان رسول الله عليه السلام يحب إكثار الصلاة في الحرمين، فأكثر فيها وأتم. فكان الإنعام نوع

(كذا) من إكثار الصلاة، وفي آخر: قد علمت يرحمك الله فضل الحرمين، وبالجملة أخبار التمام لا يمكن حملها على التقيّة، وأضاف قائلٍ - وأخبار تعيين القصر؛ لنكتة دفع التشنيع، لا لموافقة أبي حنيفة^(٣٦).

بل المناسب -لو لم يكن الجمع العربي بين أخبار الطوائف الثلاث- حمل الطائفة الثانية وكذا عمل أصحاب الأئمة عليهم السلام بسبب التنافي المذكور على التقيّة، دون أخبار الطائفة الأولى؛ لعدم تأثّي حملها عليها، كما تقدّم، دون أخبار التخيير.

ويشهد هذا الحمل -بعد أن كان التقصير رأي أبي حنيفة كما تقدم عن الملغى- أمران:

الأول: أن القصر لو كان هو الوظيفة الواقعية، وأن أخبار التمام قد صدرت لجهة التقى فلا ينتظر التفرقة بين المواطن الأربعه وغيرها؛ إذ لم يفرق العامة في القصر أو الإنعام أو التخيير -لو كان بكل قائل- بين المواطن الأربعه وغيرها، لتحمل أوامر الإنعام فيها على التقى.

الثاني: ما تقدم من أن الإقام من الأمر المذكور في مخزون علم الله تعالى كما في صحيحي مسمع وحمّاد المتقدّمتين، فيكون الأمر بالقصر بخلافه.

ولا يقال على هذا الحمل -نحو ما قلناه على حمل روایات التمام على التقیة من أن أخبار التخيیر مرخصة في التمام والقصر، وهي غير قابلة لحمل التمام بخصوصه فيها على التقیة - وأن روایات التخيیر لما كانت مرخصة فيهما؛ فھي غير قابلة لئن يحمل القصر بخصوصه فيها على التقیة.

فإنه يقال: سلّمنا عدم قابلية أخبار التخيير لحمل أحد فردي التخيير فيها بخصوصه على التقيّة، ولكن المحمول على التقيّة هو تعيين القصر المفاد بأخبار الطائفة الثانية دون الترخيص فيه المفاد بأخبار التخيير. أو فقل: إن الأمر بالقصر

تعييناً أمرًّا بما هو موافق للواقع، وإنما عينه لا للتحقق في صدور هذا التعيين؛ بل للتحقق المداراتية، فيكون أمراً راجحاً في نفسه.

المرجح الخاص أو الحاكم:

ولكن التوبة لا تصل إلى إعمال المرجحات العامة لباب التعارض بعد وجود ما يشهد بتقديم مفad الطائفة الأولى على مفad الطائفة الثانية، وهو صحيحة على بن مهزيار -التي رواها الكليني والشيخ قطّعهما- قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ: (إنَّ) الرواية قد اختلفت عن آبائك في الإنعام والتقصير للصلاوة في الحرمين، فمنها: أن يأمر تتم الصلاة، ولو صلاة واحدة، ومنها: أن تقصر الصلاة ما لم ينْوِ عشرة أيام، ولم أزل على الإنعام فيهما، إلى أن صدرنا في حجنا في عامنا هذا، فإن فقهاء أصحابنا أشاروا إلى بالتفصير إذا كنت لا أنوي مقام عشرة (أيام)، وقد ضقت بذلك حتى أعرف رأيك، فكتب بخطه عَلَيْهِ الْكَلَمُونَ: قد علمت يرحمك الله فضل الصلاة في الحرمين على غيرهما، فأنا أحب لك إذا دخلتهما أن لا تقصير وتكثر فيهما من الصلاة، فقلت له بعد ذلك بستين مشافهةً: إني كتبت إليك بهذا، فأجبت بهذا، فقال: نعم، فقلت: أي شيء تعني بالحرمين؟ فقال: مَكَّةُ وَالْمَدِينَةُ^(٣٧). فإنها ناظرة إلى الطائفتين معاً، وقد أرشدت إلى الأخذ بالطائفة الأولى، فهي على غرار صحيحة علي بن مهزيار الواردة في باب نجاسة المخمر^(٣٨)، فتكون من أدلة الترجيح وراجعة إلى باب التعادل والتراجح، إلا أنها مرجحة في خصوص هذين المتعارضين.

والظاهر أنها حاكمة على الطائفتين لنظرها إليهما، والحاكم بثابة القرينة الشخصية على المحكوم، لا أنه مرجح بعد فرض التعارض؛ إذ لا تعارض في

ثم إنه لا يقدح في الاستدلال بالصحيحة كونها مذيلة في خصوص نقل

الشيخ قدّس في التهذيب والاستبصار بفقرة لم يعمل بها المشهور^(٣٩)، وهي قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «ومتى إذا توجهت من مني فقصر الصلاة، فإذا انصرفت من عرفات إلى مني وررت البيت ورجعت إلى مني فأتم الصلاة تلك ثلاثة الأيام، وقال: يأصبعه ثلاثة»^(٤٠)؛ لما هو واضح من أمر التبعيض في الحجية.

مبعّدات القول بال تمام.. وردّها:

الأول- وهو أهّمها:- قد يقال: إن أخبار التمام وإن كانت مستفيضة بل متواترة إجمالاً إلا أن شهرة التقصير فتوى لدى أصحاب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ - كما حكاهما في الجواهر عن السيد بحر العلوم قدّس^(٤١) - كاشفة كشفاً قطعياً عن عدم إرادتهم مفاد تلك الأخبار جداً^(٤٢).

بيان ذلك صغرى وكبرى:

أما الكبرى فإن الشهرة الفتواوية لدى أصحاب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ عنصر بالغ الأهمية يؤذن بطرح الأخبار المخالفة لها وحملها على التقى أو غيرها؛ إذ أن مجرد اشتهر الفتوى بين أصحاب الإمام كاشف عن عدم إرادتهم مفاد تلك الأخبار جداً؛ فإنهم لشدة قربهم منهم عَلَيْهِ السَّلَامُ يحيطون بaramiهم ويقفون على مذاقهم، فالجري على خلافها إعراض عن العمل بظاهرها، وإعراض حاشية السلطان وخواصه عن العمل بظاهر ما صدر عنه مانعٌ عرفي من حجية هذا الظهور.

وأما الصغرى فيستفاد من بعض الروايات بناءً لفقهاء من أصحاب الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ عملاً على التقصير مع أن أخبار التمام برأي منهم.

ففي صحيح ابن مهزيار المتقدمة قال: كتبت إلى أبي جعفر الثاني عَلَيْهِ السَّلَامُ: (إن) الرواية قد اختلفت عن آبائك في الإنعام والتقصير للصلاحة في الحرمين، - إلى أن قال - ولم أزل على الإنعام فيهما، إلى أن صدرنا في حجنا في عامنا هذا، فإن فقهاء أصحابنا أشاروا إلى بالقصير إذا كنت لا أنتي مقام عشرة (أيام).. .

وفي كتاب كامل الزيارات لابن قولويه رحمه الله عن أبيه عن سعد بن عبد الله، قال: سألت أيوب بن نوح عن تقصير الصلاة في هذه المشاهد: مكة والمدينة والكوفة وقبر الحسين عليه السلام الأربعه والذي روی فيها، فقال: أنا أقصر، وكان صفوان يقصّر، وابن أبي عمير وجميع أصحابنا يقصّرون ^(٤٣).

ولكن - لئن سلمت الكبرى - فیلاحظ على الصغرى:

أولاً: إن الروايتين لو سلمت دلالتهما على شهرة الفتوى بالقصیر لدى فقهاء أصحاب الأئمة عليهم السلام، إلا أنه - كما قيل ^(٤٤) - لا يحرز أن روایات التمام كانت برأى منهم وفي متناولهم؛ فإنه من المحتمل عدم وصول روایات التمام إليهم وعدم ظفرهم بها، فاشتهر التقصير بينهم لا يكشف عن عدم عملهم بها؛ فإن عدم موافقتها أعم من اطلاعهم عليها.

ويلاحظ على هذه المناقشة أن رواة جملة من روایات الأمر بالتمام هم صفوان وابن أبي عمير اللذين نقل أيوب بن نوح عنهما التقصير عملاً، كما في طرُق صحيفتي ابن الحجاج وابن يقطين ورواية ابن الحجاج الأخرى ورواية مسمع ورواية ابن رياح ^(٤٥). نعم من المحتمل عدم اطلاعهما على صحيحة ابن مهزيار الطويلة عن الجواب عليه السلام؛ فإن صفوان وابن أبي عمير وإن كانوا من أصحابه ورويا عنه، إلا أنها توفيا في حياته ^(٤٦)، ومجرد احتمال عدم الاطلاع كافٍ في دفع غائلة الإعراض.

وثانياً: بعد فرض تعارض روایات المسألة فعدم عملهم بروایات التمام لا يرجع بالضرورة إلى خدشة صدورية فيها؛ إذ لعل إعراضهم عنها لنكتة اجتهادية اقتضت في الفرض تقديم روایات التقصير عليها، ولو بالتصير إلى العموم الفوقياني: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ﴾ ^(٤٧) مثلاً، بعد استقرار التعارض وعدم المرجح.

وقد استبعد السيد الأستاذ د.أ.د. طلحة عمل الأصحاب على خلاف روایات التمام لنكتة اجتهادية يمكن أن ينكشف خطاؤها بحضور الموصوم عليه السلام.

وثالثاً: ما أورده صاحب الجواهر ت بقوله: "أنه لا صراحة في كلّ منهما بوجوب التقصير، بل ولا ظهور، إذ أقصاه الفعل من الأولين والإشارة من الآخرين، بل قد يشعر استمرارُ ابن مهزيار في تلك المدة على التمام، مع جلالة قدره وغزاره فضله، ولنفطُ الشور فيه بمعرفة التخيير في ذلك الزمان" ^(٤٨).

ورابعاً: إن شهرة التقصير فتوىً لدى أصحاب الأئمة عليهم السلام غير متحققة، بل الظاهر ثبوت الاختلاف في المسألة من أول الأمر إلى الآن، كما لفت إلى ذلك أحد الأعاظم ت ^(٤٩)، ويشهد لذلك جملة من الأخبار، منها صحیحه معاویة بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن التقصير في الحرميin والتمام، فقال: لا تم حتى تجمع على مقام عشرة أيام، فقلت: إن أصحابنا رواوا عنك أنك أمرتهم بالتمام، فقال: إن أصحابك كانوا يدخلون المسجد فيصلون ويأخذون نعائم ويخرجون والناس يستقبلونهم بدخول المسجد للصلوة، فأمرتهم بالتمام ^(٥٠)، ورواية علي بن حديد قال: سألت الرضا عليه السلام فقلت: إن أصحابنا اختلفوا في الحرميin، فبعضهم يقصر، وبعضهم يتم، وأنا من يتم على رواية قد رواها أصحابنا في التمام، وذكرت عبد الله بن جندب أنه كان يتم، فقال: رحم الله ابن جندب، ثم قال لي: لا يكون الإ تمام إلا أن تجمع على إقامة عشرة أيام، وصل النوافل ما شئت، قال ابن حديد: وكان محبتي أن يأمرني بالإ تمام ^(٥١)، ورواية أبي شبل المتقدمة، وغيرها.

المبعّد الثاني: إن ظاهر صحیحه ابن وهب المتقدمة أن الأمر بالتمام إنما كان لمصلحة خاصة، وهي التقىي، ولم يكن مأمولاً به.

ويلاحظ عليه:

أولاً: أنه لا يحرز كون ما ذكر فيها من التعليل علة للأمر بالإ تمام في جميع

روايات التمام، فهو مختص ببورده، كما أن الإمام في هذا المورد يجتمع مع كون المسافر في الواقع مخيّراً بين الإمام والتقدير.

وثانياً: إن الأمر بالإقامة قد علل في جملة من الروايات بفضل الحرمين، وأنه من الأمر المذكور في مخزون علم الله سبحانه، وأنه من زيادة الخير، على أنها لا تتلاءم مع التقى أيضاً.

وثالثاً: إن الأمر بالإقامة في حرم الحسين عليه السلام وكذا في الكوفة أو خصوص مسجدها يعني أخذ هذين الموضعين موضوعاً فيه مما ينافي التقى، فكيف يحمل الأمر به عليها.

ورابعاً: إن التقى علة للأمر بالتمام على نحو التعين، كما هو ظاهر قوله عليه السلام: «فأمرتهم بال تمام» في الصحيح، لا لأصل التمام، فلا يعود قرينة على أمر التمام في غيرها^(٥٢).

ومما يؤيد كون الأمر بالإقامة في روايات التمام لا للتقى روایة عبد الرحمن بن الحجاج المخدوشة سنداً باللعلوي وقد تقدّمت - حيث نفي عليه فيها كون الأمر بالإقامة لأجل الناس، كما يستفاد منها أن الإمام خلاف ما هم عليه؛ فإنه يظهر من الاستئثار بالتمام مخالفته للتقى، وأن العامة حينذاك كانوا على القصر.

المبعّد الثالث: - ما تقدّمت الإشارة إليه - من أنه لو كان التمام جائزأً، وهو أفضل الفردان بمقتضى القول بالتخيير، فإنه يلزم كون الإمام عليه السلام قد أجاب بما هو مفضول ومرجوح عنده، وهو الأمر بالقصر مع أنه يمكنه أن يحبب بالأفضل والراجح لديه، وهو الأمر بالإقامة.

ويلاحظ عليه: بأن ذكره عليه للقصر؛ لأنه أسهل الفردان، أو لأن موافقة العامة القائلين بالقصر أمر راجح في نفسه^(٥٣).

وقد تقدّمت الإشارة إلى هذه المعارضة بين أوامر القصر تعيناً وما دلّ على

جواز الإقامة، وأنه على تقدير استقرارها وعدم عرفية الجمع بينهما فالمرجع صحيحه ابن مهزيار؛ فإنها مررّج خاصٌ بل حاكم كما تقدّم، وبقطع النظر عنه فالمررّج هو الشهرة الروائية البالغة حدّ السنة القطعية للروايات المرخصة في الإقامة، سواءً أمرت به استقلالاً أو خيرت بينه وبين التقصير.

المبعّد الرابع: وهو مشكل عامٌ يواجه جملة من الروايات، وبحسبه أطرح بعض الفقهاء تلك الروايات، والمشكل هو تأثير حكم الواقع في أصل الشريعة بحيث يجيء بيانه عن الأئمة المتأخرين، مع كون الواقع عامة البلوى، ومن الأحكام الترخيص في الإقامة في المواطن الأربع.

وقد أجبت عن هذا المشكل كبروياً وصغرياً في رسالة مفردة منشورة^(٥٤)، ولا طائل في التكرار، ومن هذه الإجابة وغيرها مما تقدّم يعلم الجواب عن صحيحه أبي ولاد - المعول بها عند الكل فتوى وعملاً - قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ: إني كنت نويت حين دخلت المدينة أن أقيم بها عشرة أيام وأتمم الصلاة ثم بدا لي بعد أن لا أقيم بها)، فما ترى لي أتم أم أقصر؟ قال: إن كنت دخلت المدينة وصلّيت بها صلاة فريضة واحدة بتمام فليس لك أن تقصّ حتى تخرج منها، وإن كنت حين دخلتها على نيتك (في) التمام فلم تصلّ فيها صلاة فريضة واحدة بتمام حتى بدا لك أن لا تقيم فأنت في تلك الحال بالخيار إن شئت فانو المقام عشرًا وأتم، وإن لم تنو المقام (عشرًا) فقصّ ما بينك وبين شهر، فإذا مضى لك شهر فأتم الصلاة^(٥٥). رغم صراحتها في التخيير في المدينة المنورة في الموضوع لا في الحكم، ولم يستفصل الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ بين المسجد النبوي وبين غيره في جوابه لو كان التخيير خاصاً بالمسجد؛ فإن صحيحه ابن مهزيار حاكمة على هذه الصحة، ولعل أبو ولاد ليس أهلاً لحمل الأمر المذكور.

والمتحصل أن مذهب المشهور من ترخيص المسافر في الإقامة في المواطن

الأربعة هو المنصور.

وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ أَوَّلًا وَآخِرًا، وَصَلَّى اللّٰهُ عَلٰى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ.

المواعش:

- (١) شرح تبصرة المتعلّم للمحقّق العراقي قتيلٌ : ٢٧٣ .

(٢) جمل العلم والعمل: ٧٧ = رسائل المرتضى : ٤٧ .

(٣) من لا يحضره الفقيه: ٢٨٣ ذيل ح ١٢٨٤ .

(٤) لاحظ البدر الراهن، تقرير بحث السيد البروجردي قتيلٌ، بقلم الشيخ المنتظرى: صلاة المسافر تقرير بحث السيد أبو الحسن الإصفهانى قتيلٌ: ٢٩٥ ، ومن اختار ذلك من المعاصرين السيد موسى الزنجانى دام طلته، في رسالته العملية (المسائل الشرعية: ٣٠٢ م ١٣٦٥)، وقد توقّف السيد الشهيد الصدر قتيلٌ - في تعليقه على منهاج الإمام الحكيم قتيلٌ: ١: ٣٦١ م ٧١ ، ت ٤٥٤ - في التخيير، قائلاً: "في نفسي شيءٌ من هذا التخيير، فلا يترك الاحتياط باختيار القصر".

(٥) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٤ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ١.

(٦) معجم رجال الحديث: ١٧: ٧١ .

(٧) معجم رجال الحديث: ١٧: ٧٢ .

(٨) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٤ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٢.

(٩) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٤ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٤.

(١٠) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٥ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٥.

(١١) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٩ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ١٧.

(١٢) مستند العروة الوثقى (صلاة المسافر)= موسوعة الإمام الخوئي قتيلٌ: ٢٠: ٣٩٩ .

(١٣) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٦ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٧.

(١٤) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٦ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٨، ٩.

(١٥) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٧ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ١٢.

(١٦) وسائل الشيعة: ٨: ٥٣٢ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٣٠.

(١٧) وسائل الشيعة: ٨: ٥٣٢ ب ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٣١.

- (١٨) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح ٣٢.
- (١٩) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٣٤ من أبواب صلاة المسافر ح ٣٤.
- (٢٠) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٣٦ من أبواب صلاة المسافر ح ٣.
- (٢١) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٣٢ من أبواب صلاة المسافر ح ٢٨.
- (٢٢) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٢٨ من أبواب صلاة المسافر ح ١٥..
- (٢٣) رجال الكشي (٤٤٦) عنه في معجم رجال الحديث: ١٥: ٢٣٦ (٩٩٧٠).
- (٢٤) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٢٦ من أبواب صلاة المسافر ح ١٠.
- (٢٥) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٢٩ من أبواب صلاة المسافر ح ١٦.
- (٢٦) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٢٦ من أبواب صلاة المسافر ح ١١.
- (٢٧) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٢٩ من أبواب صلاة المسافر ح ١٩.
- (٢٨) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٣٢ من أبواب صلاة المسافر ح ٢٨.
- (٢٩) صلاة المسافر للحقّي الإصفهاني تٰٰش: ١٦٩.
- (٣٠) راجع أحكام الصلاة، تقرير بحث شيخ الشريعة الإصفهاني تٰٰش: ٢٨٥.
- (٣١) المغني: ٢: ١٠٧.
- (٣٢) فقه السنة للشيخ سيد سابق: ١: ١٣٤.
- (٣٣) المغني: ٢: ١٠٧.
- (٣٤) فإن الشيخ النجاشي عليه السلام وإن وثقه قائلاً: «الحسن بن الحسين اللؤلوي كوفي ثقة...» - رجال النجاشي: ٤٠ (٨٣)، إلا أن الشيخ تٰٰش في رجاله قد نقل عن ابن بابويه تٰٰش أنه ضعفه - رجال الطوسي: ٤٢٤ (٦١١٠)، وقد استند فيه إلى تضعيف أستاده ابن الوليد عليه السلام، فقد ضعفه، وتبعه تلميذه الصدوق كما هو دأبه، ومن شايع ابن الوليد في التضعيف المذكور شيخ النجاشي أبو العباس ابن نوح عليه السلام - رجال النجاشي: ٣٤٨ (٩٣٩)، فإما أن يتقدم التضعيف على التوثيق؛ لتقدّم المارح على المعدل مطلقاً أو لتعدد المضعف، وإما أن يتعارضاً فيسقط كلُّ منها، والنتيجة أنه لم تثبت وثاقة اللؤلوي. لاحظ للمزيد معجم رجال الحديث: ٥: ٢٩٧ - ٢٩٨، التنقیح في شرح العروة الوثقى (ك الطهارة) = موسوعة الإمام الخوئي تٰٰش: ١٠: ٣٧٣ - ٣٧٤.
- (٣٥) وسائل الشيعة: ٨ بـ ٥٢٦ من أبواب صلاة المسافر ح ٦.

- (٣٦) صلاة المسافر للمحقق الإصفهاني تبّث: ١٧٠ - ١٧١.
- (٣٧) وسائل الشيعة: ٨: ٥٢٤ بـ ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح٤.
- (٣٨) وسائل الشيعة: ٣: ٤٦٨ بـ ٣٨ من أبواب النجاسات ح٢، لاحظ التفصيغ في شرح العروة الوثقى (ك الطهارة٢)= موسوعة الإمام الخوئي تبّث: ٣: ٨٦.
- (٣٩) لاحظ تقرير مخالفتها للمشهور في مصباح الفقيه٢: ٧٥٨ - ٧٥٩ (الطبعة الحجرية)، صلاة المسافر للسيد علي البهشتى تبّث: ٢٢١ - ٢٢٢.
- (٤٠) تهذيب الأحكام٥: ٤٢٨ (١٤٨٧)، الاستبصار٢: ٣٣٣ (١١٨٣).
- (٤١) جواهر الكلام: ١٤: ٣٣٠.
- (٤٢) لاحظ البدر الزاهر، تقرير بحث السيد البروجردي تبّث: ٣٢٥ - ٣٢٦، أحكام الصلاة تقرير بحث شيخ الشريعة الإصفهاني تبّث: ٢٨٤.
- (٤٣) كامل الزيارات: ٤٢٩ بـ ٨١ ح٩، عنه في جامع أحاديث الشيعة٧: ٨٥ بـ ٢١ من أبواب صلاة المسافر ح٧.
- (٤٤) لاحظ أحكام الصلاة، تقرير بحث شيخ الشريعة الإصفهاني تبّث: ٢٨٨.
- (٤٥) وسائل الشيعة: بـ ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح٥، ٨، ٧، ٦، ١٠.
- (٤٦) قال الشيخ الكليني عليه السلام في أبواب التاريخ - باب مولد أبي جعفر محمد بن علي الثاني عليه السلام: «وقبض عليه سنة عشرين ومائتين في آخر ذي القعدة» الكافي١: ٤٩٢، وروى الكشي عليه السلام: «ومات صفوان بن يحيى في سنة عشر ومائتين بالمدينة، وبعث إليه أبو جعفر عليه السلام بخطه وكفنه، وأمر إسماعيل بن موسى بالصلاحة عليه» عنه في معجم رجال الحديث١٠: ١٣٧، وقال النجاشي عليه السلام: «ومات محمد بن أبي عمير سنة سبع عشرة ومائتين» رجال النجاشي: ٣٢٧ (٨٨٧).
- (٤٧) سورة النساء: ١٠١.
- (٤٨) جواهر الكلام: ١٤: ٣٣١.
- (٤٩) لاحظ البدر الزاهر: ٣٢٧ - ٣٢٨.
- (٥٠) وسائل الشيعة: ٨: ٥٣٤ بـ ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح٣٤.
- (٥١) وسائل الشيعة: ٨: ٥٣٣ بـ ٢٥ من أبواب صلاة المسافر ح٣٣.
- (٥٢) لاحظ للمزيد صلاة المسافر للمحقق الإصفهاني: ١٧١، صلاة المسافر للسيد أبو الحسن

- الإصفهاني تٌثُر: ١٩٨، النجم الظاهر في صلاة المسافر للسيد محمد الحجّة الكوه كمري تٌثُر:
- ١٠١، مستند العروة الوثقى (صلاة المسافر): موسوعة الإمام الخوئي تٌثُر: ٤٠٣: ٢٠.
- (٥٣) كما كتب لي به سماحة السيد الأستاذ دام ظله.
- (٥٤) لاحظ مجلة (رسالة القلم) - السنة الخامسة - العدد السابع عشر: ١٣٠ - ١٤٤، وعنوان الرسالة (مشكل تأخير البيان.. وحله).
- (٥٥) وسائل الشيعة: ٨: ٥٠٩ - ٥٠٨ بـ ١٨ من أبواب صلاة المسافر ح ١.





الراسخون في العلم

فازي عبد الحسن السمك

قال الله العلي العظيم في كتابه الكريم ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفَتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ أَمَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رِبِّنَا وَمَا يَذَكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾^(١).

سبب النزول

عن طريق الشيعة:

جاء في تفسير نور الثقلين نقاً عن كتاب معاني الأخبار بإسناده إلى محمد بن

قيس قال: «سمعت أبا جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ يحدث أن حبيباً وأبا ياسر ابني أخطب ونفراً من
 يهود أهل نجران أتوا رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ وسلم فقالوا له: أليس فيما تذكر فيما أنزل
 الله عليك ألم؟ قال: بلى، قالوا: أتاك بها جبريل من عند الله؟ قال: نعم، قالوا:
 لقد بعث الأنبياء قبلك وما نعلم نبياً منهم أخبرنا ما مدة ملكه، وما أجل أمته
 غيرك، قال: فأقبل حبي بن أخطب على أصحابه فقال لهم: الألف واحد. واللام
 ثلاثون، والميم أربعون، فهذه إحدى وسبعين سنة، فعجب من يدخل في دين
 مدة ملكه وأجل أمته إحدى وسبعين سنة، قال: ثم أقبل على رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ
 فقال: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: هاته، قال: المص، قال: هذه
 أثقل وأطول، الألف واحد واللام ثلاثون، والميم أربعون، والصاد تسعون، فهذه
 مائة وإحدى وستون سنة ثم قال لرسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم،
 قال: هاته، قال: الر، قال: هذه أثقل وأطول، والألف واحد، واللام ثلاثون،
 والراء مائتان، فهل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قال: هاته، قال: المر، قال: هذه
 أثقل وأطول، الألف واحد. واللام ثلاثون، والميم أربعون، والراء مائتان، ثم قال له:
 هل مع هذا غيره؟ قال: نعم، قالوا: قد التبس علينا أمرك فما ندرى ما أعطيت، ثم
 قاموا عنه، ثم قال: أبو ياسر لحيي أخيه: ما يدريك لعل محمداً قد جمع له هذا كله
 وأكثر منه؟ قال: فذكر أبو جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ أن هذه الآيات أنزلت فيهم مِنْهُ آيَاتٌ
 مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأَخْرُ مُتَشَابِهَاتٌ قال: وهي تجري في وجه آخر على غير
 تأويل حبي وأبي ياسر وأصحابهما^(٢). أي أن خصوص المورد لا يخصص الوارد،
 فهي تنطبق على كل من يتبع المتشابهات من الآيات ويدرك المحكمات بغية الفتنة
 والإضلال، فتشمل المنافقين.

عن طريق العامة:

أخرج البخاري في التاريخ وابن جرير من طريق ابن اسحاق عن الكلبي عن

أبي صالح عن ابن عباس عن جابر بن عبد الله ابن رباب قال: مر أبو ياسر بن أخطب فجاءه رجل من اليهود لرسول الله ﷺ وهو يتلو فاتحة سورة البقرة ﴿الْمِنْٰزِيلُ﴾ * **ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ**، فأتى أخاه حبيبي بن أخطب في رجال من اليهود، فقال: أتعلمون؟ والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل عليه ﴿الْمِنْٰزِيلُ﴾ **فَقَالَ: أَتَعْلَمُونَ؟ وَاللَّهُ لَقَدْ سَمِعْتُ مُحَمَّداً يَتْلُو فِيمَا أُنزِلَ عَلَيْهِ** **فَقَالَ: أَنْتَ سَمِعْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَمَشَى حَتَّى وَافَّ أَوْلَئِكَ النَّفَرَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** **فَقَالُوا: أَلَمْ تَقْلِ أَنْكَ تَتَلَوُ فِيمَا أُنزِلَ عَلَيْكَ** **فَقَالَ: بَلِيْ، فَقَالُوا:** لقد بعث بذلك أنبياء ما نعلمه بُين النبي منهم ما مدة ملكه وما أجل أمته غيرك، يا ألف واحدة واللام ثلاثون والمليم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة. ثم قال: يا محمد هل مع هذا غيره؟ قال: نعم **الْمَصْ**، قال: هذه أثقل وأطول ألف واحدة واللام ثلاثون والمليم أربعون والصاد تسعون وهذه إحدى وثلاثون ومائة، هل مع هذا غيره؟ قال: نعم **الرَّ**، قال: هذه أثقل وأطول ألف واحدة واللام ثلاثون والراء مائتان هذه إحدى وثلاثون ومائة سنة. هل مع هذا غيره؟ قال: نعم **الْمَرْ**، قال: هذه أثقل وأطول هذه إحدى وسبعون ومائتان. ثم قال: لقد لبس علينا أمرك حتى ما ندرى أقليلاً أعطيت أم كثيراً. ثم قال: قوموا عنه. ثم قال أبو ياسر لأخيه ومن معه: ما يدرىكم لعله قد جمع هذا كله لحمد إحدى وسبعين وإحدى وثلاثون ومائة وإحدى وثلاثون ومائتان وإحدى وسبعين ومائتان فذلك سبعمائة وأربع سنتين. فقالوا: لقد تشابه علينا أمره. فيزعمون أنَّ هذه الآيات نزلت فيهم **هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ** **وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ**.

وأخرج يونس بن بكير في المغازي عن ابن إسحاق عن محمد بن أبي محمد عن عكرمة عن سعد بن جبير عن ابن عباس وجابر بن رباب أن أبا ياسر بن خطب مرت بالنبي عليه صلوات الله عليه و هو يقرأ فاتحة الكتاب و **الْمَذْكُورُ الْكِتَابُ** ذكر

القصة^(٣).

وجاء في ظلال القرآن أن نصارى نجران قالوا للرسول ﷺ ألسنت تقول عن المسيح: إنه كلمة الله وروحه؟ يريدون أن يتذمروا من هذا التعبير أداة لتشبيت معتقداتهم عن عيسى عليه السلام وأنه ليس من البشر، إنما هو روح الله - على ما يفهمون هم من هذا التعبير - بينما هم يتركون الآيات القاطعة المحكمة التي تقرر وحدانية الله المطلقة، وتنفي عنه الشريك والولد في كل صورة من الصور.. فنزلت فيهم هذه الآية، تكشف محاولتهم هذه في استغلال النصوص المجازية المصورة، وترك النصوص التجریدية القاطعة^(٤).

اللغة

"الحكم" مأخوذ من قولك أحكمت الشيء إذا أتقنته، وأم الكتاب أصله، والتشابه الذي يشبه بعضه ببعضًا فيغمض، أخذ من الشبه لأنه يشتبه به المراد، والزيف الميل، وإزاغة إمالة، والتزايغ التمايل في الأسنان، والابتغاء الطلب، والفتنة أصلها الاختبار من قوله فتنت الذهب بالنار أي اختبرته، والتأويل التفسير، وأصله المرجع والمصير من قوله آل أمره إلى كذا يقول أولاً، إذا صار إليه وأولته تأويلاً إذا صيرته إليه، والراسخون الثابتون يقال رسم رسوحاً إذا ثبت في موضعه وأرسخه غيره^(٥).

المعنى

لما تقدم بيان إنزال القرآن عقبه بيان كيفية إنزاله فقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدَ الْكِتَابَ﴾ أي القرآن ﴿مِنْهُ﴾ أي من الكتاب ﴿آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصل الكتاب ﴿وَآخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ قيل في المحكم والتشابه أقوال:

(أحدها): أنّ الحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترب إلية ولا دلالة تدل على المراد به لوضوحة نحو قوله تعالى ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا﴾ و﴿لَا يَظْلِمُ مِنْقَالَ ذَرَةٍ﴾ ونحو ذلك مما لا يحتاج في معرفة المراد به إلى دليل. والمتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره حتى يقترب به ما يدل على المراد منه للتباين، وهذا قول مجاهد. نحو قوله ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ يحتمل في اللغة أن يكون كاستواء الحالس على سريره وأن يكون بمعنى القهر والاستيلاء والوجه الأول لا يجوز عليه سبحانه، بخلاف الثاني. حيث إن الله عَزَّوجَلَّ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾^(٦)، وهي من الآيات الحكيمات، فلا بد حينئذٍ من ردّ المتشابه إلى الحكم.

(وثانيها): أنّ الحكم الناسخ والمتشابه المنسوخ، وهذا القول عن ابن عباس.
 (ثالثها): أنّ الحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً والمتشابه ما يحتمل وجهين فصاعداً، وهذا القول عن محمد بن جعفر بن الزبير وأبي علي الجبائي.

(ورابعها): أنّ الحكم ما لم تتكرر ألفاظه والمتشابه ما تكرر ألفاظه كقصة موسى وغير ذلك، وهذا القول عن ابن زيد.

(خامسها): أنّ الحكم ما يعلم تعيين تأويله والمتشابه ما لا يعلم تعيين تأويله كقيام الساعة، وهذا القول عن جابر بن عبد الله^(٧).

وإنما وحد أم الكتاب ولم يقل هن أمهات الكتاب لوجهين:

(أحدهما): أتّه على وجه الجواب كأنه قيل ما أُمُّ الكتاب فقال هن أُمُّ الكتاب كما يقال من نظير زيد فيقال نحن نظيره.

(والثاني): أنّ الآيات بمجموعها أصل الكتاب وليس كل آية حكمة أُم الكتاب وأصله، لأنّها جرت مجرى شيء واحد في البيان والحكمة ومثله قوله

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهَ آيَةً﴾ ولم يقل آيتين لأن شأنهما واحد في أنها جاءت به من غير ذكر فلم تكن الآية لها إلا به ولا له إلا بها، ولو أراد أن كل واحد منها آية على التفصيل لقال آيتين.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْغٌ﴾ أي ميل عن الحق وإنما يحصل الزبغ بشك أو جهل.

﴿فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ أي يحتجون به على باطلهم «ابتغاء الفتنة» أي لطلب الضلال والإضلal وإفساد الدين على الناس، وقيل لطلب التلبيس على ضعفاء الخلق عن مجاهد، وقيل لطلب الشرف والمال كما سمي الله المال فتنـة في مواضع من كتابه، وقيل المراد بالفتنة ها هنا الكفر وهو المروي عن أبي عبد الله وقول الربيع والسدي.

﴿وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ ولطلب تأويله على خلاف الحق، وقيل: لطلب مدة أكل محمد -أي رزقه وحظه من الدنيا- على حساب الجمل وابتغاء معاقبته.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَبْغٌ فَيَتَبَعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ﴾ قيل: عني به وفد نجران لما حاجوا النبي ﷺ في أمر عيسى عليه السلام، عن الربيع، وقيل هم اليهود طلبوا علم أكل هذه الأمة واستخرجه بحساب الجمل عن الكلبي، وقيل هم المنافقون عن ابن جريح، وقيل بل كل من احتاج بالتشابه لباطله فالآية فيه عامة عن قنادة.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ أي الثابتون في العلم الضابطون له المتقنون فيه «يَقُولُونَ آمَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» معناه: الحكم والتشابه جميعاً من عند ربنا.

﴿وَمَا يَذَكَّرُ﴾ أي وما يتذكر في آيات الله ولا يرد المشابه إلى الحكم «إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ أي: ذوي العقول^(٨).

الراسخون في العلم

اختلف في إعراب «الراسخون» وفي نظمه وحكمه من حيث الوقف، ومن ثم في مدلول ذيل الآية المباركة ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ على قولين^(٩):

(الأول): أن الواو في قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ﴾ واو استئنافية و(الراسخون) مبتدأ، خبره جملة يقولون آمناً^(١٠).

فعلى هذا القول يكون العلم بتأويل المتشابه منحصر في الله تعالى، والوقف عند قوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ ويبتديء ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ فيكون مبتدأ وخبراً، وهذا قول عائشة وعروبة بن الزبير والحسن ومالك واختيار الكسائي والفراء والمجبائي وقالوا: إن الراسخين لا يعلمون تأويله ولكنهم يؤمنون به، فالآية راجعة على هذا التأويل إلى العلم بعدة أكل هذه الأمة وقت قيام الساعة وفناء الدنيا وقت طلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى وخروج الدجال ونحو ذلك مما استأثر الله به^(١١).

فيخرج حينئذ (الراسخون في العلم) عن فضيلة العلم بالتأويل، ويُحطوا عن رتبة استحقوها ونوه عليها القرآن الكريم في هذا السياق المشرق إذ وصفهم بالرسوخ في العلم.

وي يكن أن يحتاج لهذا القول بعدة روایات جمعت في الدر المنثور^(١٢):
 منها: عن ابن عباس قال تأويله يوم القيمة لا يعلمه إلا الله.
 ومنها: ما ورد عنه أيضاً في بيان وجوه القرآن: وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير تعرفه العرب بلغتها، وتفسير لا يعلم تأويله إلا الله ومن ادعى علمه فهو كاذب. وفي رواية أخرى: وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلم تأويله إلا الله ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب.

ومن طريق طاوس عن ابن عباس أيضاً كان يقرأها وما يعلم تأويله إلا الله
ويقول الراسخون في العلم آمنا.

وعن الأعمش قال في قراءة عبد الله: وإن حقيقة تأويله إلا عند الله
والراسخون في العلم يقولون آمنا.

وذكر في الدر المثور رواية هذا القول أيضاً عن رأي عائشة وأبي الشعثاء
وعروة وعمرو بن عبد العزيز ومالك وذكر أيضاً أحاديث تحذر من المحادلة في
كتاب الله واتباع المتشابه، منها ما أخرجه عبد الرزاق وسعيد وعبد بن حميد
والجوامع الستة وغيرهم عن عائشة عن رسول الله عليه وآله أَنَّهْ قرأ الآيات وقال:
فإِذَا رأَيْتُمُ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِيهِ فَهُمُ الَّذِينَ عَنْهُمُ اللَّهُ فَاحْذِرُوهُمْ. وفي لفظ البخاري
فإِذَا رأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَبعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَاحْذِرُوهُمْ^(١٣).

ويرد عليه بعد غضّ النظر عن الأسانيد وما فيها:

أولاً: إنّ يوم القيمة الذي ذكر في حديث ابن عباس خارج عن محل الخلاف
وسوق الآية وموضوعها من التأويل، حيث إن محل الخلاف هو ما عناه بقوله:
وتفسير تعلمه العلماء، أو تفسره، وقوله في حديث آخر: ظهره التلاوة وبطنه
التأويل، فجالسوا به العلماء وجانبوا به السفهاء.

ثانياً: أمّا ما روی من طريق طاوس عن ابن عباس أنه كان يقرأها وما يعلم
تأويله إلا الله ويقول الراسخون في العلم آمنا. فيرد عليهما توادر غيرها، وإجماع
المسلمين على عدم الاعتناء بها.

ثالثاً: أمّا الآراء التي ذكرنا روایتها، فهو اجتهاد في محل النزاع بلا دليل.

رابعاً: أمّا التحذير من يجادل ويتبع المتشابه فإنّما هو تحذير من الضاللين
المضلّين الذين في قلوبهم مرض، لا الراسخين في العلم^(١٤).

(الثاني): أنّ (الراسخون) معطوف على الله تَعَالَى بالواو، على معنى: أنّ تأويل

المنتبه لا يعلم إلا الله وإن الراسخون في العلم فإنهم يعلمونه، و﴿يَقُولُونَ﴾ على هذا في موضع النصب على الحال وتقديره قائلين «آمَنَّا بِهِ كُلُّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا»^(١٥).

فحينئذ يُعطِّف «راسخون» على لفظ **الجلالة** من حيث القراءة ولا يوقف على لفظ **الجلالة**، ويكون المعنى أنَّ الله جلت آلاهُ فتح للراسخين في العلم باب العلم بالتأويل بلطفه، وكرمه بهذه الرتبة بتعليمه^(١٦).
يمكن أن يحتاج على القول الثاني بأمر:

الأول:- دلالة العقل:

فإنَّ المنتبه الذي أشرنا إليه وإلى وجوه تشابهه والذي يتبعه ويطلبه الزائعون عن الحق ابتغاء الفتنة في أمر الدين ونظام الملة وأحكام الشريعة هو في القرآن كثير جداً. وما لا يصح في العقل أنه مع هذه الكثرة يحرم الله من تأويله والعلم به رسوله المادي الكريم وأمناءه على الوحي، وعلماء الأمة. فيكون القسم الكبير من القرآن الكريم لا فائدة في تنزيله للبشر مطلقاً حتى الرسول الأكرم ولا أثر له إلا صدى ألفاظه وسود حروفه^(١٧).

الثاني:- النقل الصحيح من الفريقيين:

أولاً:- ما ورد من طريقنا:

ففي تفسير القمي في الصحيح عن الباقر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ قال: «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَفْضَلُ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ قَدْ عَلِمَ جُمِيعَ مَا أُنْزِلَ فِي الْقُرْآنِ مِنَ التَّنْزِيلِ وَالتَّأْوِيلِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَنْزِلَ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَعْلَمْ تَأْوِيلَهُ وَأَوْصِيَاهُ مِنْ بَعْدِهِ يَعْلَمُونَهُ كُلَّهُ»^(١٨). وعن العياشي مثله. وفي الكافي عن أحد همَا عَلَيْهِمَا مَثْلُهُ.

وفي الكافي في الصحيح عن الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّكُ: «نَحْنُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ وَنَحْنُ نَعْلَمُ



تأويله»^(١٩). ونحوه عن تفسير العياشي.

وفي نهج البلاغة وغيره قول أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ولقد جتّهم بالكتاب مشتملاً على التنزيل والتأويل»^(٢٠).

ثانياً: ما ورد من طرق العامة:

ما في الدر المنثور أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن الأباري من طريق مجاهد عن ابن عباس قوله: إنا من يعرف تأويله.

وأخرج أحمد والطبراني وأبو نعيم في الحلية عن ابن عباس أن رسول الله عليه صلوات الله عليه وآله قال: «اللهم أعط ابن عباس الحكمة وعلمه التأويل».

وأخرج الحاكم في مستدركه وابن أبي شيبة: «اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل».

وأخرج الحاكم أيضاً: «اللهم علمه تأويل القرآن».

وأخرج ابن ماجه وابن سعد والطبراني «اللهم علمه الحكمة وتأويل الكتاب».

فلو كان علم التأويل منحصراً بالله ولم يعلمه رسوله والراسخين في العلم، لما دعا به رسول الله عليه وآله لابن عباس. وما هو معنى الدعاء بما لا يرجى وقوعه.

وأخرج الحاكم في الصحيح على شرط البخاري ومسلم كما هي عادته في المستدرك عن معقل بن يسار عن رسول الله عليه وآله: «اعملوا بكتاب الله فما اشتبه عليكم فسائلوا عنه أهل العلم يخبروكم». والذي يشتبه عليهم هو المتشابه.

وأخرج أحمد وأبو يعلى في مستديهما والبيهقي في شعبه والحاكم في مستدركه وأبو نعيم في الحلية وسعيد بن منصور في سننه وابن السكن عن الأخضر الأنباري. والدليلي عن أبي ذر جمعاً عن رسول الله عليه وآله أن علياً عليه السلام يقاتل على تأويل القرآن كما قاتل هو عليه وآله على تنزيله.

ومفاد الحديث أن أمير المؤمنين عليه السلام كان عالماً بتأويل القرآن على حقيقته



فهو يقاتل دفاعاً عنه وتشبيتاً لحقائقه في الدين وأساسياته كما قاتل رسول الله عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دفاعاً عن تنزيله^(٢١).

الثالث:- دلالة سياق القرآن:

فإن تمجيد الراسخين في العلم بهذا التمجيد السامي والصفة الفائقة إنما يناسب عطفهم في مقام العلم بالتأويل ورسوخهم فيه وبجدهم في الإيام بؤدّاه على بصيرة من أمرهم، وأماماً قوّلهم آمناً، فلو أريد به الإيام بنزول لفظه من دون علم بعنه ولا عمل به، لكان المناسب له وصفهم بتصليبهم في الإيام والتسليم لرسول الله في التنزيل^(٢٢).

ومما يؤيده هذا القول أن الصحابة والتابعين أجمعوا على تفسير جميع آيات القرآن ولم نرهم توقفوا على شيء منه ولم يفسروه؛ بأن قالوا هذا متشابه لا يعلمه إلا الله، وكان ابن عباس يقول في هذه الآية أنا من الراسخين في العلم^(٢٣).

السر في وجود المتشابه

قد يقال: إن القرآن كتاب هداية لعموم البشر، ووجود المتشابهات فيه - وهي كثيرة - يلزم منه نقض الغرض، بحيث يتنافى مع كونه كتاب هداية.

وقد أجاب صاحب تفسير الأمثل بعده نقاطاً:

أولاً: إن الألفاظ والكلمات التي يستعملها الإنسان للحوار هي لرفع حاجته اليومية في التفاهم، ولكن ما إن نخرج عن نطاق حياتنا المادية وحدودها، كأن نتحدث عن الخالق الذي لا يحده أي لون من الحدود، نجد بوضوح أن ألفاظنا تلك لا تستوعب هذه المعاني، فنضطر إلى استخدام ألفاظ أخرى وإن تكن قاصرة لا تفي بالغرض تماماً من مختلف الجهات.

ثانياً: كثير من الحقائق تختص بالعالم الآخر، أو بعالم ما وراء الطبيعة مما هو

بعيد عن أفق تفكيرنا، وإننا -بحكم وجودنا ضمن حدود سجن الزمان والمكان- غير قادرين على إدراك كنهها العميق. قصور أفق تفكيرنا من جهة، وسمو تلك المعاني من جهة أخرى، سبب آخر من أسباب التشابه في بعض الآيات، كالي تتعلق بيوم القيمة مثلاً.

وهذا أشبه بالذى ي يريد أن يشرح لجنين في بطن أمّه مسائل هذا العالم الذي لم يره بعد، فهو إذا لم يقل شيئاً يكون مقصراً، وإذا قال كان لا بدّ له أن يتحدث بأسلوب يتناسب مع إدراكه.

ثالثاً: من أسرار وجود المتشابهات في القرآن إثارة الحركة في الأفكار والعقول وإيجاد نهضة فكرية بين الناس. وهذا أشبه بالمسائل الفكرية المعقدة التي يعالجها العلماء لتقوية أفكارهم ولتعزيز دقتهم في المسائل.

رابعاً: النقطة الأخرى التي ترد بشأن وجود المتشابهات في القرآن، وتأييدها أخبار أهل البيت عليهما السلام، هي أنّ وجود هذه الآيات في القرآن يصعب حاجة الناس إلى القادة الإلهيين والنبي عليةما أوراه والأوصياء، فتكون سبباً يدعوا الناس إلى البحث عن هؤلاء والاعتراف بقيادتهم عملياً والاستفادة من علومهم الأخرى أيضاً. وهذا أشبه ببعض الكتب المدرسية التي أنيط فيها شرح بعض المواضيع إلى المدرس نفسه، لكي لا تقطع علاقة التلاميذ بأساتذهم، ولكي يستمرّوا - بسبب حاجتهم هذه - في التزوّد منه على مختلف الأصعدة.

وهذا أيضاً مصداق وصيحة رسول الله عليهما السلام حين قال: «أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيته، وإنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^(٢٤).

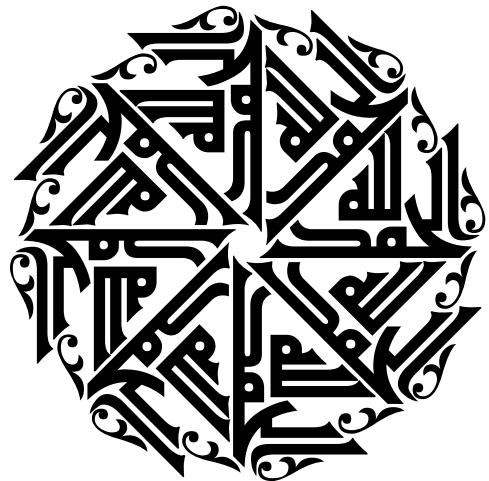
المواهش:

(١) آل عمران الآية ٧.

- (٢) تفسير نور القلدين الشيخ الحويني ج ١ ص ٣١٤.
- (٣) الدر المنشور في تفسير المؤثر، جلال الدين السيوطي ج ٢ ص ٥.
- (٤) في ظلال القرآن للسيد قطب بن إبراهيم الشاذلي ج ١ ص ٣٦٩.
- (٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج ٢ ص ٦٩٩.
- (٦) الشورى الآية ١١.
- (٧) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج ٢ ص ٧٠٠ (بتصرف).
- (٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج ٢ ص ٧١ (بتصرف).
- (٩) الإعراب: (الواو) حالية (ما) نافية (يعلم) مضارع مرفوع (تأويل) مفعول به منصوب و(الهاء) هنا وفي السابق ضمير مضاف إليه (إلا) أداة حصر (الله) لفظ الجلالة فاعل مرفوع (الواو) عاطفة (الراسخون) معطوف على لفظ الجلالة مرفوع وعلامة رفعه الواو، (في العلم) جارٌ ومحرر متعلق بـ(الراسخون)، (يقولون) مضارع مرفوع وعلامة الرفع ثبوت النون والواو فاعل (آمناً) فعل ماض مبنيٌّ على السكون. (و نا) فاعل (به) حرف جر و (الهاء) ضمير في محل جر متعلق بـ (آمناً)، (كلٌّ) مبتدأ مرفوع والتنوين للعوض (من عند) جارٌ ومحرر متعلق بمحذف خبر المبتدأ كلٌّ (ربٌّ) مضارع إليه محرر و(نا) ضمير مضارع إليه (الواو) استئنافية (ما) نافية (يذكر) مضارع مرفوع (إلا) أداة حصر (أولو) فاعل مرفوع وعلامة الرفع الواو فهو ملحق بجمع المذكر السالم (الألباب) مضارع إليه محرر.
- ويجوز جعل الواو استئنافية و(الراسخون) مبتدأ خبره جملة يقولون آمناً. وهذه الآية عوض من تكرار (آمناً) وما بعدها، وكأنَّ الأصل أن يقال: وأمّا غيرهم فيؤمنون به معناه إلى ربِّهم.
- و جملة: «يقولون» في محل نصب حال من (الراسخون).
- (١٠) المجدول في إعراب القرآن، محمود بن عبد الرحيم الصافي ج ٣، ص: ١١٢.
- (١١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج ٢ ص ٧٠٢.
- (١٢) الدر المنشور في تفسير المؤثر، جلال الدين السيوطي ج ٢ ص ٧.
- (١٣) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي، ج ١ ص ٢٥٧.
- (١٤) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي، ج ١ ص ٢٥٧.
- (١٥) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج ٢ ص ٧٠٢.
- (١٦) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي، ج ١ ص ٢٥٦.



- (١٧) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي، ج ١ ص ٢٥٧.
- (١٨) تفسير القمي، علي بن إبراهيم القمي، ج ١ ص ٩٦.
- (١٩) الكافي، الكليني، ج ١ ص ٢١٣.
- (٢٠) تفسير كنز الدقائق، الميرزا محمد المشهدی، ج ١ ص ٥.
- (٢١) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي، ج ١ ص ٢٥٨.
- (٢٢) آلاء الرحمن في تفسير القرآن، محمد جواد البلاغي، ج ١ ص ٢٥٨.
- (٢٣) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، ج ٢، ص ٧٠٢.
- (٢٤) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ج ٢ ص ٣٩٩.





صلة ذرية الرسول ﷺ

علي أحمد الكريماوي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآلـهـ الطاهرينـ.

ورد في ذيل الآية المباركة التالية مجموعة من الروايات الشريفة المتعلقة بصلة الرحم، ولا سيما رحم رسول الله ﷺ، فقال عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَونَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ﴾^(١)، ومن تلك الروايات ما نقله صاحب الميزان رحمه الله عن الكافي الشريـف بإسناده عن عمر بن يزيد قال: «سألت أبا عبد الله عـلـيـهـ الـكـلـيـلـةـ عن قول الله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمْرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قال: قرابتك».

وفيه أيضاً بـإسناد آخر عنه قال: قلت لأبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾، قال: «نزلت في رحم آل محمد، وقد يكون في قرابتك». ثم قال: «ولا تكون من يقول في شيء أنه في شيء واحد». أقول -والكلام للعلامة الطباطبائي - يعني لا تقصر القرآن على معنى واحد إذا احتمل معنى آخر فإن للقرآن ظهراً وبطناً..

وفي تفسير العياشي عن عمر بن مريم قال: سألت أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ عن قول الله: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قال: «من ذلك صلة الرحم وغاية تأويلها صلتكم إلينا».

وفيه عن محمد بن الفضيل قال: سمعت العبد الصالح يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَصْلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾ قال: «هي رحم آل محمد معلقة بالعرش تقول اللهم صل من وصلني وقطع من قطعني، وهي تجري في كل رحم»^(٢).

معنى الرحم وتعلقه بالعرش

بعد أن تعرض العلامة الطباطبائي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى معنى الرحم في اللغة وأنه ذلك العضو من المرأة الذي يكون محلاً للجنين، عرف الرحم في الاصطلاح بعد أن ذكر هذه الرواية قائلاً: «وفي تفسير العياشي عن الأصبغ بن نباتة قال: سمعت أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول: إن أحدكم ليغضب بما يرضي حتى يدخل النار، فأيما رجل منكم غضب على ذي رحمه فليدين منه فإن الرحم إذا مستها الرحم استقرت، وإنها متعلقة بالعرش تنقضه انتقام الحديد فتنادي: اللهم صل من وصلني وقطع من قطعني وذلك قول الله في كتابه: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَّقِيبًا﴾^(٣) وأيما رجل غضب وهو قائم فليلزم الأرض من فوره فإنه يذهب رجز الشيطان».

ثم يقوم عَلَيْهِ السَّلَامُ بتعريف الرحم قائلاً: «أقول: والرحم كما عرفت هي جهة الوحدة

الموجودة بين أشخاص الإنسان من حيث اتصال مادة وجودهم في الولادة من أب وأم أو أحدهما، وهي جهة حقيقة سائرة بين أولي الأرحام لها آثار حقيقة خلقية وخلقية، روحية وجسمية غير قابلة الإنكار وإن كان ربما توجد معها عوامل مخالفة تضعف أثرها أو تبطله بعض الإبطال حتى يلحق بالعدم ولن يبطل من رأس^(٤).

هذا فيما يرتبط بعنى الرحم، وأما ما يرتبط بعنى العرش فيشير العلامة قتيل إلى كون العرش هو مقام العلم الإجمالي، والعلم الإجمالي هو مقام الإحاطة بجميع المعلومات، ومقام التوفر على جميع الأسباب والعلل، فليس المقصود من العلم الإجمالي هو ذلك المصطلح الأصولي الذي يشير إلى الأفراد المتردد فيها؛ وأن العلم ينطبق على أي فرد منها، بل المقصود به هو ذلك العلم البسيط المتوفّر على جميع المعلومات والأسباب والعلل، ولكن بنحو غير تفصيلي؛ وقد يقرب ذلك بمثل العلم المتوفّر لدى الفقيه أو الأستاذ أو الحاضر؛ الذي يتوفّر على علم بجميع ما سبقه أو سيجيّب به على سؤال السائل قبل أن يشرع في الإلقاء أو الجواب، فهو في هذه المرحلة بعد علم إجمالي بسيط، وأما عندما يجيّب هذا الفقيه على سؤال السائل، أو يلقي ذلك الحاضر محاضرته فإنه يشرع في البسط والاستدلال وقياس المقدمات بعضها إلى البعض الآخر.. نعم، المقدمات نفسها التي يعلم بها قبل الكلام، ولكنه حال الكلام يرتب بعضها على الآخر ويستنتج نتائج جديدة لم تكن خاطرة في باله قبل الإجابة، ولكن عدم خطورها لا ينافي كونها موجودة لديه، وإلا فإن فاقد الشيء لا يمكن أن يعطيه!! نعم فهي موجودة لديه من أول الأمر ولكن بصورة بسيطة إجمالية، وأما بعد الإجابة فإن هذا العلم الإجمالي يتحول إلى علم تفصيلي.

والمراد أن مقام العلم الإجمالي لدى الباري جلَّ وجلَّ هو مقام التوفر والاستعمال على جميع المعلومات وجميع الأسباب والعلل ولكن بنحو الاندماج إن صح

التعبير.

يقول السيد العلامة عليه السلام في معنى العرش: " قوله عليه السلام: وإنها متعلقة بالعرش تنقضه انتفاضة الحديد"(إخ) أي تحدث فيه صوتاً مثل ما يحدث في الحديد بالنقر، وفي الصحاح: الإنفاض صوت مثل النقر، وقد تقدم في الكلام على الكرسي إشارة إجمالية سيأتي تفصيلها في الكلام على العرش: أن المراد بالعرش مقام العلم الإجمالي الفعلى بالحوادث وهو من الوجود المرحلة التي تجتمع عندها شتات أزمة الحوادث ومتفرقات الأسباب والعلل الكونية فهي تحرك وحدها سلاسل العلل والأسباب المختلفة المتفرقة أي تتعلق بروحها الساري فيها المحرك لها كما أن أزمة الملكة على اختلاف جهاتها وشأنها وأشكالها تجتمع في عرش الملك، والكلمة الواحدة الصادرة منه تحرك سلاسل القوى والمقامات الفعالة في المملكة وتظهر في كل مورد بما يناسبه من الشكل والأثر.

والرحم كما عرفت حقيقة هي كالروح السالب في قوالب الأشخاص الذي يجمعهم جامع القرابة فهي من متعلقات العرش، فإذا ظلمت واضطهدت لاذت بما تلقت به واستنصرت، وهو قوله عليه السلام: تنقضه انتفاضة الحديد^(٥).

الدعوة إلى رعاية حق السادة من ذرية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

وردت الدعوة إلى رعاية حق أبناء الرسول وذريته وقرباته في جملة من النصوص الروائية المنسوبة إلى المعصومين عليهم السلام، ولا سيما تلك الروايات المنسوبة إلى النبي الأكرم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والتي قد يفهم من بعضها أنها دعوة لصلة الذرية الطاهرة المتمثلة في المعصومين عليهم السلام، غير أن جملة منها يشير إلى عموم المنتسبين له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا خصوص الأئمة عليهم السلام. ومن جملة هذه الروايات:

- ما نسب إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أنه قال: «أكرموا أولادي وحسنوا آدابي».

- ونقل عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أيضاً: «أحبوا أولادي، الصالحون لله، والطالعون لي».

- وعنه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مِنْ أَكْرَمِ أُولَادِيْ فَقَدْ أَكْرَمَنِي»^(٦) .

ومن تلك الدعوات الآيات القرآنية الواردة في رعاية حق قربى النبي الأعظم عليه السلام، فقد يفهم منها الدعوة لصلة الذرية المباركة للرسول عليه السلام أعم من المعصومين من نسل فاطمة الزهراء عليها السلام، وذلك ما يفهم من وصية العالمة الحلي قيتش لابنه، حيث قال عليه السلام في قواعد الأحكام ص ٣٤٦ - ٣٤٧ في وصيته لابنه: "وعليك بصلة الذرية العلوية، فإن الله تعالى قد أكد الوصية فيهم، وجعل مودتهم أجر الرسالة والإرشاد، فتقال تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾" (٧).

وفي الرواية المنسوبة للأمير يسأل عَلَيْهِ الْكَلَمُ بعضمهم فيقول: أو تدرى ما هذه الرحمة التي من وصلها وصله الرحمن ومن قطعها قطعه؟ فقيل: يا أمير المؤمنين حث بها كل قوم على أن يكرموا أقرباءهم ويصلوا أرحامهم، فقال لهم: أی حث |هم على أن يصلوا أرحامهم الكافرين! قالوا: لا، ولكن حثهم على صلة أرحامهم المؤمنين. قال: فقال: أوجب حقوق أرحامهم لاتصالهم بآبائهم وأمهاتهم، قلت: بل يا أخا رسول الله، قال: فهم إذن إنما يقضون فيهم حقوق الآباء والأمهات، قلت: بل يا أخا رسول الله، قال: فآباؤهم وأمهاتهم إنما غذوهم من الدنيا، ووقوهم مكارهها، وهي نعمة زائلة، ومكروه ينقضي، ورسول ربهم ساقهم إلى نعمة دائمة، ووقاهم مكروهاً مبدأ لا يبيد، فما هي النعمتين أعظم؟ قلت: نعمة رسول الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ أعظم وأجل وأكبر، قال: فكيف يجوز أن يحيث على قضاء حق من صغر حقه، ولا يحيث على قضاء [حق] من كبر حقه؟ قلت: لا يجوز ذلك، قال: فإذا حق رسول الله أعظم من حق الوالدين، وحق رحمة أبيضاً أعظم من حق رحهما، فرحم رسول الله أولى بالصلة، وأعظم في القطيعة، فالويل كل الويل لمن قطعها، والويل كل الويل لمن لم يعظم حرمتها، أو ما علمت أن حرمة رسول الله حرمة رسول الله! وأن حرمة رسول الله حرمة الله تعالى! وأن الله تعالى أعظم حقاً من كل منعم سواء! وأن كل منعم سواء إنما أنعم حيث قيشه لذلك

ربه ووفقه له^(٨).

الجزاء المترتب على صلة أبناء الرسول ﷺ

وردت الإشارة في جملة من النصوص الروائية إلى أن للمحسن إلى ذرية رسول الله ﷺ أجرًا وجزاء من قبل الله تعالى، وأن هذا الجزاء أنواعًا وصنوفًا متعددة، ويُكَنّْا أن نلحظه من زاوية محله فنقسمه إلى جزاء دنيوي وجزاء آخروي، فمن الجزاء الدنيوي ما يذكر من قضاء الحاجات الدنيوية كزيادة الرزق، إلا أن هذا الجزاء الدنيوي لا يبدو من الروايات الشريفة كونه منحصرًا في أفراد معينة من الجزاء، بل الظاهر أنه يتسع لجميع أنواع الحاجات الدنيوية الداخلة في دائرة المباحثات، فت تكون الصلة لأبناء الرسول ﷺ كالدعاء سبباً في تيسير الأمور وقضاء الحاجات على اختلافها، ولا ينافي ذلك عدم قضاء بعض الحاجات المجهولة بين يدي الإحسان إلى الذرية المباركة للنبي الأعظم ﷺ، ذلك أن الله تعالى قد يدخل قضاء هذه الحاجات لآخرة لما يراه من مصلحة العبد، كما هو الحال في تأخير استجابة الدعاء. ونذكر هنا رواية يمكن أن تؤيد الجزاء الدنيوي، ثم نعقب عليها بعنوان آخر حول صنوف الجزاء الآخروي الواردة في الروايات الشريفة.

إيثار أبناء الرسول ﷺ

ذكر صاحب البحار رحمه الله في هذا الشأن رواية متسوبة إلى الإمام المجتبى علیه السلام:

(وقال الحسن بن علي علیه السلام): إن رجلاً جاء عياله، فخرج يغري لهم ما يأكلون، فكسب درهماً فاشترى به خبزاً وأدماً، فمر برجل وامرأة من قرابات محمد وعلي علیهم السلام فوجدهما جائعين، فقال: هؤلاء أحق من قراباتي، فأعطاهما إياهما ولم يدر بماذا يحتاج في منزله، فجعل يمشي رويداً يتفكر فيما يتذرع به عندهم ويقول لهم ما فعل بالدرهم إذ لم يجعلهم بشيء، فبينما هو متخير في طريقه إذا بفقيح يطلبه، فدل عليه فأوصل إليه كتاباً من مصر وخمسة دينار في صرة وقال: هذه بقية حملته إليك من مال ابن عمك، مات

عصر وخلف مائة ألف دينار على تجار مكة والمدينة، وعقاراً كثيراً ومالاً. عصر بأضعاف ذلك. فأخذ الخمسمائة دينار ووضع على عياله، ونام ليته فرأى رسول الله ﷺ وعليه ﷺ فقال له: كيف ترى إغناعنا لك لما آثرت قرباتنا على قرابتك؟ ثم لم يبق بالمدينة ولا بمكة من عليه شيء من المائة ألف دينار إلا أتاه محمد وعلي في منامه وقال له: إما بكرت بالغداة على فلان بحقه من ميراث ابن عمّه وإنما بكر عليك بهلاكك وأصطلامك وإزالة نعمك وإبانتك من حشمرك، فأصبحوا كلهم وحملوا إلى الرجل ما عليهم، حتى حصل عنده مائة ألف دينار، وما ترك أحد عصر من له عنده مال إلا وأتاه محمد وعليه ﷺ في منامه وأمره أمر تهدّد بتعجيل مال الرجل أسرع ما يقدر عليه، وأتى محمد وعلي هذا المؤثر لقرابة رسول الله في منامه فقال له: كيف رأيت صنع الله لك؟ قد أمرنا من عصر أن يعدل إليك مالك، فأنما أمر حاكمها بأن يبيع عقارك وأملاكه ويستفتح^(٩) إليك بأثمانها لتشتري بدها من المدينة؟ قال: بلى، فأتى محمد وعليه ﷺ حاكم مصر في منامه فأمره أن يبيع عقاره والسفتجة بشمنه إليه، فحمل إليه من تلك الأثمان ثلاثة ألف دينار، فصار أغنى من بالمدينة، ثم أتاه رسول الله ﷺ فقال: يا عبد الله هذا جزاوك في الدنيا على إيثار قرابتي على قرابتك، ولأعطيتك في الآخرة بدل كل حبة من هذا المال في الجنة ألف قصر، أصغرها أكبر من الدنيا، مغرز كل إبرة منها خير من الدنيا وما فيها)^(١٠).

وتذكر في هذا المقام مجموعة من الحوادث والقصص الأخرى كمؤيدات، فلتطلب من مظانها، وقد يدعى كون هذه القضية من الجرّبات؛ من أن رعاية السادة الكرام من أبناء النبي ﷺ وصلتهم توجبان البركة الدنيوية.

أنواع الجزاء الآخروي للمحسنين إلى ذرية محمد ﷺ

الأول:- نيل شفاعة الرسول:

ورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حقت شفاعتي لمن أuan ذريقي بيده ولسانه

وماله»^(١١).

وعن الرضا عليه السلام عن آبائه الكرام عليهم السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «أربعة أنا لهم شفيع يوم القيمة: المكرم لذربي، والقاضي لهم حواتجهم، والسايع لهم في أمرهم عندما اضطروا إليه، والمحب لهم بقلبه ولسانه»^(١٢). وفي الرواية عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أني شافع يوم القيمة لأربعة أصناف ولو جاعوا بذنب أهل الدنيا: رجل نصر ذريبي، ورجل بذل ماله لذربي عند الضيق، ورجل أحب ذريبي باللسان وبالقلب، ورجل يسعى في حوائج ذريبي إذا طردوها أو شردوا»^(١٣).

الثاني:- شفاعة الوالصلين الذرية المباركة لغيرهم:

في الرواية عن أبي جعفر عليه السلام: «إذا كان يوم القيمة جمع الله الأولين والآخرين فينادي مناد: من كانت له عند رسول الله يد فليقم، فيقوم عنق من الناس، فيقول: ما كانت أيديكم عند رسول الله؟ فيقولون: كنا نصل أهل بيته من بعده، فيقال لهم: اذهبوا فطوفوا في الناس، فمن كانت له عندكم يد فخذلوا بيده فادخلوه الجنة»^(١٤).

الثالث:- العطاء بمقدار فضل محمد وعلي عليهم السلام:

ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في ذيل قوله تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «من رمى حق قرابات أبيه أعطي في الجنة ألف درجة، بعد ما بين كل درجتين حضر الفرس الجواد المضر مائة [ألف]^(١٥) سنة، إحدى الدرجات من فضة، والأخرى من ذهب، والأخرى من لؤلؤ، والأخرى من زمرد، (والآخرى من زيرجد)^(١٦)، والأخرى من مسك، وأخرى من عنبر، وأخرى من كافور، وتلك الدرجات من هذه الأصناف، ومن رمى حق قربى محمد وعلي صلوات الله عليهما أوتى من فضل الدرجات وزيادة التوابات، على قدر [زيادة]^(١٧) فضل محمد وعلي صلوات الله عليهما على أبي نسبه»^(١٨).

ومن الملاحظ في الروايات الشريفة أنها تفرق بين أبوи النسب وأبوي الدين، فأبوي الدين هما محمد وعلي عليهما وعلى آلهما الطاهرين آلاف التحية والصلوات، وذلك لقول رسول الله ﷺ: «وأنا وعلي أبوا هذه الأمة»^(١٩)

الرابع:- حط الذنوب ولو بلغت العرش:

عن الحسن بن علي عليهما السلام: «عليك بالإحسان إلى قرابات أبيي دينك محمد وعلي صلوات الله عليهما، وإن أضعت قرابات أبيي نسبك، فإن شكر هؤلاء إلى أبيي دينك محمد وعلي صلوات الله عليهما أثُر لك من شكر هؤلاء إلى أبيي نسبك، إن قرابات أبيي دينك (إذا شكرك) ^(٢٠) عندهما بأقل قليل يظهرهما لك، يحط عنك ذنوبك ولو كانت ملء ما بين الثرى إلى العرش، وإن قرابات أبيي نسبك إن شكروك عندهما وقد ضيّعت قرابات أبيي دينك لم يغنا عنك فتيلا»^(٢١).

الخامس:- السكن في دار القرار ومنادمة أولياء الله:

في الرواية عن محمد بن علي عليهما السلام: «من كان أبوا دينه محمد وعلي صلوات الله عليهما وقرباتهما آثر لديه وأكرم [عليه] من أبيي نسبه وقرباتهما، قال الله عزوجل: فضل الأفضل، وأثرت الأولى بالإيثار، لأجعلنك بدار قاري ومنادمة أوليائي أولى»^(٢٢).

السادس:- التقديم إلى الجنان:

ورد عن الإمام جعفر بن محمد الصادق ع عليهما السلام أنه قال: «من ضاق عن قضاء حق قرابة أبيي دينه وأبوي نسبه، وقدح كل واحد منها في الآخر، فقدم قرابة أبيي دينه على قرابة أبيي نسبه، قال الله عزوجل يوم القيمة: كما قدم قرابات أبيي دينه فقدموه إلى جناني، فيزداد فوق ما كان أعد له من الدرجات ألف ألف ضعفها»^(٢٣).

السابع:- الاختيار على رؤوس الأشهاد والإشهار بخلع الكرامات:

عن الإمام الجواد محمد بن علي الرضا عليهما السلام أنه قال: «من اختار قربات أبيه دينه محمد وعلى صلوات الله عليهما على قربات أبيه نسبه، اختاره الله تعالى على رؤوس الأشهاد يوم الت Nad، وشهره بخلع كراماته، وشرفه بها على العباد، إلا من ساواه في فضائله أو فضله»^(٢٤).

الثامن:- السكن في الوسيلة مع محمد وآلـه عليهما السلام:

فيما ورد عن صادق آلـ محمد عليهما السلام قال: «إذا كان يوم القيمة نادى مناد: أيها الخلق أنتـوا فإنـ محمدـ عليهـ وآلهـ يكلـمـكمـ فـنـتـصـتـ الخـلـاقـ، فـيـقـومـ النـبـيـ عـلـيـهـ وـآلـهـ وـبـرـهـ فـيـقـولـ: يا مـعـشـرـ الـخـلـاقـ، مـنـ كـانـ لـهـ عـنـدـيـ يـدـ أـوـ مـنـةـ أـوـ مـعـرـوفـ فـلـيـقـمـ حـتـىـ أـكـافـيـهـ، فـيـقـولـونـ: بـآـبـائـاـنـاـ وـأـمـهـاتـاـ وـأـيـ يـدـ وـأـيـ مـنـةـ وـأـيـ مـعـرـوفـ لـنـاـ، بـلـ الـيدـ وـالـمـنـةـ وـالـمـعـرـوفـ لـهـ وـلـرـسـوـلـهـ عـلـىـ جـمـيعـ الـخـلـاقـ، فـيـقـولـ هـمـ: بـلـ، مـنـ آـوـىـ أـحـدـاـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـيـ أـوـ بـرـهـ وـكـسـاهـمـ مـنـ عـرـيـ، أـوـ أـشـبـعـ جـائـعـهـمـ فـلـيـقـمـ حـتـىـ أـكـافـيـهـ، فـيـقـومـ أـنـاسـ قـدـ فـعـلـواـ ذـلـكـ فـيـأـتـيـ النـداءـ مـنـ عـنـ اللـهـ عـزـوجـلـ: يـاـ مـحـمـدـ، يـاـ حـبـيـبيـ، قـدـ جـعـلـتـ مـكـافـأـتـهـ إـلـيـكـ فـأـسـكـهـمـ مـنـ الـجـنـةـ حـيـثـ شـتـ» قال: «فـيـسـكـنـهـمـ فـيـ الـوـسـيـلـةـ، حـيـثـ لـاـ يـحـجـبـونـ عـنـ مـحـمـدـ وـأـهـلـ بـيـتـهـ صـلـوـاتـ اللـهـ عـلـيـهـمـ»^(٢٥).

التاسع:- المكافأة من قبل الرسول عليهما السلام:

عن أبي عبد الله عليهما السلام قال: قال رسول الله عليهما السلام: «من صنع إلى أحد من أهل بيتي يداً كافية يوم القيمة»^(٢٦).

وعن الرضا عليهما السلام عن آباءه عليهما السلام أن رسول الله عليهما السلام قال: «أيـاـ رـجـلـ اـصـطـعـنـ إـلـىـ رـجـلـ مـنـ وـلـدـيـ صـنـيـعـةـ فـلـمـ يـكـافـهـ عـلـيـهـاـ فـأـنـاـ الـمـكـافـيـ لـهـ عـلـيـهـاـ»^(٢٧).

وعنه عليهما السلام عن آباءه عليهما السلام قال: قال علي بن أبي طالب عليهما السلام: «من اصطنع

صنيعة إلى واحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها في الدنيا فأنا أجازيه غداً إذا لقيني يوم القيمة»^(٢٨). ومعنى الرواية وارد عن الرسول ﷺ أيضاً، فلعلها رواية واحدة، ولعل المجازي والمكافى يوم القيمة هو كل من الأمير ﷺ والرسول ﷺ، ولا منافاة؛ فكل منهما يتفضل على المحسنين إلى نسلهما برعايته الخاصة يوم القيمة.

جزاء من ظلم ذرية الرسول ﷺ

في الرواية المنسوبة إلى الرضا علّيَّهُ وآله وسنه عن أبي المؤمنين علّيَّهُ وآله وسنه قال: قال رسول الله ﷺ: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وأذاني في عترتي، ومن اصطنع صنعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه عليها فأنا أجازيه غداً إذا لقيني يوم القيمة»^(٢٩).

المعيار في الكرامة والشرف

ما تقدم من روایات يستخلص منه أن لبني الزهراء علّيَّهُ خصوصية خاصة، ووسام شرف يعلقونه على الصدور، ويتباهون به بين الخلائق، من غير فرق - من هذه الجهة - بين صالحهم وطالعهم، ولذلك دعت الرواية المنسوبة إلى الرسول ﷺ إلى محبتهم؛ الصالح لله، والطالع للرسول، ومن الواضح أن الحبة للطالع لا لعنوان كونه طالعاً، بل لاتصاله بالرسول، وكل ما اتصل بالرسول ﷺ نال مقداراً من الشرف والكرامة بحسب ذلك الاتصال قدرها وكيفيتها، كما يقول الشيخ الدمستاني في شأن قتلة الحسين علّيَّهُ:

سعدت بالذبح والذابح من بعض السعد

فهذا السعد لا ينافي ذلك الشقاء الأبدى، المكتوب لقاتل الحسين علّيَّهُ قبل أن

يولد، وفاقاً للرواية: (الشقي شقي في بطن أمه)^(٣٠). أو كما يقول الشاعر الآخر:

أمرٌ على الديار ديار ليلى
أقبلَ ذا الجدار وذا الجدارا
ولكن حُبَّ من سكن الديارا

ومع أن لنسب الرسول ﷺ خصوصية خاصة، إلا أن هذه الخصوصية لا تدعوا إلى الأمان من مكر الله، فقد قال ﷺ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٣١)، بل إن هذا النسب الشريف يفرض على المنتسبين به إلى النبي الأعظم ﷺ ضريبة كسائر الضرائب المفروضة على الشرفاء وأصحاب المكانات، فلذلك كانت أحكام الشريعة في كثير من الأحيان تابعة للشوؤن والمقامات ودرجة الوجاهة والنسب: كالنفقة، وأحكام زوجات الرسول ﷺ، وكلزوم رعاية الأمور المستحبة في نفسها حينما تتحول إلى الوجوب تبعاً لحفظ بعض الحرمات الأخرى، وأحكام الصدقات الواجبة، وما إلى ذلك.

فلذلك كان المطلوب من السادة الكرام هو النظر من خلال الحكومية للقوانين العامة في الشريعة كقوله تعالى: ﴿أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْقَاصُكُم﴾^(٣٢). ولقد دعت الروايات بعد هذا المستوى من الرعاية والمحافظة المنضوية تحت القوانين والتشريعات العامة، إلى رعاية خاصة مبنية على الاتصال بنبع الشرف هذا، ففي النحو الأول جاءت الرواية عن أمير المؤمنين ع: «إن أولى الناس بالأنبياء أعلمهم بما جاعوا به». ثم تلا: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِيمَانِهِمْ لِلَّذِينَ أَتَبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾^(٣٣). ثم قال: «إن ولی محمد من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد من عصى الله وإن قربت قرابته»^(٣٤).

وفي النحو الثاني قال الشقراني مولى رسول الله ﷺ: خرج العطاء أيام أبي جعفر وما لي شفيع فبقيت على الباب متخيراً، وإذا أنا بجعفر الصادق ع فقمت إليه فقلت له: جعلني الله فداك أنا مولاك الشقراني، فرحب بي وذكرت له حاجتي فنزل ودخل وأخرج وأعطاني من كُمه فصبَّه في كُمي ثم قال: «يا شقراني إن الحسن

من كل أحد حسن وإنك أحسن لكانك منا، وإن القبيح من كل أحد فبيح وإنك أقبح» وعظه على وجه التعریض لأنه كان يشرب^(٣٥).

النسب الموصول يوم القيمة

ما تقدم في العنوان السابق كان يشير إلى القاعدة العامة والأصل، وهو تساوي الجميع في لزوم امتثال أحكام الشريعة وقوانينها من جهة، وتساويهم في الحساب والثواب والعقاب من جهة أخرى، ولكن هذا لا يعني عدم وجود الاستثناء في البهنة الثانية، فمن ذلك الاستثناء الشفاعة في يوم القيمة، ومنه الاتصال بالنسب الظاهر للرسول ﷺ إذا شاء يوم القيمة أن يأخذ بيد ذريته المباركة إلى الجنة، ولكن هذا كما تقدم لا يدعو إلى الأمان من مكر الله جل وعلا، فإن أحداً لم يعطِ صك أمان للعصاة يوم القيمة، بل أقصى ما يقال أن هذا النسب المبارك فيه اقتضاء مثل هذه الشفاعة، أما أنه يوجد مانع عن شفاعة الرسول ﷺ للعصاة من ذريته - ولو من باب كون المانع هو عدم مشيئة الرسول لانتشال الغارقين في وحل الخطيبة - أو لا يوجد مثل هذا المانع، فهو أمر آخر.

وبصورة عامة فإن هذا النسب المبارك لا يخلو عن مثل هذه البركات الأخرى، فلا يشكل: إنه ما فائدة هذا النسب إذا فرض على السادة ضريبة دنيوية تقضي الرعاية الإلزامية لبعض الأحكام الشرعية من دون ثرة مترتبة على ذلك؟! فإنَّ هذا الإشكال شبيه بقول القائل المعاق: لماذا خلقني الله معاقاً؟ وهل أن الله عز وجل يتفضل علي بهذه الخلقة؟ فالجواب أن الله يتفضل بهذه الخلقة أيها تفضل، إذ يكفي منه أن يهب الوجود، وهو خير من العدم؛ وذلك أن الإنسان ينال الكمال بقدر حياته وتحركه واتساع مداركه وعارفه، وبقدر عمله بما يعلم، ولذلك يقال له يوم القيمة: (اقرأ وارقاً)^(٣٦).

وأما الإشكال المرتبط بالثمرة المترتبة على هذا النسب هو أن نسب رسول

الله عليه وآله له بركته الدنيوية والأخروية، والتي يكفي فيها الاحتمال بأن الشفاعة تشمله يوم القيمة فتنتسله من النار وتدخله الجنة، أو لا أقل من أن يناله أجر رعايته لحرمة رسول الله عليه وآل وعمره الطاهرين عليهما السلام.

وهذه الفكرة ليست فكرة القائلين بجواز أن يدخل الله العصاة الجنة والحسنين النار، فليس كذلك فإن المحسن لا يمكن أن يدخل النار من دون ذنب، وأما المسيء فقد يتفضل الله عليه في بعض الأحيان بالشفاعة، فجزاء صلة أبناء الرسول هو نحو من الشفاعة ومحو السيئة بالحسنة، وهو لا ينافي عدالة الله تعالى.

وهنا نقف مع روایة ترتبط بهذا المعنى وردت في بعض المصادر السنیة، فعن عبد الله بن عباس أنه قال: (توفي ابن لصفیة عمّة رسول الله عليه وآله وصحات فأتاها النبي عليه السلام فقال: يا عمّة ما يکیک؟) قالت: توفي ابني، قال: (يا عمّة من توفي له ولد في الإسلام فصبر بنى الله له بيته في الجنة) ثم خرجت من عند رسول الله عليه وآله وصحات فاستقبلها عمر بن الخطاب فلما سمعت صراخه، إن قرابتك من رسول الله عليه وآله وصحات لن تغنى عنك من الله شيئاً، فبكت، فسمعها النبي عليه وآله وصحات يكرّمها ويحبّها، فقال: (يا عمّة أتبكين وقد قلت لك ما قلت؟) قالت: ليس ذلك أبكاني يا رسول الله، استقبلني عمر بن الخطاب فقال: إن قرابتك من رسول الله لن تغنى عنك من الله شيئاً، قال: فغضّب النبي عليه وآله وصحات وقال: (يا بلاط هجر بالصلوة) فهو هجر بالصلوة، فصعد النبي عليه وآله وصحات المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: (ما بال أقوام يزعمون أن قرابي لا تنفع، كل سبب ونسب منقطع يوم القيمة إلا سيء ونسيء فإنها موصولة في الدنيا والآخرة).

أنحاء صلة السادة الكرام

إنه قد يتتسّع متسائل عن كيفية صلة أبناء الرسول، وهل أنه لا بد من القيام بعمل خاص وارد في الروايات؟ والجواب أن مطلق ما يصدق عليه صلة

وإحسان فهو مورد نظر الروايات، وإن قسمت الصلة إلى عدة أقسام، وإلى أكثر من تقسيم، فمرة تقول الروايات -ويستفاد هذا من الروايات المتقدمة في البحث- بأن الصلة على أنواع ثلاثة: الصلة باليد، والصلة باللسان، والصلة بالمال. ومرة تأتي ب التقسيم آخر تتدخله أقسامه مع أقسام الأول، فتقول أن الصلة تكون: بالإيواء، وببرهم وكسوة عاريهما، وبإشباع جائعهما. فهذه الصور تندرج تحت الصلة باليد وبالمال. وهناك نوع آخر ذكرته الروايات المتقدمة وهو الصلة بالقلب، فإن الجزء إما أن يترتب على محبتهم، أو على الأثر اللازم والمترتب على هذه الحبّة، ولعل الأقرب من الرواية هو أن نفس الحبّة فهي صلة، فتكون سبباً للجزاء والمكافأة، فإن أي شريف حينما يعلم بتعلق غيره به فإنه على أقل التقادير يبادله بمثل هذه المشاعر.

وفقنا الله لرعاية حق نبيه ﷺ وآلـه الطاهرين علـيـهـمـالـحـلـمـاتـ، وصلة ذريتهم المباركة.
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآلـه الطاهرين.

المواهش:

- (١) الرعد: ٢١.
- (٢) الميزان في تفسير القرآن، العلامة الطباطبائي، ج ١١، ص ٣٤٩.
- (٣) النساء: ١.
- (٤) ن. م، ج ٤، ص ١٤٨.
- (٥) ن. م، ج ٤، ص ١٤٩.
- (٦) وردت هذه النصوص في مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٣٧٦.
- (٧) معجم الحasan والمساوي، أبو طالب التجليل التبريزى، ص ٣٧٩.
- (٨) مستدرك الوسائل، ج ١٢، ص ٣٧٧.
- (٩) السفتحة كقرطعة: أن تعطي مالاً لأحد وللأخذ مال في بلد المعطي فيوفيه إيتاه ثم، فيستفيد



أمن الطريق، وفعله السفتحة بالفتح. فهو أشبه بالحالة في هذا العصر.

- (١٠) قصص الأبرار من بحار الأنوار، السيد مرتضى الميلاني، ص ٦٨٣ - ٦٨٤، نفلا عن بحار الأنوار ج ٢٣، ص ٢٦٣.
- (١١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢، ص ٣٧٦.
- (١٢) معجم الحasan والمساوي، أبو طالب التجليل التبريزي، ص ٣٧٧.
- (١٣) ن. م، ص ٣٧٨.
- (١٤) المحسن، البرقي، ج ١، ص ٦٢، ح ١٠٩.
- (١٥) أثبناه من المصدر. منه (النوري) ج ٢٣، ص ٣٧٧.
- (١٦) ما بين القوسين ليس في المصدر. منه ج ٢٣، ص ٣٧٨.
- (١٧) أثبناه من المصدر. منه ج ٢٣، ص ٣٧٩.
- (١٨) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢، ص ٣٧٧ - ٣٧٨.
- (١٩) كمال الدين وقام النعمة، الشیخ الصدوق، ص ٢٦١.
- (٢٠) في المصدر: إن شكروك. منه (النوري) ج ٢٣، ص ٣٧٩.
- (٢١) مستدرك الوسائل، الميرزا النوري، ج ١٢، ص ٣٧٨.
- (٢٢) ن. م، ص ٣٧٩.
- (٢٣) ن. م، ص ٣٧٩.
- (٢٤) ن. م، ص ٣٨٠.
- (٢٥) معجم الحasan والمساوي، أبو طالب التجليل التبريزي، ص ٣٧٨.
- (٢٦) ن. م، ص ٣٧٩.
- (٢٧) ن. م، ص ٣٨٠.
- (٢٨) ن. م، ص ٣٨٠.
- (٢٩) ثرات الأسفار إلى الأقطار، العلامة الأميني، ج ٣، ص ٣٥، ح ١، يرويها الثعلبي.
- (٣٠) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٢، ص ١٤٧٨، ح ٢٠٥٣.
- (٣١) الأعراف: ٩٩.
- (٣٢) الحجرات: ١٣.
- (٣٣) آل عمران: ٦٨.

- (٣٤) نهج البلاغة، ج ٤، ص ٢١-٢٢، رقم ٩٦.
- (٣٥) بحار الأنوار، العلامة الجلسي، ج ٤٧، ص ٣٤٩-٣٥٠، ح ٥٠.
- (٣٦) وسائل الشيعة (آل البيت)، الحز العاملی، ج ٦، ص ١٧٩، ح ٧٦٧٤.
- (٣٧) التهجير يعني التبکير والمبادرة، والظاهر أنه يستعمل في التعجيل بالنداء إلى الصلاة لكي يجتمع الناس.
- (٣٨) ثمرات الأسفار إلى الأقطار، العلامة الأميني، ج ٣، ص ٢٠٣-٢٠٤، ينقلها عن استجلاب ارتقاء الغرف، وذخائر العقبى.





إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا

أحمد إبراهيم نوار

الشيطان لغة

على وزن فيعال من شطن (والشاطن هو الخبيث والوضيع) إذا بعده فيمن جعل النون أصلا، وقيل هو من شاط يشيط (على وزن فعلان) إذا احترق غضبا^(١).

الشيطان في اصطلاح القرآن والروايات

"الشيطان اسم جنس عام، وإيليس اسم علم خاص، وبعبارة أخرى الشيطان كل موجود مؤذ مغو طاغ متمرد، إنسانا كان أم غير إنسان، وإيليس اسم الشيطان الذي أغوى آدم ويترصد هو وجنته الدوائر بأبناء آدم دوما... والاستعمال القرآني لكلمة شيطان يشمل حتى

أفراد البشر المفسدين المعادين للدعوة الإلهية كقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُواً شَيَاطِينَ الْإِنْسَانِ وَالْجِنِّ﴾^(٢).

يقول الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه في ظلال الصحيفة السجادية:

”وعليه فأيُّ دافع إلى الفساد والضلال يسوغ لنا أن نسميه شيطاناً أكان من الداخل كالهوى، والغرور وسوء الظن والحقد والحسد، أم من الخارج كالدجال والمحتاب ووسائل الإعلام المضللة التي يسيطر عليها المستعمرون والصهاينة وكل من يلبس الحق بباطل”^(٣).

وتجدر الإشارة إلى أنَّ كلمة الشيطان وردت في بعض الروايات بمعنى الميكروبات المضرة، مثل:

- ما عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: «لا تشربوا الماء من ثلمة الاناء ولا من عروته، فإن الشيطان يقعد على العروة والثلمة»^(٤).

وعن الإمام الصادق عَلَيْهِ الْكَلَمَةُ: «ولا يشرب من أذن الكوز، ولا من كسره إن كان فيه، فإنه مشرب الشياطين»^(٥).

وعن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لا يطولن أحدكم شاربه، فإن الشيطان يتخذه مخبئاً يستتر به»^(٦).

من أسمائه

اللعين والخبيث والمهلك والهاوية وأطلق عليه لقب رئيس العالم وهذه التسييمة أو الصفة ما يبررها إن أريد بالعالم عالم الشر^(٧).

خصائص الشيطان

١. الخفاء والوسوسة:

يقول علماء النفس إنَّ أيَّ جهةٍ إذا أرادت أن تغير جهة أخرى لا تدخل لها

عنوان التغيير، حيث أني لو علمتُ أنَّ هذه الجهة المعينة تستهدفني لتغيير سلوك أو فكرة فإن ذلك تلقائياً يسبب أن أضع حاجزاً بيني وبينها فتصعب عملية التغيير.

لذلك نجد الشيطان لا يأتي للإنسان بشكل ظاهر بعنوان التغيير والاستهداف بل يأتي بشكل خفي غير ظاهر لادراكه هذه الحقيقة. وهذه الحقيقة بينها أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في قوله: «اَحْذِرُوا عَدُوًّا نَفِدَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا، وَنَفَثَ فِي الْأَذَانِ نَجِيًّا»^(٨).

وكذلك بيَّنتُ هذه الخصيصة مجموعه من الآيات الشريفة منها:

قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(٩).

قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ﴾^(١٠).

والخناس من المخنوش بمعنى الخفاء والتراجع.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: "الشياطين يمزجون أعمالهم دائماً بالغش والخداع. ويرمون بالقاءاتهم في الإنسان بطريقة خفية حتى يحال الإنسان أن هذه الإلقاءات من بنات أفكاره، وهذا ما يؤدي إلى ضلاله وغوايته. عمل الشيطان هو التزيين، وإخفاء الباطل تحت غطاء الحق، و الكذب في قشر من الصدق، والذنب في لباس العبادة، والضلالة خلف ستار الهدایة".

وبالإيجاز، الموسوسون متسلرون، وطرقهم خفية، وفي هذا تحذير لكل سالكي طريق الله أن لا يتوقعوا رؤية الشياطين في صورتهم الأصلية، أو رؤية مسلكهم على شكله المنحرف. أبداً ... فهم موسوسون خناسون ... وعملهم الحيلة والمكر والخداع والتظاهر والرياء وإخفاء الحقيقة"^(١١).

وهنا يجب أن نلتفت إلى أن الخفاء تارة يكون لنفس العمل الشيطاني، وتارة

يكون لنفس الشيطان، لذلك لا بد للإنسان أن يشخص الشيطان جيداً والأعمال الشيطانية جيداً؛ كي لا يخفي عليه شيءٌ منها، ويلتفت لوساوس الشيطان.

وهذا أيضاً ما نجده في شياطين الإنس من الاستكبار العالمي المتمثل في أمريكا "الشيطان الأكبر" وأذناب أمريكا من الحكم المرتبطين بها ومن وسائل الإعلام وغيرها، حيث لا زال خفياً على البعض للأسف أن هذه المسماة أمريكا ليست إلا شيطاناً بكل ما للكلمة من معنى، وأنَّ أعمالها ليست إلا لإغواء البشر وسحق الشعوب وإبعادها عن عبودية الله وإدخالها تحت عبودية الطاغوت.

من هنا نفهم إطلاق الإمام الخميني قائل شعار "الشيطان الأكبر" على أمريكا، ومن هنا نفهم أيضاً كلام القائد الخامنئي عليه السلام بأنه "إذا رضيت عنكم أمريكا فشكوا في دينكم" وهل الشيطان يقبل عملاً إلا إذا كان شريراً يرضيه ويُسخط الله سبحانه؟!.

٢. الاصرار:

قال تعالى في سورة الأعراف حكاية عن أبليس: ﴿قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْذَرِينَ * قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَنْهَاكُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾^(١٢).

فالشيطان لا يكل ولا يمل في عملية إغواء البشر - وهذا للأسف ما يفقده كثيرٌ من المؤمنين في عملية الهدایة والدعوة - فهو أقسم على إغواء البشر وإضلalهم.

٣. تنوع الأساليب:

فالشيطان لا يكتفي بأسلوب واحد في عملية الإغواء والضلالة بل يستخدم

أساليب متنوعة، فبعض يأتيه بالأموال وبعض بالنساء وبعض بالجاه وبعض يأتيه بصورة الناصح الأمين.

بعض أساليب الشيطان في لسان الروايات

عن أمير المؤمنين ع: «الفتن ثلاثة: حب النساء وهو سيف الشيطان، وشرب الخمر وهو فخ الشيطان، وحب الدينار والدرهم وهو سهم الشيطان»^(١٣).

عن الامام الصادق ع: «إن الشيطان يدبر الإنسان في كل شيء فإذا أعباه جسم له عند المال فأخذ برقبته»^(١٤).

وعن الصادق ع: «ليس لإبليس جند أشد من النساء والغضب»^(١٥).

أساليب الشيطان في القرآن الكريم

١- العصبية للأباء والأجداد:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَتَيْعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّسِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(١٦).

يقول الشيخ ناصر مكارم: "إن القرآن في الحقيقة يزكي هنا الغطاء عن اتباع سنة الآباء والأجداد الزائفه وبين الوجه الحقيقي لعمل هؤلاء والذي هو في حقيقته أتباع الشيطان في مسیر جهنم"^(١٧).

إذ فالشيطان يتخد من سنة الآباء والأجداد وسيلة وأسلوبا لإثارة العصبية والحمية، فتعتمي هذه العصبية الإنسان عن رؤية الحق وعن اتباعه، فعلى الإنسان المؤمن أن يتحرر من أسر العقل الجمعي الذي يحيط به ويقيده، ويجعل المحورية للحق فقط.

٢- التدرج:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ﴾، تكررت هذه العبارة خمس مرات في القرآن الكريم مما يؤكد أن الشيطان في كثير من الأحيان لا يأمر بالباطل مباشرة بل قد يتدرج فيضع رجل الإنسان على طريق الباطل، فخطوة بعد خطوة حتى يجد الإنسان نفسه قد استولى الباطل عليه من رأسه حتى أخمص قدميه.

٣- التخويف:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُحَوِّفُ أُولَئِكَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١٨).

لفظة "ذلكم" إشارة إلى الذين كانوا يحوّفون المسلمين من قوة قريش وبأس جيشهم ولإضعاف معنويات المسلمين.

فإذن التخويف والتبييض والإيهام بالضعف هو عمل شيطاني ي يريد أن يضعف كيان المسلمين أمام المشركين، في حين يؤكد القرآن الكريم أن المسلمين هم الأقوى، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهْنُوا وَلَا تَحْزِنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

٤- التحاكم إلى الطاغوت:

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضْلِلَهُمْ ضَلَالًاً بَعِيدًاً﴾^(١٩).

وقد ورد عن الإمام الصادق ع عليه السلام أن: «الطاغوت كل من يتحاكم إليه من يحكم بغير الحق».

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في التعليق على هذه الآية: "إن التحاكم

إلى الطاغوت فخ الشيطان ليضل المؤمنين عن الصراط المستقيم وغير خفي أن الآية الحاضرة ... تتضمن حكما عاما، وتبين قانونا خالدا لجميع المسلمين في جميع العصور والدهور وتحذرهم من مراجعة الطواغيت وطلب الحكم منهم^(٢٠).

٥- تزيين الأعمال:

قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفَتَنَ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢١).
وقال تعالى: ﴿تَالَّهُ لَقَدْ أَرْسَلَنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِئِنْهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(٢٢).

وقال تعالى: ﴿وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ ثَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَسَاكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾^(٢٣).

إذن هذه الآيات وغيرها ت يريد أن تقول لنا احذروا من تزيين الشيطان لأعمالكم فترون أنفسكم أصحاب القوة التي لا تقهر، والنفوذ الذي لا يعارض؛ فتنسون الولي الحقيقى لكل هذه النعم، فهنا يكلم الله تعالى^{عَزَّوَجَلَّ} إلى أنفسكم فخسرانكم حينئذ الخسران الكبير والظلال بعيد وهذا الحسرة الحقيقة حين يدرك الإنسان أن الشيطان هو الذي زين له أعماله، ويأتي تبرى الشيطان من الإنسان ليزيده حسرة على حسرة وألم فوق ألم!!

٦- النصح:

قال تعالى: ﴿فَوَسُوسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبَدِّي لَهُمَا مَا وُرِيَ عَنْهُمَا مِنْ سُوءَاتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رُبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكِينِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾^(٢٤).

ومن أساليب الشيطان اللعين أن يأتي للإنسان بصورة الناصح الأمين، بل ويقسم الشيطان على ذلك، وهنا على الإنسان المؤمن بعد أن حددت له الآيات أن الشيطان عدو مبين واضح العداء فلا مجال كي ينخدع بوسائل الشيطان وإن تلبس بلباس النصيحة وإن انطلق في ظل ألف قسم وقسم. وي يكن أن نستفيد هنا أتنا بعد أن نحدد أي عدو لله سبحانه وتعالى والذين هم من شياطين الجن -كما تقدم- ونقطع بعداوته، فلا مجال للثقة به وبوعوده لأنها لا تنطلق عادة إلا من هذه العداوة وهذا العداء لكل ما هو خير وصلاح.

مواجهة الشيطان

و قبل الدخول فيما ذكرته الروايات والآيات الشريفة لمواجهة الشيطان، لا بد من الإشارة إلى أن القرآن أسس لأساسين اثنين لمواجهة الشيطان وهما:

الأساس الأول:- عداوة الشيطان:

تكررت عبارة **﴿إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾** في القرآن الكريم عشر مرات، إضافة إلى صيغة أخرى وهي **﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾**. وهذا التأكيد القرآني له دلالتان:

الدلالة الأولى: تقول لنا أنه عدو.

الدلالة الثانية: الأمر باتخاذه عدوا.

فلا يكفي أن أعرف أنه عدو من دون إعلان وإظهار وإعمال العداء له، وهذا درس ي يريد القرآن الكريم أن يعلمنا إياه وهو أن أي مواجهة مع الباطل لا بد أن تستند على معرفة العدو أولا وإظهار العداء له ثانيا، فلا يكفي العداء القليبي دون العداء العملي وهذا ما نستوحيه من لفظة **﴿فَاتَّخِذُوهُ﴾**.

الأساس الثاني:- ضعف الشيطان:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أُولَئِكَ الشَّيْطَانَ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(٢٥).

وقال تعالى: ﴿إِسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾^(٢٦).

وهذا التركيز من القرآن على ضعف الشيطان يعكس واقع ضعفه وأولياءه في داخل نفوسهم من جهة، ويعطي القوة للمؤمنين والعزّة من جهة ثانية.

يقول الشيخ ناصر مكارم الشيرازي ح: "توضح هذه الآية حقيقة مهمة هي أن الطاغوت والقوة المتجبرة مهما امتلكت من قوة ظاهرية، ضعيفة في نفسها وجبانة في باطنها، وبهذا تطمئن الآية المؤمنين كي لا يخافوا من هؤلاء الطواغيت مهما أوتوا من عدة أو عدد لأنهم خالون من الهدف فارغون من الإيمان.."^(٢٧).

بعض الروايات التي تتحدث عن اسلوب مواجهة الشيطان

عن الإمام الصادق ع: «قال إبليس خمسة ليس لي فيهن حيلة وسائل الناس في قبضتي، من انتقم بالله عن نية صادقة واتكل عليه في جميع أموره، ومن كثر تسبيحه في ليله ونهاره، ومن رضي لأخيه المؤمن ما يرضاه لنفسه، ومن لم يجزع على المصيبة حتى تصبيه، ومن رضي بما قسم الله له ولم يهتم لرزقه»^(٢٨).

عن الرسول الأكرم ص أنه قال لأصحابه: «ألا أخبركم بشيء إن فعلتموه تبعد الشيطان عنكم كما تبعد المشرق عن المغرب؟ قالوا: بلى. قال: الصوم يسود وجهه والصدقة تكسر ظهره، والحب في الله والمؤازرة على العمل الصالح يقطع دابرها، والاستغفار يقطع وتنبه»^(٢٩).

وعن الإمام علي ع: «ذكر الله مطردة للشيطان»^(٣٠). وعنده أيضا ع: «ذكر الله دعامة الإيمان وعصمة من الشيطان»^(٣١).

بعض الآيات التي تتحدث عن اسلوب مواجهة الشيطان

أولاً:- الآيات الحاثة النافية عن اتباع خطوات الشيطان:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَبَعُوا حُطُوطَ الشَّيْطَانِ﴾.

وقد قلنا سابقاً أن هذه الآية تكررت خمس مرات في القرآن الكريم مما يوحى بأهمية مضمونها وهو أهمية أن يدقق الإنسان في بدايات أعماله والخطوات الأولى لكل عمل يقوم به سواء كان فردياً أو اجتماعياً، فكثيراً ما يغفل الإنسان أن هذه الخطوات في طريق الشيطان وبعد حين يرى نفسه قد ارتكى في أحضان الشيطان بالكامل.

ثانياً:- الآيات الحاثة على الاستعاذه بالله واللجوء إليه:

قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ آتَقُوا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٣٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٣٣).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرأتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣٤).

وقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣٥).

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ * مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ * الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ * مِنْ الْجِنَّةِ وَ النَّاسِ﴾^(٣٦).

وهنا نلاحظ التأكيد القرآني على الاستعاذه بالله تبارك وتعالى وأنه (سميع عليم) لهذه الاستعاذه مما يؤكده للعبد أن أية خطوة للجوء إلى الله من تسويلات الشيطان ومكره فإن الله لا يترك عبده في حبائل الشيطان ولا بد أن يعيذه منه.

وملاحظة أخرى أن الله سبحانه يؤكد أن الارتباط بالله سبحانه والاستعاذه به من الشيطان الرجيم يجب أن يكون حاضرا في وجدان الإنسان المؤمن بحيث أنه بمجرد أن يشعر بزغ الشيطان فإنه يجب عليه أن يستعيذ بالله مباشرة، وهذا ما جاء في وصف المتقين في الآية المباركة أنه بمجرد أن يسهم طائف من الشيطان فإنهم يلتجؤون إلى الله بِرَبِّكُمْ مباشرة وهذا سبب بصيرتهم.

يقول الشيخ ناصر في بحث عقده بعد سورة الناس: "الإنسان معرض للانحراف في كل لحظة، و حين يأمر الله نَبِيَّهُ أن يستعيذ به من شر «الوسواس الخناس» فإن ذلك دليل على إمكان الواقع في شراك الموسوين الخناسين.

مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في مأمن من الانحراف بفضل الله ومدده الشبي وخصوصه التام لله، فالآيات تأمره أن يستعيذ بالله من شر الوساوس الخناس، فما بالك بغيره من الناس! ولا يجوز للإنسان أن ي Yas أمام مخاوف الموسوين. فملائكة الله تهب للأخذ بناصية المؤمنين والسائلين على طريق الله. فالمؤمنون ليسوا وحيدين في ساحة صراع الحق مع الباطل، بل ملائكة الله في عنفهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ﴾.

ولكن، على أي حال، لا يجوز للإنسان أن يفتر وأن يحسب نفسه غنيا عن الموعظة والتذكرة والإمداد الإلهي. يجب الاستعاذه به سبحانه دائما ويجب أن يكون الإنسان على وعي وحذر باستمرار".^(٣٧)

المواهش:

(١) تاج العروس، ج ١٨.

(٢) الأمثل، ج ١، ص ١٧٢.

(٣) في ظلال الصحيفة السجادية، الشيخ محمد جواد مغنية، ص ٢٢٨.

(٤) الكافي، ج ٦، كتاب الأطعمة والأشربة، باب الأولي.

- (٥) المصدر السابق.
- (٦) الكافي، ج ٦، ص ٤٨٧.
- (٧) في ظلال الصحيفة السجادية، الشيخ محمد جواد مغنية، ص ٢٢٨.
- (٨) التفسير المعين، ص ١٣٢.
- (٩) الأعراف، ٢٧.
- (١٠) سورة الناس.
- (١١) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج ٢٠، ص ٥٨١.
- (١٢) الأعراف، ١٤-١٧.
- (١٣) البحار، ج ٧٣، ص ١٤٠.
- (١٤) البحار، ج ٦٣، ص ٢٦٠.
- (١٥) البحار، ج ٧٨، ص ٢٤٦.
- (١٦) لقمان ٢١.
- (١٧) الأمثل ج ١٣-١٣، ص ٥٦.
- (١٨) آل عمران ١٧٥.
- (١٩) النساء ٦٠.
- (٢٠) الأمثل، ج ٣، ص ٢٩٧.
- (٢١) الأنفال، ٤٨.
- (٢٢) النحل، ٦٣.
- (٢٣) العنكبوت، ٣٨.
- (٢٤) الأعراف، ٢٠.
- (٢٥) النساء، ٧٦.
- (٢٦) البجادلة، ١٩.
- (٢٧) الأمثل، ج ٣، ص ٣٢٧.
- (٢٨) البحار، ج ٦٩، ص ١٧٧.
- (٢٩) البحار، ج ٦٩، ص ٣٨٠.
- (٣٠) التفسير المعين، ص ١٣٣.

(٣١) المصدر السابق.

(٣٢) الأعراف، ٢٠٠-٢٠١.

(٣٣) فصلت، ٣٦.

(٣٤) النحل، ٩٨.

(٣٥) المؤمنون، ٩٧.

(٣٦) سورة الناس.

(٣٧) الأمثل، ج ٢٠، ص ٥٨٢.

إِنَّ السَّيْطَانَ لَكُمْ عَذَّلُوْ فَاتَّخِذُوهُ عَذَّلًا

أحمد إبراهيم نوار



أميرنا

(عليه السلام)

(القسم الثاني)

قضيا شيخ على العربي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصل الله على محمد وآلـهـ الطاهرين، ذكرنا في القسم الأول من مقالة أميرنا عليهـ اللهـ علـيـهـ الـكـلـيـلـةـ في العدد السابق عدة عناوين أهمها فيما يتعلق بمنصب الإمامـةـ وأنـهـ اختيارـ منـ اللهـ تعالىـ، وذكرـناـ شروطـ الإمامـ، ثمـ ذكرـناـ أمورـاـ تتعلقـ بأميرـ المؤمنـينـ علـيـهـ الـكـلـيـلـةـ، وإليـكمـ القـسمـ الثـانـيـ:

أميرنا علـيـهـ الـكـلـيـلـةـ والـبيـعـةـ

إنـ فيـ أحـكامـ الـبيـعـةـ بـحـوـثـاـ مـخـتـلـفـةـ، وإنـ كـانـتـ مـسـائـلـ هـذـاـ الـبـحـثـ مـحـاطـةـ بـهـالـةـ منـ الإـبـهـامـ فـيـ الـفـقـهـ الـإـسـلـامـيـ، وـبـالـنـسـبـةـ لـلـنـبـيـ عـلـيـهـ الـكـلـيـلـةـ وـالـأـئـمـةـ الـمـعـصـومـينـ عـلـيـهـمـ الـكـلـيـلـةـ

المنصوبين من قبل الله تعالى لا حاجة لهم بالبيعة، أي أن طاعة النبي ﷺ والإمام المعصوم والمنصوب من قبل الله واجبة على الجميع؛ من بايع ومن لم يبايع.

وبتعبير آخر: إن لازم مقام النبوة والإمامية وجوب الطاعة كما يقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِّبِعُوا اللَّهَ وَأَطِّبِعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْكُم﴾^(١). فهنا تناول القرآن مسؤولية السلطة ولكنها ليست لها قيمة بذاتها، إنما هي وسيلة لتحقيق العدالة، التي تعني حصول كل شخص على حقه كاملاً غير منقوص.

وهذه القيمة يتحققها سلطان الله في الأرض المتمثل في قيادة الرسول ﷺ وأولي الأمر من بعده الذين يجسّدون رسالته، وهم أهل بيته.

والسلطات الأخرى تمثل الطاغوت الذي يدعمه الشيطان وقد أمرنا بالكفر به والتمرد عليه. ومخالفة الرسول وأولي الأمر من بعده هي من عمل المنافقين، الذين سوف يكتشفون أن قيادة الرسول أفضل لهم، وذلك حين تنزل عليهم المصائب بسبب إنتماهم إلى سلطات الطاغوت، وعلى الرسول أن يستغل الفرصة ويعظّهم.

كل رسل الله جاؤوا ليتسلّموا قيادة الناس، ولو عاد الناس إلى قيادة الرسل وصححوا مسيرتهم لأصلح الله حياتهم، وغفر لهم سيئاتهم.

أما الذين يخالفون رسل الله، فإنهم ليسوا بمؤمنين، لأنهم يخالفون بذلك هدف الرسالة أساساً، وقيادة الرسول ليست محصورة بالصلوة والصيام، بل في كل الشؤون، وعلى المسلم عدم التفريق بين الموضوعات، ويتبع الرسول في القضايا البسيطة فقط، بل حتى لو أمره الله بأن يقتل نفسه فعليه أن يطاعه، لأن ذلك خير له وأقوم؛ خير له لأنّه سوف يحصل بسببه على أجر عظيم، وأقوم له لأنّه سوف يهتدى إلى الصراط المستقيم وسوف يحشر عند الله مع الصفوّة من خلقه، وهم

النبيون والصدّيقون والشهداء والصالحون وهذا هو التطلع الأسمى الذي يجب أن يسعى من أجله الإنسان.

إن هذه الآية أوضحت لنا ضرورة الطاعة للرسول وللقيادة التي عينها من بعده لتحقيق المسؤولية الاجتماعية وهي العدالة. التي تتحقق من خلال الحكم الشرعية.

ولكن الرقابة الاجتماعية لا تردع كثيراً من الناس من الاعتداء على حقوق الآخرين، وهي لا تستطيع أن تكون فيصلاً حاسماً في كثيرٍ من المشاكل المعقّدة التي يظن كلُّ طرف أنه صاحب الحق فيها، ويورد أدلة كثيرة على ظنه، هناك نرى ضرورة وجود السلطة الشرعية القوية التي يتزام الجميع بحكمها، وهي ممثلة في النبي وأولي الأمر من بعده.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أطِيعُوا اللَّهَ وَأطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَئِكُمْ أَنْهَاكُمْ﴾.

إن أولي الأمر هم الامتداد الطبيعي للرسول ﷺ وهم أهل بيته آل النبي من بعده، والعلماء بالله، الأمانة على حلاله وحرامه، الأكفاء على القيام بأمره، الصابرون المتقون، وبالتالي هم أكثر الناس طاعة الله، وأقربهم إلى نهج الرسول ﷺ.

وينبعى الالتفات إلى هذه اللطيفة وهي أن مقام نيابة الولي الفقيه في نظرنا مقام منصوص عليه من قبل الأئمة المعصومين علیهم السلام ولا حاجة له إلى البيعة، وبالطبع فإن اتباع الناس للولي الفقيه وطاعتهم له ينحه الاستفادة من هذا المقام ويعطيه -كما هو مصطلح عليه- بسط اليد، لكن هذا لا يعني أن مقامه مشروط بتبعية الناس له، ثم إن اتباع الناس إياه لا علاقة له باليبيعة، بل هو عمل بحكم الله في شأن ولاية الفقيه، فلاحظ عزيزي القارئ بدقة.

البيعة في كلام الإمام علي عليه السلام

هناك في نهج البلاغة كلمات تؤكد على البيعة وقد عوّل الإمام علي عليه السلام عليها مراراً.

ومن جملتها قوله في بعض خطبه: «أيها الناس إن لي عليكم حقاً، لكم علي حق، فاما حُقُّكم على: فالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فِي شَكِّكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كِيلَا تَجْهَلُوا، وَتَأْذِيْكُمْ كِيمَا تَعْلَمُوا، وَأَمَا حَقُّكُمْ عَلَيْكُمْ: فَاللَّوْفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشَهَدِ وَالْمَغِيبِ، وَالإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ آمَرْكُمْ»^(٢).

وشرح وتوضيح هذه العباري الكريمة تستفيده بتصرف مما خطته اليد المباركة لآية الله الشيخ ناصر مكارم الشيرازي مد الله في عمره الشريف.

حَقِّي عَلَيْكُمْ وَحَقُّكُمْ عَلَيَّ

يتعرض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام فيها لأهم القضايا المرتبطة بالحكومة والتي تكمن في حق الإمام عليه السلام على الأمة وحق الأمة على الإمام عليه السلام فيوجزها بعبارات قصيرة عظيمة المعانى، حيث يشير إلى أربعة حقوق متبادلة لكل منهما، فقد تحدث بدأ ذي بدء عن حقوق الأمة، ومن شأن تقديم حقوق الأمة على الإمام وليس العكس، أنه مدعوة للتأثير في نفوس السامعين إلى جانب كشفه عن بعد الشعبي والجماهيري للحكومة الإسلامية كما يفيد عميق الفارق بين هذه الحكومة والحكومات المستبدة الغاشمة والحكام الطغاة الذين يرون أنفسهم مالكي رقاب الأمة فيعاملونها معاملة المالك والمملوك.

فقد قال عليه السلام: «أيها الناس إن لي عليكم حقاً لكم علي حق». الحق وإن ذكر بصورة مفردة إلا أنه يفيد معنى جنس الحق الذي ينطوي على مفهوم عام، أما تنكيره فيشير إلى عظمة هذه الحقوق لأن الإitan بالنكرة قد يفيد التعظيم أحياناً.

فيتطرق الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الحق الأول للأمة فيقول: «فَأَمَّا حَكْمُكُمْ عَلَيْهِ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ».

المراد من النصيحة: هو الخلوص، ومن هنا يصطلاح على العسل المصفى أو الحالص بالناصح. ثم أطلقت على كل عمل خيرٌ حالص خال من الغل والغش. وقد ورد في بعض المصادر اللغوية أن هذه المفردة تشتمل على معان متفرقة، فمثلاً النصيحة لله تعني الاعتقاد بوحدانيته وإخلاص النية له في العبادة ونصرة الحق، والنصيحة للقرآن تعني التصديق به والعمل بأحكامه والدفاع عن آياته تجاه تأويل الجهلاء وتحريف الغلاة، والنصيحة للنبي هي التصديق بنبوته ورسالته وطاعة أوامره.

ومن هنا يبدو أن المراد بالنصيحة في العبارة العمل من أجل الارتقاء بالجوانب المادية والمعنوية للأمة من خلال البرامج والمشاريع الصحيحة حيث تشكل هذه المشاريع الخطوة الأولى لتحقيق خير الأمة، وعليه فلا بد أن يكون للإمام والولي والزعيم مشروعًا صحيحاً وجاماً يتضمن تأمين المصالح المادية والمعنوية لأفراد الأمة ويخذ بأيديهم إلى الكمال المنشود.

والحق إن هذه المسألة ملن المسائل الحيوية المهمة في عالمنا المعاصر والتي تحظى بأهمية فائقة، حيث يعتقد أغلب العلماء والمفكرين أن العراقيل التي تتطوى عليها المسيرة الاجتماعية إنما أفرزتها بالدرجة الأساس مشكلة عدم وجود المشاريع والخطط الصحيحة. ثم يشير عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الحق الثاني ذي الصلة بالجانب الاقتصادي - فيقول: «وَتَوَفِّرُ فَيُكَمِّلُوكُمْ عَلَيْكُمْ».

تعد العدالة الاجتماعية في المجال الاقتصادي من أهم مشاكل المجتمعات البشرية، فأغلب الحروب والنزاعات الدموية ومعظم المفاسد الاجتماعية إنما تعزى إلى تغييب العدالة الاجتماعية.

ومن هنا فإنّ إعادة الأمان والسلام والنظام والاستقرار والوقوف بوجه المفاسد الأخلاقية ومحظوظ الانحرافات إنما تتطلب بدء ذي بدء إحياء العدالة الاجتماعية وتفعيلها في المجتمع. واستناداً إلى أنّ مفردة «في» حسب أرباب اللغة هي العودة والرجوع إلى حالة الخير والإحسان، فإنها تطلق أيضاً على الظل حين يرجع من طرف الغرب إلى الشرق.

وتطلق هذه المفردة في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على الأموال التي تصل المسلمين من الكفار، فقد تطلق على الأموال التي تصل دون القتال وحتى على مثل هذه الأموال والأنفال التي تعني الثروات الطبيعية للحكومة الإسلامية التي ليست لها ملكية شخصية.

والفيء في العبارات المذكورة تعني جميع أموال بيت المال، فقوله عَزَّلَهُ تَوْفِيرُ فِيْكُمْ تعني أنّ وظيفة الحاكم الإسلامي تعني أداء الأموال العامة إلى المحتاجين والمعوزين وأصحاب الحق، أي تنظيم الأمور الاقتصادية والمعاشية للأمة.

أما الحق الثالث الذي أشار إليه الإمام عَزَّلَهُ فيرتبط بالتعليم والشؤون الثقافية «وَتَعَلِّمُكُمْ كِيْلاً تَجَهَّلُوا»، نعم فالإمام لا بد أن يعتمد الأسلوب التعليمي الصحيح ويذهب لمكافحة الجهل والأمية ويرفع المستوى الثقافي لدى الناس ويستأصل جذور الجهل التي تقود الأمة إلى التخلف والانحطاط. وأما الحق الرابع والأخير فهو: «وَتَأْدِيُكُمْ كِيْماً تَعَلَّمُوا».

فالواقع أنّ الإمام عَزَّلَهُ أوجز الحقوق المهمة للأمة في أربع هي:

- ١- المشاريع والخطط الصحيحة.
- ٢- العدالة الاجتماعية في المجال الاقتصادي.
- ٣- التعليم.
- ٤- التربية والتهذيب والقضاء على الفساد الأخلاقي.

جدير بالذكر أن الإمام عَبْر عن الحق الثالث بقوله: «وَتَعْلِيمُكُمْ كِيلَةً تَجْهَلُوا» والحق الرابع: «وَتَأْدِيهِكُمْ كِيمَا تَعْلَمُوا». الحال أن نتيجة التعليم هي العلم والمعرفة بينما يقود التأديب إلى تربية الخصال الأخلاقية لا العلم والمعرفة، إلا أن مراد الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: لا بد أن تقفوا على آثار الفضائل وأضرار الرذائل لتحلوا بالأولى وتواجهوا الثانية فالحق الثالث يشير في الواقع إلى العقل النظري بينما يشير الحق الرابع إلى العقل العملي ثم تطرق الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى حقوق الإمام على الأمة الإسلامية وأوجزها هي الأخرى في أربع فتاوى: «وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ، فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ».

والبيعة هي العهد بين الأمة والإمام، العهد الموثق الذي يجب العمل به، وعلى ضوء هذا العهد فإن الإمام والحاكم لا بد أن يأخذ بنظر الاعتبار مصالح الأمة ويرسي دعائم الأمن والاستقرار ويقاتل العدو ويهدى السبيل أمام الأمة للسمو والتكمال، كما يجب على الأمة أن تشدد أزره وتقف إلى جانبه وتتجنب كل ما من شأنه المساس بهذا العهد والميثاق.

الحق الثاني الذي ذكره الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالنَّصِيحَةُ فِي الشَّهَدَةِ وَالْمُغَيْبِ» فلا يكونوا منافقين يظهرون الحبة والإخلاص في حضوره، فإن غاب عاثوا الفساد وسلكوا الخيانة. فقد لا يكون الإمام حاضراً بينهم على الدوام، إلا أن الله حاضر لا يخفي عليه شيء ولا ينبغي أن يعيش المؤمن الغفلة عن هذا الأمر.

أما الحق الثالث الذي ذكره الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَالإِجَابَةُ حِينَ أُدْعُوكُمْ» فلا ينبغي أن تتعللو بعض الذرائع فراراً من مواكبي، لا بد أن تطيعوا أوامرني وتقتفوا أثري.

والحق الرابع والأخير: «وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُوكُمْ» فلعل البعض يلبي دعوة الإمام، إلا أنه لا يطيع ما يصدره من أوامر، وعليه إيجابة الدعوة لا بد أن تكلل بطاعة

الأوامر.

وبالطبع فإنّ حقوق الإمام على الأمة إنما تعود بالنفع مباشرة على الأمة، وعليه فلا ينبغي لهم أن ينبعوا على الإمام بل الإمام ينبع على الأمة بأنه يعتمد هذه الحقوق لإعادة الأمن والاستقرار إلى الأمة وإعمار بلادها، وقد صرّح بعض شرّاح نهج البلاغة بأنّ هذه الحقوق المتبادلة إنما تختص بالإمام العادل المنصوب من جانب الله سبحانه، لا لكل إمام صالحًا كان أم طالحًا، ومن هنا قال الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ:

«إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًا»^(٣).

لكن يبدو أنّ عبارة الإمام شاملة عامة وهذا ما يفهم من قوله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا بُدُّ
لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرًّا أَوْ فَاجِرٍ» معللاً في هذا القول ضرورة تشكيل الحكومة والحاكم، حيث فيها فوائد تترتب على قيام الحكومة بعضها يتصل بالجانب المعنوي والبعض الآخر بالجانب المادي وهي:

أولاً: «يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ»^(٤).

ثانياً: «وَيُسْتَمْتَعُ فِيهَا الْكَافِرُ».

ثالثاً: «وَيَبْلُغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلُ».

رابعاً: «وَيَجْمَعُ بِهِ الْفَيءُ».

خامساً: «وَيَقْاتَلُ بِهِ الْعُدُوُّ».

سادساً: «وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ».

سابعاً: «وَيُؤْخَذُ بِهِ الْمُضْعِيفُ مِنَ الْقَوِيِّ».

ثم تفضي هذه الوظائف السبع إلى هذه النتيجة النهائية المترتبة على الحكومة، «حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيَسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ».

من هنا يتضح لنا ضرورة تشكيل الحكومة، فلو لاها لما عمّ الاستقرار، فقد رأينا بأم أعيننا وسمعنا بلئ آذاننا مدى الأخطار الجسمانية التي يواجهها المجتمع إبان

انهيار الحكومة ولو لساعات من قبيل قتل الأنفس وإراقة الدماء وعمليات السرقة والسلب والنهب التي تتعرض لها المؤسسات بل حتى بيوت الناس وانتهاك الأعراض والنوميس وانعدام الأمن والاستقرار وسيادة الفوضى والهرج والمرج والاضطراب وشل حركة كافة النشاطات الاجتماعية، كما تصبح البلاد لقمة سائغة للأعداء الذين يعيثون في الأرض فساداً فلا يسلم المؤمن من شرهم ولا الكافر، فتهضم جميع الحقوق ويعيش الناس الخوف والذعر، فمما لا شك فيه أن أَفْ بَاءَ الْحَيَاةِ إِنَّمَا يَكُنُّ فِي اسْتِتَبابِ الْأَمْنِ وَالنَّظَامِ، ثُمَّ وَجْدَ الْعَنَاصِرِ الْمُقْتَدَرَةِ الَّتِي تَقْفَى كَالْطَّوْدِ الشَّامِخِ بِوجْهِ الْعَدُوِّ الْخَارِجِيِّ وَعَمَلَاهُ فِي الدَّاخِلِ، وَلَا يَتِيمَرُ مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ إِلَّا فِي ظَلِّ الْحَوْكُمَةِ.

وهنا يبرز هذا السؤال:

هل يسع الحاكم الفاجر أن يقوم بالوظائف السبع المارة التي يقوم بها
الحاكم البرّ والعادل؟

فقد ذكرها الإمام عليه السلام لكليهما، بحيث يقوم كل منهما بهذه الوظائف، وللإجابة على هذا السؤال لا بدّ من الالتفات إلى هذه النقطة، وهي أنّ الحاكم البرّ إنما يقوم قطعاً بمثل هذه الوظائف، إلا أنها ليست كذلك بالنسبة للفاجر بصورة مطلقة، نعم يمارسها بصورة نسبية فهو مضطّر لاستمرار حكومته أن يراعي النظام، ويقف بوجه العدو الخارجي ويحول نسبياً دون ظلم الظلمة، وإن كان في حدّ ذاته ظالماً، وإلا فإن الناس ستخرج عليه وتتنزّل دعائم حكومته فيطيح به الأعداء، ومن هنا فإنّ أغلب الحكومات مهما كانت فهي تسعى جاهدة للقيام بتلك الوظائف المذكورة.

ويتلخص لنا مما سبق: أن أيّة حكومة تتسرّاح في الوظائف المذكورة إنما تكون قد مهدت السبيل إلى تصدّع كيانها وانهيارها.

السؤال الآخر هو أن الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمَة قد فرق بين المؤمن والكافر، فقال عَلَيْهِ الْكَلَمَة
بشأن المؤمن «يعمل» والكافر «يستمتع» فما علة ذلك؟

والجواب: هو أن المؤمن لا يهدف في حياته إلى الاستفادة من الإمكانيات المترادفة من أجل التمتع العابر، بل هدفه الأصلي الفوز برضى الله، وما استفاداته من متع الدنيا إلا بالتبع وكونها مطلوبًا ثانويًا، وليس الحال كذلك بالنسبة إلى الكافر، فهو ليس فقط لا ينشد رضى الله، بل يقصر همه على هذه الحياة الدنيا ليتمتع فيها وإن كان ذلك من خلال الحرام والطرق اللا مشروعة، ومن هنا صرّح الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمَة بأن الحكومة ضرورة للطرفين المؤمن والكافر، يعمل فيها هذا ويتمتع فيها ذاك، ولو لا الحكومة لما وسع المؤمن العمل ولا الكافر الاستقرار والتمتع.

ويقول أميرنا عَلَيْهِ الْكَلَمَة حول بيته أيضًا

وهو يشير فيها إلى كون بيته عَلَيْهِ الْكَلَمَة لم تكن صدفة بعيدة عن تفكير الناس وتخطيطهم، وعليه فلا يحق لأحد نقضها لأنها بيعة عامّة، فقال عَلَيْهِ الْكَلَمَة في أمر البيعة: «لَمْ تَكُنْ بِيَعْتَمْدُوكُمْ إِيَّا يَ فَلَتَةً»^(٥).

والمراد من الفلترة هو العمل الذي يقع بغتة دون روّية وتدبّر، ومن هنا أراد الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمَة:

١- يوضح أن بيته كانت دقةً جداً وقد حصلت بعد مشورة الأئمة وزعماء القبائل مع بعضهم.

٢- التلميح إلى بيعة أبي بكر التي حصلت في أجواء متواترة مغلقة من قبل قلة قليلة حتى قال عمر بهذا المضمون: "إِنَّ بَيْعَةَ أَبِي بَكْرٍ كَانَتْ فَلَتَةً وَقَى اللَّهُ شَرِّهَا"^(٦)، كما ورد في بعض الروايات في ذيل هذا الحديث: "فَمَنْ عَادَ إِلَى مَثِلِهِ فَاقْتُلُوهُ"^(٧).

وفي الخطبة التي خطبها قبل حرب الجمل والتحرك من المدينة نحو البصرة

أشار إلى بيعة الناس إياه وأن يثبتوا على ما بايده فقال عليهما: «وَبَاعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرِهِنَ وَلَا مُجَرَّبِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ»^(٨).

ونقرأ في بعض كتبه لمعاوية حين لم يبايع الإمام علياً وكان يريد الانتقام من علي عليهما السلام قوله: «بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِ الشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ، وَلَا لِلْفَاقِبِ أَنْ يَرُدُّ»^(٩).

ويستفاد من بعض عبارات النهج أن البيعة ليست أكثر من مرة واحدة ولا سبيل لتجديد النظر فيها وليس فيها اختيار الفسخ، ومن يخرج منها فهو طاعن، ومن يتريث ويفكر في قبولها أو ردها فهو منافق.

فقال أمير المؤمنين عليهما السلام: «إِنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يَشْتَيِّ فِيهَا النَّظَرُ»^(١٠) و«لَا يَسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاغِيٌّ وَالْمُرْوَى»^(١١) «فِيهَا مُدَاهِنٌ»^(١٢).

ويستفاد من مجموع هذه التعبير أن الإمام عليهما السلام استدل على من لم يقبلوا بأن إمامته منصوص عليها من قبل النبي عليهما السلام - وكانوا يتذرعون بحجج واهية - بالبيعة التي كانت عندهم من المسلم بها، ولم تكن لهم الجرأة على أن يرفضوا طاعة الإمام ويسمعوا لمعاوية وأمثاله معاوية، فكما أنهم يرون مشروعية الخلافة للخلفاء الثلاثة السابقين، فعليهم أن يعتقدوا بأن خلافة الإمام مشروعة أيضاً وأن يذعنوا له، بل إن خلافته أكثر شرعية لأن بيته كانت أوسع وكانت حسب رغبة الناس ورضاهما.

فبناءً على هذا لا منافاة بين الاستدلال بالبيعة ومسألة نصب الإمام بواسطة الله والنبي عليهما السلام وتأكيد البيعة.

لذلك فإن الإمام يشير في مكان من نهج البلاغة نفسه بحديث الثقلين الذي هو من نصوص الإمامة حيث يقول: «أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثُّقْلِ الْأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُمْ الثُّقْلَ الْأَصْغَرَ»^(١٣).

والمراد من التَّقْلِيل هنا، أي: النَّفِيسُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِي الْمَدِيدِ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
قال: «تَرَكْتُ فِيكُمُ التَّقْلِيلَينِ، كِتابَ اللَّهِ وَعَرْتَنِي»، أي: النَّفِيسِينَ^(١٤).

فقوله: «أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالْتَّقْلِيلِ الْأَكْبَرِ» يدل على أن سيرة الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا سيما زمان حكمته كان محورها القرآن الكريم في كافة أقواله وأفعاله، الأمر الذي أشار إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين قال: «عَلَيْهِ مَعَ الْقُرْآنِ، وَالْقُرْآنُ مَعَ عَلَيْهِ، لَنْ يَفْرَقَا
حَتَّى يَرْدَا عَلَيْهِ الْحَوْضُ»^(١٥).

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَأَتَرْكُ فِيكُمُ التَّقْلِيلَ الْأَصْغَرَ».

وشاهد ذلك الحوادث التي وقعت أَبْيَانَ حِيَاتِه عَلَيْهِ السَّلَامُ بحيث أنه كثيراً ما كان يتعرض أبناء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبقية التَّقْلِيلِ الْأَصْغَرِ كالإمام الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى الأخطار، بينما كان يسعى الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ جاهداً للحفظ عليهم، ومن ذلك أنه شاهد الإمام الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو يسارع إلى الميدان في معركة صفين فقال: «أَمْلَكُوا عَنِ هَذَا الْغَلَامِ لَا يَهُدُنِي»^(١٦) (فَإِنِّي أَنْفَسُ بِهِدَيْنِ) يعني الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ - على الموت لِنَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ).

كما يشير الإمام عَلَيْهِ السَّلَامُ في مكان آخر إلى مسألة (الوصية والوراثة)^(١٧).

وصية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ واستخالفهم من بعده لا تستند على أساس القرابة والنسب، ولا يخفى أنَّ المراد بالوصية والوراثة هنا الخلافة والنبوة، بل حتى لو افترضنا أنَّ الوراثة هنا هي وراثة علوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كما ذهب إلى ذلك البعض - فإنَّ الأمر سيقود بالتالي إلى جدارتهم بإحراز هذا المقام، لأنَّ خليفة النبي وإمام الخلق لا بد أن يكون وارثاً لعلوم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنَّ خليفته هو وصيه، فوراثة الأموال - كما نعلم - ليست بذات قيمة والوصية في الأمور الشخصية والاعتراضية لا تحظى بأيّة أهمية، ولا شك أنَّ أولئك الذين سعوا جاهدين لنفسير الوصية والوراثة ب مثل هذه المعاني إنما يكشفون عن مدى تعصّبهم واستنادهم إلى

العناد والأفكار المسبقة.

فليس هنالك من مسألة مهمة تنسجم وقوله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ «أَسَاسُ الدِّينِ وَعِمَادُ الْيقِين»^(١٩) وخصائص حق الولاية سوى مسألة خلافة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ وأخيراً يخاطب الأمة في زمانه وكأنهم قد تنكروا البعض النعم ولا سيما عودة الحق السليم، «الآن إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ وَنُقْلَ إِلَى مُنْتَقِلِهِ»^(٢٠) يتضح مما قيل بشأن الوصية والوراثة أن المراد بالحق هنا هو الولاية والخلافة التي لا تليق إلا بأهل البيت عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ، وأن محلهم من الخلافة محل القطب من الرحمي.

كما يشير الإمام عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ في بعض عباراته الأخرى إلى لزوم الوفاء بالبيعة وعدم إمكان الفسخ والنكث وتجديد النظر وعدم الحاجة إلى التكرار وهذه مسائل مقبولة بالنسبة للبيعة أيضاً.

ويستفاد من هذه التعبير ضمناً بصورة جيدة أن البيعة إذا كانت فيها جنحة إكراه أو إجبار أو أخذت على حين غرة من الناس فلا عبرة بها ولا قيمة لها بل البيعة الحق التي تكون في حال الاختيار والحرية والإرادة والتفكير والتدبر^(٢١).

أميرنا عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ والدفاع عن المسجونين

برغم أن السجن لم يكن دائماً محلاً للأخيار، بل يستضيف تارةً الأبرياء وتارةً الجرميين، لكن القواعد الإنسانية تستوجب التعامل الحسن مع السجناء حتى ولو كانوا مجرمين.

وقد يتصور البعض أن الدفاع عن المسجونين من مبتكرات العصر الحديث، لكن المتتبع للتاريخ الإسلامي يرى أنه منذ الأيام الأولى لقيام دولة الإسلام كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَاٰلِهٖ وَسَلَّمَ يؤكّد ويوصي على التعامل الحسن مع الأسرى والمسجونين كما قرأتنا جيّعاً وصيحة علي عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ في حق المجرم الذي قام باغتياله وهو عبد الرحمن بن ملجم المرادي حيث أمر أن يرفق به وحتى أنه عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبِينُ بعث إليه من اللبن الذي كان

يشربه وعندما أرادوا قتله قال: ضربة بضربة.

أميرنا عليه التوحيد والخلاص الذي طبع حياته

كان علي عليه التوحيد مجسم التوحيد ومظهره التام قبل أن يدعو الآخرين لهذه الحقيقة المخالصة، لم يسجد لصنم طرفة عين طيلة حياته قط ليلوث صفو روحه غبار الشرك، كان لا يفعل شيئاً إلا ويرى الله فيه وقبله ومعه لا يروم سوى رضاه.

كما وقف كالطود الشامخ يزود عن الدين بغية استتاباب التوحيد والعبودية، ولا يخفى على أحد موقفه في الخندق ومبارزته لعم بن ود العمري، فقد صرّعه الإمام عليه وأوشك أن يقتله، وقد أصيب جيش الإسلام بالذهول حين رأى الإمام عليه قد انصرف عن قتله (ولعله نهض من عنده وتركه لمدة بعد أن تجول في الميدان) ثم عاد إليه وقتله: فلما سُئل عن علة ذلك قال عليه: «قد كان شتم أبي وتفل في وجهي فخشيت أن أضر به لأجل نفسي فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلتني في الله»^(٢٢).

وقد وقف بكل قوة تجاه بعض أصحابه الذين اعترضوا عليه بالتسوية في العطاء من بيت المال قال: «أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّت عليه، والله لا أطور به ما سمر سمير، وما ألم نجم في السماء نجماً، لو كان المال لي لسوّيت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله»^(٢٣).

ولما كان يقف للصلوة كان يستغرق في صفات الله وجلاله وجماله بحيث لم يكن يرى سوى الله ولا يفكّر في سواه، حتى ورد في الأخبار أن سهما أصاب رجله في وقعة أحد وكان يصعب سلنه من رجله فأمر رسول الله عليه بسلنه حين يقف للصلوة، فلما فرغ عليه من صلاته قال لم أشعر بالسهم حين الصلاة^(٢٤). وما أكثر هذه النماذج التوحيدية في حياة الإمام عليه.

إلى هنا أختتم مقالتي المتواضعة، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، اللهم ولا تقرنَا مع الشيطان أبداً، اللهم نسألك حسن العاقبة وأن تختم لنا بالخير وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين^(٢٥).

المواهش:

- (١) سورة النساء، الآية ٥٩.
- (٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣٤.
- (٣) مفتاح السعادة ج ٦ ص ٨٤.
- (٤) «إمرة» على وزن عبرة مصدر أو إسم مصدر من مادة «أمر» و«الإمرة» هنا بمعنى الحكومة. واضح أن الضمير في إمرته يعود إلى مطلق الأمير سواء البر أو الفاجر وكذلك ضمير فيها، وليس صحيح ما أورده بعض شراح نهج البلاغة من أن الأول يعود إلى البر والثاني إلى الفاجر، أو كلاهما للفاجر.
- (٥) نهج البلاغة، الخطبة ١٣٦.
- (٦) صحيح البخاري ٢٥٠٥/٦ طبعة دارالنشر بيروت وصحيح ابن جban ١٤٨/٢، طبع مؤسسة الرسالة.
- (٧) بحار الأنوار، ج ١٠ ص ٢٤٨ نقلًا عن مناقب ابن شهر آشوب.
- (٨) نهج البلاغة، من كتاب له عليه رقم ١.
- (٩) من كتاب له رقم ٦، وينبغي الالتفات إلى أن التحويل على بيعة الخلفاء السابقة هو لأن معاوية كان منصوباً من قبلهم، وكان يدافع عنهم فلا منافاة بين هذا وما جاء في الخطبة المعروفة بالشقشمية.
- (١٠) لا يشيّي، أي: لا ينظر فيها ثانيةً بعد النظر الأول.
- (١١) المُرَوِّي: هو المنفك هل يقبل الشيء أو ينبذه.
- (١٢) المُداهن: المنافق، والقول من نهج البلاغة، من كتاب لأمير المؤمنين عليه السلام برقم ٧.
- (١٣) نهج البلاغة، الخطبة ٧٨.
- (١٤) ميزان الحكمة ج ١ رقم الحديث ٩١٧، وقد ورد هذا الحديث من طرق الشيعة، ومن طرق

السنة.

(١٥) نفس المصدر، رقم الحديث ٩٨٠.

(١٦) أَمْلِكُوا عَنِّيْ: أي خذوه بالشدة وأمسكوا به. ويهُدِّنِي: أي يهدمني.

(١٧) نَفْسٌ بِهِ - كَفْرٌ - أَيْ ضَنْ بِهِ.

(١٨) نهج البلاغة، الخطبة رقم ٢.

(١٩) هذه الفقرة سبقت الفقرة مورد البحث في الخطبة.

(٢٠) هنالك مذوف في الجملة -كما قال في نفحات الولاية- تقديره: «الآن إذ أرجع الحق إلى أهله لم لا تؤدون حقه». وقد ورد تقدير ذلك في مصادر نهج البلاغة: «الآن إذ أرجع الحق إلى أهله من أهل بيته يجري ما يجري من الحوادث ويقع ما يقع من الاختلاف» مصادر نهج البلاغة ٣٠٢/١ وكلا النتيجتين واحدة.

(٢١) تفسير الأمثل، ج ١٦، ص ٣٣٨، بتصريف وزيادة.

(٢٢) مناقب ابن شهر آشوب ١١٥/٢.

(٢٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦.

(٢٤) كتاب المناقب المرتضوية تأليف المولى محمد صالح الكشفي الحنفيي ٣٦٤، طبعة بومباي، مطابق إحقاق الحق ٦٠٢/٨.

(٢٥) استقيت كثيراً في بحثي المتواضع هذا من التفاسير القرآنية لا سيما من تفسير الأمثل بتصريف.



تحقيق نسخ تفسير القمي ونسخ مختصراته

(القسم الأول)

محمد علي العزبي

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على نبيه محمد
وآله الطاهرين، وعليه نتوكل وبهم نتوسل.

ليس المقال -الذي بين يديك- يبحث في أحوال الرجال
وتوثيقاتهم، ولا عن الأسانيد واتصالها، كما بحثه الرجاليون
من المتأخرین وكثير منهم متبع بخبر الواحد الخالي عن
القرائن، بل هو بحث في صحة النسخ المتداولة ومقدار ما
يکن الاعتماد عليه فيها، وهو لا يقل عن البحث السندي إن

لم يزد عليه أهمية؛ فإن صحة السند ووثاقة الرجال إحدى قرائن صحة الخبر عند
المشهور، وصحة نسبة الكتاب ثم النسخة مثلها، فلا يمكن الأخذ بما اتصل وصح

سنده من الكتب لكن اختللت نسخته أو لم تصح، وهذا كما أنه موجب لعدم العلم بصحة الخبر -المنتهي لنفي حجيته لانتفاء العلم الواقعي أو التزلي التعبدى - كذلك موجب لسقوط الاعتماد عليه عند بقية المسالك طرا.

ومن هنا وجوب البحث في مصادر الأدلة الشرعية، مصدرًا مصدرًا، وكتاباً كتاباً، ولا يخفى أنه أمر شاق، لكنه بحمد الله يسهله الزمن ويلين صعوبته ما هو متوفّر من قرائن تكشفها المخطوطات، وتجمعها شتى المكتبات، وتحفظ بأحدث طرق الحفظ وبشتى الأنواع، وسيمر عليك لفتات ما ذكرنا، وستعرض عليك شواهد على ما أوردنا.

والتحقيق الذي بين يديك هو موجز مقتضب لتحقيق مطول مفصل نشره قرباً إن شاء الله، فكل إجمال وجدته فتفصيله تجده هناك، وكل نقص فتمامه هناك^(١)، وسائل الله الرضا بالعمل وحسن الختام.

موجز التحقيق

مقدمة في طبعات ونسخ تفسير القمي المتداولة

فقد طبع الكتاب لأول مرة سنة ١٣١٣هـ في طهران على الحجر، وقيل أنه على نسخة الشيخ الحر رحمه الله التي عليها خط الحر نفسه، ولم تتحقق النسبة، وسيمر عليك أن نسخة الحر التي ينقل عنها مطابقة للمتداول اليوم.

ثم أعيدت طباعته في بيروت وتبذلز، ثم طبع بالطبع الحديث في النجف بتحقيق السيد طيب الموسوي الجزائري رحمه الله وقدم له الشيخ الطهراني رحمه الله في سنة ١٣٨٧هـ. وقال السيد أنها مقابلة على ثلاث نسخ: المطبوعة بإيران ونسخة مكتبة الحكيم ونسخة مكتبة كاشف الغطاء، ثم أعيد استنساخه بالأوفست سنة ١٤٠٤هـ في إيران، ثم تكثرت نسخه الباروية والقمية والترجمة للفارسية.

النظر في مقدمة التفسير المتداول

وهي مقدمة طويلة، فيها محل استظهار منه الأعلام المتأخرن شهادته بصحة الكتاب ووثاقة مشايخه المذكورين فيه، قال: "ونحن ذاكرون ومخبرون بما ينتهي إلينا ورواه مشايخنا وتقاتنا عن الذين فرض الله طاعتهم وأوجب ولائهم ولا يقبل عمل إلا بهم" ^(٢).

والصحيح أن العبارة مفادها إرادة المصنف تأكيد صحة الاعتماد على كتابه، لا أوسع من هذا، وإن كانت دلالة الألفاظ على ما ادعى صحيحة، لكن ديدن المصنفين في استعمال هذه العباري والأساليب لا تخفي على الخبر، وهي لا تنقص عن عبارات المتأخررين في أول مصنفاتهم ولا تزيد، وقد كان مشايخنا المتقدمين - الذين حضرتهم النسخ وتأملوها أكثر مما تأملناها - لا يعيرون هذه العباري اهتماما، وينصرفون لقرائين الصحة وصفات الرواية وخبرته واحتياطه ووثاقته، وأظن أن أول من قسم بهذه الحجج هو الشيخ حسن بن الشهيد الثاني بعد تأسيس ورواج المصطلح الجديد في تقسيم الحديث بفترا؛ ليجيب عن إشكال القوم القائلين به ومن جره هذا القول لترك جل الأخبار المودعة في كتبنا المعروفة، ثم تبعه من تبعه من علمائنا رحمهم الله برحمته.

وفي المقدمة موضع هام أثبتت في بعض النسخ ولم يثبت في أخرى، وهو قوله بعد العبارة السابقة بأسطر وقبل دخوله في تقسيم أصناف الآي للكتاب المجيد، قال: "قال أبو الحسن علي بن إبراهيم الهاشمي القمي"، نقلها السيد عن طبعة إيران لسنة ١٣١٣هـ المطبوعة على الحجر، وسيمر عليك ما وجدناه في المخطوط الذي رأينا أنه أجدر بالاهتمام من المداول، وسقط في المخطوط الآخر، فانتظر. ثم بدأ صاحب المقدمة - أيًا كان - بإجمال ثم تفصيل أنواع الآيات وما دل عليها من الكتاب العزيز، فقال: "فالقرآن منه ناسخ ومنسوخ" حتى قوله: "وفيه

أمثال وفيه أخبار وقصص"، وهي شبيهة جداً - بل هي هي - بما روي في أول تفسير النعmani - وهو من تلامذة الكليني وابن عقدة - والتي استخرجها السيد المرتضى وسيت بر رسالة الحكم والتشابه ونسبت إليه، المنشورة بكمالها في أول الجزء من بحار الأنوار^(٣)، إلا ما قاله بعدها بغير فصل: "ونحن ذاكرون جميع ما ذكرنا.. وطهرهم تطهيراً، فإنها من كلام صاحب المقدمة وليس في تلك الرسالة.

ثم فصل ما أجمل فقال: "فأما الناسخ والمنسوخ" إلى قوله: "ومثله كثير نذكره في مواضعه إن شاء الله تعالى"^(٤)، وهذه الأخيرة قد تكررت بعد كل مقطع مما فصله، لكنها مفقودة من رسالة الحكم والتشابه المذكور، بل زادت عليها تلك الرسالة بتفصيل وإسهاب طويل، وهذا ما يبعث على احتمال أن يكون كاتب المقدمة قد اختصر مقدمة الكتاب الأصل، ونحن بعد التتبع الطويل لم نجد أثراً للمقدمة وذكرها في كتب المتقدمين، ولا خرج منها شاهد في مصنفاتهم، كما أن ابن العتايقي في مختصره - كما يير عليك - لم يذكرها ولم يشر إليها، وهذا وإن كان ليس بدليل على العدم، لكنه مشعر بكونها ليست من أصل الكتاب، وهي خبر مروي عن الصادق عليه السلام، رواه القمي - على احتمال يوجبه ذكر اسمه أوائلها - منفصلاً كما رواه غيره من ذكرناهم، فألف منها أحدهم مقدمة لكتابه هذا، أعني التفسير المتداول، وتأتيك شواهد الصدق على المدعى.

ومما يشعر بها ما قاله: «عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى»، قال أبو الحسن علي بن إبراهيم بن هاشم حدثني أبي عن أحمد بن محمد بن أبي نصر عن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: «يا أحمد ما الخلاف بينكم وبين أصحاب هشام بن الحكم في التوحيد»، فقلت: جعلت فداك قلنا نحن بالصورة^(٥) الحديث، ذكر مثله في عدة مواضع؛ فإنه قطع به خبر رسالة الحكم والتشابه، وطعمها برواية القمي كما في كثير من مواضعها، وهي وإن كانت تصدر من مصنفي الكتب - كما

صدرت من يونس بن عبد الرحمن لما علق وشرح بعض الأخبار في كتبه وخللها بحواشيه الموضحة، وصدرت من تأخر عليه من أصحاب الجامع الحديبية - إلا أنها لا تخلو من إشعار بالتصريف في الأصل، ويؤكده ما في المقطع الذي بعده: "وأما الرد على من أنكر خلق الجنة والنار فقوله: ﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾، والسدرة المنتهى في السماء السابعة وجنة المأوى عندها [و] ^(٦) قال علي بن إبراهيم حدثني أبي عن حماد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «قال رسول الله عليه السلام: لما أسرى بي إلى السماء دخلت الجنة فرأيت قصراً من ياقوتة حمراء» ^(٧)، فإن العطف لا يأتي به مصنف الكتاب عادة.

وأوضح من هذا كله ما ذكره صاحب المقدمة آخرها، قال:

"نحن نذكر ذلك كله في مواضعه إن شاء الله تعالى وإنما ذكرنا من الأبواب التي اختصرناها من الكتاب ^(٨) آية واحدة ليستدل بها على غيرها، ويعرف معنى ما ذكرناه مما في الكتاب وفي ذلك الذي ذكرناه كفاية لمن شرح الله صدره وقلبه للإسلام" ^(٩)، ومقصوده تلك الأبواب المذكورة في المقدمة على التفصيل المتقدم؛ فإنه ذكر لكل باب وصنف شاهدا غالباً أو شاهدين من الآيات، وهي الأبواب عينها في رواية رسالة الحكم والتشابه، مع تفصيل لم يذكره صاحب المقدمة، وشواهد من الآيات كثيرة لم يوردها كذلك، والرسالة طويلة تملئ ما يقارب المائة صفحة من البحار، وأحتمل قوياً أن يكون الكتاب المشار إليه هو كتاب الناسخ والمنسوخ المعدود من كتبه في فهرست النجاشي ^(١٠)، اختصره مؤلف الكتاب وضمه إلى تفسير القمي بعد أن اختصره أيضاً.

ولعمري ليس أوضح من هذا التصريح شيء يدل على مغايرة كاتب المقدمة أو مختصرها مع صاحب الكتاب الأصل أو مقدمته.

والذي اتضح لنا بعد التأمل، أن المقدمة ما هي إلا مختصر بقلم مختصر

الكتاب أيضاً -الذي يأتي ما يدل عليه- وهو عالم من علمائنا المتأخرين على عصر المؤلف بلا شك، واتحاد المقدمة مع رسالة الحكم والتشابه وهي رواية في كتاب تفسير محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني عليه السلام يرويها عن شيخه ابن عقدة^(١١)، والذي يأتي أن مختصر التفسير وهو هذا الكتاب المتداول قد تصرف بخشوا تفسير أبي الجارود فيه، الذي يرويه شيخ النعماني ابن عقدة أيضاً، كل ذلك يوحي بأن صاحب هذا الكتاب -أي التفسير المتداول- المأذوذ من تفسير القمي لا يبعد أن يكون هو نفس الشيخ الجليل النعماني، وقد تصرف في المقدمة -إن كانت- والكتاب بما وجده مناسباً من الاختصار والخشوا، ووضع علامات تدل على أنه مختصر له ومتصرف فيه، منها ما ذكرناه ونذكرها إن شاء الله تعالى^(١٢).

وبعبارة أخرى: إن محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني موقعاً ملFTAً فيما يربط بالتفسير ومقدمته، فإنه الراوي لما اصطلاح عليه رسالة الحكم والتشابه، رواها عن شيخه ابن عقدة في مقدمة تفسيره، وهي ما اختصر عنها مقدمة التفسير المتداول على احتمال يبعث عليه اتحاد الألفاظ والمقطوع، وبيناه. كما أن تفسير أبي الجارود الذي خلط به هذا التفسير روي عن شيخ النعماني ابن عقدة أيضاً، ولذا احتملنا أن تكون مقدمة هذا التفسير أحد ثلاثة:

الأول: رسالة الناسخ والمنسوخ للشيخ للقمي، التي عدها النجاشي ضمن مؤلفاته، ولذا نجد في المقدمة ذكراً لاسم القمي، والقمي في رتبة شيخ مشايخ النعماني الذي بدأأخذ الحديث أواخر حياة القمي المتوفى حدود سنة ٣٢٩ أو قبلها كما قيل، ومن مشايخ النعماني الشيخ الكليني -المتوفى حدود سنة ٣٢٨- الذي أخذ عن علي بن إبراهيم وأكثر، ويأتي كذلك أن السيد ابن طاووس روى التفسير بطريق ينتهي لحفيد القمي عن أبيه أحمد (أو محمد)^(١٣) بن علي بن إبراهيم بن هاشم القمي عن أبيه علي، وأحمد هذا في رتبة الشيخ الكليني رحمهم

الله أجمعين، روى عنه النعmani بواسطة واحدة^(١٤)، وكذا حميد علي وابن أحمد في رتبة من يكن أن يحدث عنه النعmani، وهذا ما يجعلنا نقول: إن كون متن التفسير مروي عن النعmani عن أحمد (أو محمد) عن أبيه -شبيها بالطريق الذي ذكره ابن طاوس - أمر غير بعيد.

كما أن محمد بن علي بن إبراهيم كتاب العلل، استظهر الشيخ المجلسي - وكان عنده هذا الكتاب - أنه محمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم في مقدمة البحار، ثم عدل عن ذلك، وال الصحيح أنه لابن علي بن هاشم القمي، ونقل عنه المجلسي رحمه الله في بحارة عدة أخبار متوافقة مع ما في المداول غالباً مع تفاوت في ^(١٥) بين

الثاني: أنها مقدمة لتفسير علي بن هاشم، لا رسالة منفصلة له، وهو المقدم لها، ويدل عليه ما نقله لاحقاً من كتاب مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان، فإنه نقل عن تفسير علي بن إبراهيم ما يطابق الموجود في مقدمته المداولية، لكن هذا الاحتمال لا يثبت عدم التصرف في المقدمة بالاختصار؛ فإن العبار في المقدمة و متن التفسير طافحة بالقرائن عليه.

الثالث: رسالة الحكم والمتشابه المتقدم ذكرها للنعماني.

وعلى كل الاحتمالات، فإن الاختصار والتحوير واقع في المقدمة حتماً، كحتمية ما وقع في متن التفسير.

ويؤيد هذا أيضاً ما سيأتي من تعدد نسخ التفسير بحسب الرواية مع اتحاد المتن، فالسيد بن طاوس مثلاً - كما ذكرنا ويأتي - يروي نسخته عن حميد علي بن إبراهيم عن أحمد بن علي بن إبراهيم عن أبيه علي بن إبراهيم القمي، كما هو الظاهر من نقله في كتابه سعد السعود، ومن المناسب أن تصل نسخة التفسير للنعماني عن شيخه الكليني أو من كان في طبقته كذلك، كعادة المحدثين في

الإجازة والقراءة على مشايخهم وتلاميذهم.

أضف إليه أن مطالعة التفسير المتداول تفضي إلى العلم بأن مختصره مطلع على الأسانيد فيه، فتجده يرسل المسند في الكتب الأخرى، ويستند المرسل فيها، وكأنه مطلع على الأسانيد، مع روايته عن علي بن إبراهيم، وهذا له شواهد كثيرة في التفسير المتداول^(١٦)، منها ما رواه عن الصادق ع عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وَدَارًا﴾^(١٧)، وهي مرسلة في كتابي مختصر ابن العتايقي^(١٨) وتأويل الآيات للسيد شرف الدين الحسيني^(١٩)، مع أنها نقلها بلفظ واحد عن تفسير القمي أيضاً، فلا بد من كون المختصر والمتصرف في أصل التفسير خبير بالحديث.

فاجتمع لدينا ما يشبه القرينة القوية على دخالة النعماني ع عليه السلام بنحو من الأئماء في تأليف المقدمة وتفسير القمي واختصارهما عن أصلهما وزيادة تفسير الإمام الباقر ع عليه السلام من تصانيف أبي الجارود.

النظر في متن التفسير المتداول وأخباره

قال في أول تفسير البسملة: "أقول: تفسير بسم الله الرحمن الرحيم: حدثني أبو الفضل العباس بن محمد بن القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر ع عليهما السلام قال: حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم قال: حدثني أبي ع عليهما السلام عن محمد بن أبي عمير عن حماد بن عيسى عن حرث عن أبي عبد الله ع عليهما السلام قال: حدثني أبي عن حماد وعبد الرحمن بن أبي نجران وابن فضال عن علي بن عقبة قال: وحدثني أبي.." إلى آخر الأسانيد والخبر، ويأتيك في مقارنة نسخ المداول حقيقة هامة، في لفظ (أقول)، وفي أبي الحسن علي بن إبراهيم المروي عنه، وفي لفظ (حرث)، وغيرها.

ولنكتفي هنا بذكر ما أفاده الحق المتبع الخبير الشيخ الطهراني أعلى الله مقامه في ذريعته^(٢٠)، فإنه أول من حقق المسألة وسبق بها، ونعقبه بشيء من

التعليق، قال عليه السلام: "ولخلو تفسيره هذا عن روايات سائر الأئمة عليهم السلام قد عمد تلميذه الآتي ذكره والراوي لهذا التفسير، عنه على إدخال بعض روايات الإمام الباقي عليه السلام التي أملأها على أبي الجارود في أثناء هذا التفسير، وبعض روايات آخر عن سائر مشايخه مما يتعلق بتفسير الآية ويناسب ذكرها في ذيل تفسير الآية، ولم يكن موجوداً في تفسير علي بن إبراهيم فأدرجها في أثناء روايات هذا التفسير تتمima له وتكتيراً لنفعه، وذلك التصرف وقع منه من أوائل سورة آل عمران إلى آخر القرآن".

أقول: بل إن التصرف بالزيادة والنقيصة والخشو بدأ من أول الكتاب إلى منتهى كما سيتبين لك؛ فإنه قد تصرف في كلمات علي ابن إبراهيم وروايته بالاختصار والمحذف كذلك.

ثم قال الطهراني عليه السلام: "واللَّمِيدُ هُوَ الَّذِي صَدَرَ التَّفْسِيرَ بِاسْمِهِ فِي عَامَةِ نُسُخِهِ الصَّحِيحَةِ الَّتِي رَأَيْنَاها".

أقول: هذا لا يعني عن وجوب النظر والمقارنة بين النسخ، وقد تتبعنا نسخاً نفيسة من التفسير المتداول، فوجدنا أن المصدر اسمه هو علي بن إبراهيم بن هاشم القمي في نفسها وأضبطتها، والعجب من الشيخ مع طول باعه وسعة اطلاعه غفل عن بعض النسخ النفيسة للتفسير المتداول، وغفل عن بيان الفوارق في مختصره الذي ذكره لابن العتايقي، ويأتيك مزيد بيان، وفيه فوائد جمة.

وقال عليه السلام: "وفي أول سورة البقرة تحت عنوان "قال أبو الحسن علي بن إبراهيم حدثني أبي" وقد يقول: "إنه حدثني أبي" الصريح جميعها في أنها مرويات علي بن إبراهيم عن أبيه، وهكذا، إلى أوائل سورة آل عمران في تفسير آية ﴿وَأَنْبَأْنَاهُمْ تأكلون وما تدخلون في بيونكم ﴾ في (ص ٥٥) ^(٢١) فغير أسلوب الرواية هكذا" حدثنا أحمد بن محمد الهمданى. قال حدثني جعفر بن عبد الله. قال حدثنا كثير بن عياش عن زياد بن المنذر أبي الجارود عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام" وروى بهذا السند

أيضاً في (ص ١٠٨) و(ص ١٤٦) وهذا السند بعينه هو الطريق المشهور إلى تفسير أبي الجارود، وقد روى الشيخ الطوسي -في الفهرست- وكذا النجاشي تفسير أبي الجارود عنه بسندهما إلى أحمد بن محمد الهمداني هذا المعروف بابن عقدة، (وماتوفى ٣٢٣) إلى آخر سنته هذا الذي ذكرنا في تفسير أبي الجارود أنه سند ضعيف بسبب كثير بن عياش، لكنه غير ضائع حيث أنه رواه أيضاً كثير من ثقات أصحابنا عن أبي الجارود كما سنشير إليه، وقائل حدثنا ابن عقدة في الموضع الثلاثة ليس علي بن إبراهيم جزماً؛ لأن القمي^(٢٢) هو الذي روى عنه الكليني (ماتوفى ٣٢٨) كثيراً من روایات كتابه "الكافي" الذي يرويه ابن عقدة هذا عن مؤلفه الكليني، فكيف يروي عن ابن عقدة رجل هو من أجل مشايخ أستاذته، وهذا أول حديث أدخله أبو الفضل -عن شيخه ابن عقدة مسندًا إلى أبي الجارود- في هذا التفسير ولم يذكر أبا الجارود قبل ذلك أبداً). أقول: تأكيناً من هذا وراجعنا موارد ذكره، وهو صحيح، إلا أن قائل "حدثنا أحمد بن محمد الهمداني" ليس هو أبو الفضل كما قال ~~عليه السلام~~، بل هو مؤلف هذا التفسير المتداول.

[أبو الفضل العباس وطبقته]

والذي يدلّك على ما جزمنا به: أنه من المناسب أن يكون من يروي عنه القمي -في أول الكتاب- قد توفي مقارباً لسنة ٣٢٩ أو قبلها وهي سنة وفاة القمي تقربياً، وقد ذكرنا لك آنفاً أن الكتاب مروي عن القمي نفسه عن أبي الفضل العباس، وأن علي بن إبراهيم الذي يروي عنه العباس ليس هو القمي، ويأتي ما يدل عليه في شواهد نسخ التفسير المخطوطة كذلك.

وقد روى أخو العباس، موسى، عن حكيمه عمّة مولانا صاحب الزمان عليه من الله أزكي السلام، ذكره في الكافي في باب تسمية من رأه عليه السلام فقال: "محمد بن يحيى، عن الحسين بن رزق الله أبو عبد الله قال: حدثني موسى بن محمد بن

القاسم بن حمزة بن موسى بن جعفر قال: حدثني حكيمة ابنة محمد بن علي - وهي عمة أبيه- أنها رأته ليلة مولده وبعد ذلك^(٢٣)، وذكره السيد ابن عنبة في عمدة الطالب وكذا اسم أخيه العباس^(٢٤).

وروى الشيخ الصدوق في العلل عن علي بن أبي سهل حاتم - الذي كان حيا سنة ٣٥٠ هـ كما في الفهرست^(٢٥) - عن أبي الفضل العباس بن محمد^(٢٦). وأبوه محمد من أصحاب الهمة^(٢٧) كما في رجال الشيخ^(٢٨)، فطبقة العباس تناسب أصحاب العسكري والحجاج^(٢٩)، لوقوعه في رتبة أخيه أو قريباً منها، وتتأخره عن رتبة أبيه محمد، وتقدمه عادة عن رتبة من روى عنه وهو علي بن حاتم.

فلا ضير إذن أن يروي القمي - المتأخر رتبة المتوفى حدود سنة ٣٢٩ هـ كما ذكر صاحب الذريعة، أو ٣٠٧ هـ^(٣٠) - عن أبي الفضل العباس بن محمد العلوي، فإن العباس واقع بين ما يقارب سني ولادة الإمام الحجة^(٣١) سنة ٢٥ هـ وبين ما يقارب وفاة من روى عنه وهو علي بن حاتم الحي سنة ٣٥٠ هـ.

وظهر لك أيضاً أن ابن عقدة المتوفى سنة ٣٣٣ هـ وروى عنه النعماني - المتوفى حدود سنة ٣٦٠ - حينها، ليس في رتبة مشايخ أبي الفضل العباس حتى يقال أن العباس روى تفسير القمي عن علي بن إبراهيم، وروى معه تفسير أبي الجارود عن ابن عقدة، بل ابن عقدة في رتبة متاخرة عن يأخذ عن أبي الفضل العباس، كما أخذ منه القمي نفسه.

ثم قال الطهراني^(٣٢): "ثم إنه بعد ذلك لم يذكر تمام هذا الأسناد إلا في (ص ١٠٨) و(ص ١٤٦) وأما في غيرهما فقد اكتفى بقوله (وفي رواية أبي الجارود كذا) وهكذا إلى آخر تفسير القرآن، وفي الغالب بعد تمام رواية أبي الجارود أو رواية أخرى عن بعض مشايخه الآخر كما يأتي يعود إلى تفسير علي بن إبراهيم القمي بقوله

"وقال علي بن إبراهيم كذا" أو "ثم قال بن إبراهيم كذا" أو "قال علي بن إبراهيم كذا" وفي عدة مواضع يقول "رجع إلى تفسير علي بن إبراهيم" كما في صفحات (٦٥ - ١٤٦ - ١٦٣) وفي بعضها "رجع إلى رواية علي بن إبراهيم" كما في صفحات (١٥١ - ١٨٢ - ٢٣٥) وفي بعضها "رجع الحديث إلى علي بن إبراهيم" كما في (ص ١٥٥) وفي بعضها "في رواية علي بن إبراهيم كذا" كما في صفحات (١٥٩ - ١٦٠ - ٢٧٢) وفي بعضها "من هنا عن علي بن إبراهيم" كما في (ص ٢٦٤) لكن في بعض النسخ لم يوجد كلمة "من هنا".

وبالجملة يظهر من هذا الجامع أن بناءه على أن يفصل ويميز بين روایات علي بن إبراهيم وروایات تفسیر أبي الجارود بحيث لا يشتبه الأمر على الناظرين في الكتاب) انتهى ما أفضله قلم الحق الخبير رحمه الله، وقد وقفت معنًا على موضع السهو في كلامه.

مقارنة متن التفسير بالمصادر الناقلة عنه

[نسخ التفسير لأعلام ما قبل القرن الثامن]

[أول من نقل من التفسير وصرح باسم الكتاب]

أول من وجدناه ينقل صريحاً عن تفسير منسوب لعلي بن إبراهيم بعنوان (تفسير علي بن إبراهيم) هو الشيخ رحمه الله في كتاب الزكاة من التهذيب، نقله بتمامه تنببيها، قال: "وذكر علي بن إبراهيم بن هاشم في كتاب التفسير تفصيل هذه الثمانية الأصناف فقال: فسرهم العالم رحمه الله فقال: الفقراء: هم الذين لا يسألون، لقول الله عَزَّ ذِلْكَ في سورة البقرة (للقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلها فاما) والمساكين: هم أهل الديانات قد دخل فيهم الرجال والنساء والصبيان،

والعاملين عليها: هم السعاة والجباة في أخذها وجمعها وحفظها حتى يؤدوها إلى من يقسمها، والمؤلفة قلوبهم قال: هم قوم وحدوا الله وخلعوا عبادة من دون الله ولم تدخل المعرفة قلوبهم أنَّ محمداً رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يتأنفهم ويعلمهم ويعرفهم فيما يعرفوا، فجعل لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا.

وفي الرقاب: قوم لزموهم كفارات في قتل الخطأ وفي الظهار وفي الأيمان وفي قتل الصيد في الحرم وليس عندهم ما يكفرون وهم مؤمنون فجعل الله لهم سهماً في الصدقات ليكفر عنهم، والغارمين: قوم قد وقفت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من غير إسراف فيجب على الإمام أن يقضي عنهم ويفكهم من مال الصدقات، وفي سبيل الله: قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما يتقوون به، أو قوم من المؤمنين ليس عندهم ما يحجون به أو في جميع سبل الخير فعل الإمام أن يعطيهم من مال الصدقات حتى يقووا على الحج والجهاد، وابن السبيل: أبناء الطريق الذين يكونون في الأسفار في طاعة الله فيقطع عليهم ويذهب مالهم فعل الإمام أن يردهم إلى أوطانهم من مال الصدقات^(٣٠). وهي من أهم الدلائل على التصرف والخشوع في أصل التفسير.

وهي في التفسير المتداول هكذا:

”أخرج الله من الصدقات جميع الناس، إلا هذه الثمانية الأصناف الذين سماهم، وبين الصادقين من هم، فقال القراء هم الذين لا يسألون وعليهم مؤنات من عيالهم والدليل على أنهم هم الذين لا يسألون قول الله في سورة البقرة ﴿للقراء الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الأرض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسمائهم لا يسألون الناس الحافا﴾ والمساكين هم أهل الزمانة من العميان والمرجان والمجذومين وجميع الأصناف الزمني الرجال والنساء والصبيان ﴿والعاملين عليها﴾ هم السعاة والجباة في أخذها وجمعها وحفظها حتى يردوها إلى من يقسمها ﴿والمؤلفة قلوبهم﴾ قوم وحدوا الله ولم تدخل المعرفة في قلوبهم من أن

محمدًا رسول الله ﷺ، فكان رسول الله ﷺ يتألفهم ويعلمهم كما يعرفوا، فجعل الله لهم نصيباً في الصدقات لكي يعرفوا ويرغبوا.

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «المؤلفة قلوبهم أبو سفيان ابن حرب بن أمية وسهيل بن عمرو وهو من بنى عامر بن لوي وهمام بن عمرو وأخوه وصفوان بن أمية بن خلف القرشي ثم الجشمي الجمحي والأقرع بن حابس التميمي، ثم عمر أحد بنى حازم وعيينة بن حصين الفزارى ومالك بن عوف وعلقمة بن علاقه، بلغنى أن رسول الله ﷺ كان يعطي الرجل منهم مائة من من الإبل ورعايتها وأكثر من ذلك وأقل».

رجع إلى تفسير علي بن إبراهيم في قوله ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ قوم قد لزمهم كفارات في قتل الخطأ وفي الظهار وقتل الصيد في الحرم وفي الأيمان، وليس عندهم ما يكثرون وهم مؤمنون فجعل الله لهم منها سهماً في الصدقات ليكفر عنهم ﴿وَالْفَارِمِينَ﴾ قوم قد وقعت عليهم ديون أنفقوها في طاعة الله من غير إسراف، فيجب على الإمام أن يقضى ذلك عنهم ويفكهم من مال الصدقات ﴿وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ قوم يخرجون في الجهاد وليس عندهم ما ينفقون، أو قوم من المسلمين ليس عندهم ما يحجون به أو في جميع سبل الخير فعلى الإمام أن يعطيهم من مال الصدقات حتى ينفقوا به على الحج والجهاد ﴿وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ أبناء الطريق الذين يكونون في الأسفار في طاعة الله فيقطع عليهم ويدهب ما لهم فعل الإمام أن يردهم إلى أوطانهم من مال الصدقات، والصدقات تتجزئ ثمانية أجزاء فيعطي كل إنسان من هذه الثمانية على قدر ما يحتاجون إليه بلا إسراف ولا تقدير، يقوم في ذلك الإمام يعمل بما فيه الصلاح ^(٣١).

وهذا الخبر مما لم يذكره ابن العتايقي في مختصره الآتي عرضه.

وأنت بمنظر ما بين النقلين من تفاوت، ولا أظن الشك يسري بعد هذا لأحد فيتصور أن أصل التفسير لم يصبه التغيير؛ فما خططناه هو زيادة على التفسير

الذي لدى الشيخ رحمه الله، وما بينه متن الخبر عن العالم عليه السلام - المنسوب في المتداول إلى الصادق عليه السلام - وهو كذلك مغير فيه.

والعجب بعد هذا من المتبع الخبير المحدث المجلسي في ملاد الأخيار في شرح تهذيب الأخبار إذ قدم نسخة التفسير هذا - وهو نسخة من المتداول بتفاوت نقل عنها في البحار - على رواية الشيخ في التهذيب، وكأنه مسلم بنسبة نسخته من التفسير للقمي رحمه الله، قال قدس الله سره:

" المراد بـ"العالم" كأنه الصادق عليه السلام، فإن الذي رأيته في التفسير المذكور هو الصادق عليه السلام، والشيخ رحمه الله اختصر الخبر، واكتفى بذكر موضع الحاجة.

قال في التفسير: أخرج الله من الصدقات جميع الناس، إلا هذه الثمانية الأصناف الذين سماهم، وبين الصادق عليه السلام من هم؟ فقال: الفقراء هم الذين لا يسألون، وعليهم مئونات من عيالهم، والدليل على أنهم لا يسألون قول الله في سورة البقرة (للفقراء) إلى قوله (إلا حافاً) والمساكين هم أهل الزمانة من العميان والعرجان والمجدومين وجميع أصناف الزمني الرجال والنساء والصبيان - إلى آخر الخبر".^(٣٢)

ولم يشر رحمه الله لدلالة كلمة الرجوع لتفسير القمي التي قطعت خبر العالم عليه السلام برواية أبي الجارود عن الباقي عليه السلام، ولا لاختصار بعض العبائر في نسخته من التفسير - مع أنه نقل عبارة نسخته في البحار - وهي كنسخنا المتداولة اليوم.

وكذلك الشيخ الحر رحمه الله في وسائله عند نقله لخبر التهذيب قال: "ورواه علي بن إبراهيم في تفسيره عن الصادق عليه السلام نحو ما نقله الشيخ".

ومراده بنحوه غير نصه، لكنه تسامح واضح، بينما مواضع التفاوت بينهما.

هذا كله في الموضع الأول مما نقله الشيخ رحمه الله، وهو في غاية الأهمية في الدلالة على التفاوت بين المتداول وبين الأصل، سواء في حشو تفسير أبي الجارود أو في التصرف في ألفاظ الروايات بالاختصار.

[أول من وجدناه ذكر المعنى دون التصريح بكونه من كتاب التفسير]

وأما من ذكره دون الإشارة لكونه من التفسير ووجدنا معناه فيه: فمنهم الشيخ الصدوق في التوحيد، قال رحمه الله في تعداد معاني الفتنة العشرة: "قد زاد علي بن إبراهيم بن هاشم على هذه الوجوه العشرة وجها آخر فقال: من وجوه الفتنة ما هو المحبة وهو قوله بِرَبِّكُنَّ: «إنما أموالكم وأولادكم فتنة» أي محبة، والذي عندي في ذلك أن وجوه الفتنة عشرة وأن الفتنة في هذا الموضع أيضاً المحنة - بالنون- لا المحبة -بالباء-. وتصديق ذلك قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد مجھلة محنة مبخلة»، وقد أخرجت هذا الحديث مسندًا في كتاب مقتل الحسين بن علي صلى الله عليهما" ^(٣٣).

و معناها في التفسير المتداول في موضعين:

الأول: في مقدمة التفسير في أمثلة المتشابه، قال:

"وأما المتشابه فما ذكرنا مما لفظه واحد ومعناه مختلف فمنه الفتنة التي ذكرها الله تعالى في القرآن فمنها عذاب وهو قوله يُوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يَفْتَنُونَ أي يعذبون، وقوله الْفَتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وهي الكفر، ومنه الحب وهو قوله إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ يعني بها الحب، ومنها اختبار وهو قوله أَلَمْ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ يَتَرَكَّوْا ان يقولوا امنا وهم لا يفتون أَيْ لَا يَخْتَبِرُونَ، ومثله كثير نذكره في مواضعه ومنه الحق وهو على وجوه كثيرة ومنه الضلال وهو على وجوه كثيرة، فهذا من المتشابه الذي لفظه واحد ومعناه مختلف" ^(٣٤).

ولم يذكر فيه وجوها عشرة، واقتفي بقوله أنه على وجوه كثيرة.

الثاني: في سورة التغابن، قال:

"وقال علي بن إبراهيم في قوله ﴿وَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ أي يصدق الله في قلبه، فإذا بين الله له اختار المدى ويزيده الله كما قال ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادُوهُمْ هَدِيًّا﴾ وقوله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ أي حب^(٣٥).
والوجوه المذكورة في رسالة المعلم والتشابه لا ترقى كذلك لعشرة^(٣٦)، ثم إن ظاهر الشيخ الصدوق نسبة القول للقمي لا لرواية القمي، وهو يتوافق مع المقدمة أو كلام القمي بين تضاعيف الأخبار.

وهذا الاحتمال –أي كون الصدوق قد نقل قول القمي من مقدمة التفسير– أحد الشواهد على نسبة المقدمة للشيخ القمي مع احتمال التغيير فيها كالتبديل في التفسير نفسه –يأتي تأييد أن المقدمة هي للشيخ الصدوق بما نقله الحسن بن سليمان في بصائر الدرجات– ويصلح شاهدا لما ذكرنا من أن المقدمة ما هي إلا كتاب القمي (الناسخ والمنسوخ)، الذي احتملنا اختصاره ودمجه مع كتاب تفسير علي بن إبراهيم وحشو التفسير بتفسير أبي الجارود، بل احتملنا أن المتصرف فيما هو محمد بن إبراهيم النعماني^(٣٧) من روى عنه رسالة المعلم والتشابه وله طريق يرويه لتفسير أبي الجارود.

ونكتفي هنا بهذا المقدار، ونخيل القارئ لمطول هذا التحقيق للاطلاع على بقية الموارد.

[ما ذكره السيد ابن طاووس^{رحمه الله} حول نسخته من التفسير]

عدد السيد ابن طاووس^{رحمه الله} في أول كتابه (سعد السعود) ثلاثة فصول خصها فيما يذكره من الجزء الأول والثاني والرابع من أجزاء التفسير^(٣٨)، لكنه زاد عليها في متن الكتاب فصلا من الجزء الثالث من التفسير، وقال في الموضوع الرابع: "وجميع الكتاب أربعة أجزاء في مجلدين".

فقال في الموضع الأول: "فصل فيما نذكره من المجلد الأول من تفسير علي بن إبراهيم بن هاشم من الوجهة الثانية من القائمة السادسة من الكراس الثالث وقوله ﴿وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن قال إني جاعلك للناس إماما﴾ فقام العالى: هو الذى ابتلاه الله به مما أراه الله" إلى قوله "ولا تنسخ إلى يوم القيمة وهو قول رسول الله ﷺ ﴿وابتى ملة إبراهيم حنيفا﴾^(٣٩). وبينها وبين المتداول تفاوت في عدد من الموضع، يظهر منه إرادة مؤلف التفسير المتداول الاختصار^(٤٠)، ونقلها ابن العتايى عن نسخته من تفسير القمي مطابقة لما نقله السيد ابن طاووس^(٤١).

وقال في الموضع الثاني:

"فصل فيما نذكره من الجزء الثاني من تفسير علي بن إبراهيم وهو من جملة المجلد الأول في ثاني الوجهة من القائمة الأولى من الكراس التاسعة عشر بلفظه: وأما قوله ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾، حدثني علي بن إبراهيم عن أبيه عن حنان عن أبيه عن أبي جعفر قال رسول الله ﷺ: إن مقامي بين أظهركم خير لكم، ومفارقتي إليكم خير لكم، فقام رجل فقال [يا] رسول الله أما مقامك بين أظهرنا فهو خير لنا، فكيف يكون مفارقتك لنا خيرا لنا؟ فقال ﷺ: أما مقامي بين أظهركم خير لكم فإن الله يقول: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم [وهم] يستغفرون﴾، وأما مفارقتي لكم خير لكم فإن أعمالكم تعرض علي كل اثنين وكل خميس، فما كان من حسنة حمدت الله عليها وما كان من سيئة استغفرت الله لكم^(٤٢).

وفي المتداول:

"ثم قال: غفرانك اللهم فأنزل الله في ذلك ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون﴾ حين قال: (غفرانك اللهم) إلى أن قال: "قال

وحدثني أبي عن حنان بن سدير عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مقامي بين أظهركم.. فقالوا يا رسول الله ^(٤٣) الحديث.

وقوله في نقل السيد ابن طاووس: "حدثني علي بن إبراهيم" من كلام راوي التفسير، وهو حفيد القمي في الموضع الآتي أو أحمد بن علي القمي ابن المؤلف، أو من أملبي عليه القمي كتابه، ويُقرّب صحته أن القمي قد أضر وسط عمره، ولا بديل له للتاليف إلا التحديث والإملاء.

وقال في الموضع الثالث في حديث طويل يتعلق بسورة الحجر:

"فصل فيما نذكره من الجزء الثالث من تفسير علي بن إبراهيم وهو أول المجلد الثاني من الوجهة الثانية من القائمة العاشرة من الكراس الثامن عشر من أصل المجلد، وتقتصر على المراد منه: قوله: (فَاصْدِعْ بِمَا تُؤْمِنْ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّكَ مُسْتَهْزِئٌ)، فإنها نزلت بمكة بعد أن نبئ رسول الله بثلاث سنين"، إلى قوله: "والعرب ونفورهم عنه وحفظ أبي طالب له وحمايته عنه" ^(٤٤).

وهي في التداول بعض التفاوت ^(٤٥)، وذكر العتايقي قسما منها يوافق نقل السيد ^(٤٦).

وقال في الموضع الرابع:

"فصل فيما نذكره من الجزء الرابع من تفسير علي بن إبراهيم، وهو الجزء الثاني من المجلد الثاني، وجميع الكتاب أربعة أجزاء في مجلدين، والذي نقله من الوجهة الثانية من القائمة الثالثة من الكراس السابع والثلاثين من الكتاب بلفظه: "وأما قوله (تَلَكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَّلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْنِينَ)، فإنه حدثني جدي علي بن إبراهيم عن أبيه عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص ابن غياث قال: قال أبو عبد الله: «يا حفص: والله ما أنزلت» إلى قوله: «اتق الله حيث كنت فإنك لا تستوحش»" ^(٤٧).

وهي في لفظ المتداول هكذا:

"وأما قوله: ﴿تَلَكَ الدارُ الْآخِرَةُ نَجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يَرِيدُونَ عَلَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَقْنِينَ﴾ فإنه حدثني أبي عن القاسم بن محمد عن سليمان بن داود المنقري عن حفص بن غياث قال: قال أبو عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يا حفص ما متزلة الدنيا من نفسي إلا بمترلة الميتة إذا اضطررت إليها أكلت منها، يا حفص إن الله تبارك وتعالى علم ما العباد عاملون وإلى ما هم صابرون فعلم عليهم عند أعمالهم السيئة لعلمه السابق فيهم فلا يفرنك حسن الطلب ممن لا يخاف الفوت ثم تلا قوله: ﴿تَلَكَ الدارُ الْآخِرَةُ﴾... الآية إلى قناع الخبر.

وهذا من الموضع المشكلة؛ فإن يبرز احتمال تعدد وتفاوت نسخ التفسير المقول بحسب رواة التفسير نفسه، فنسخة السيد برواية حميد القمي، لكن لعلمنا بأن التفسير المتداول ما هو إلا مختصر لأصل تفسير القمي، يسقط هذا الاحتمال بالعلم بالتصريف في كثير من مواضعه حتى أسانيده، كما أنك ترى أن في المداول لو كان منقولاً بلفظه - اختصاراً في الاكتفاء بصدر الآية، والمقال في كتاب ابن طاووس عن التفسير الرواية بلفظها و بتمام الآية، وأن الأمر يحتمل تعدد النسخ ذهب البعض لكون التفسير في نسختين مبسوطة و مختصرة، وسماهما بالتفسير الكبير والصغير ونسبهما لعلي بن إبراهيم نفسه^(٤٨).

وأما بشأن حفيده: فإننا نجد الشيخ الصدوق روى مكثراً عن أحمد بن علي بن إبراهيم القمي^(٤٩) وهو شيخه، ترجم عليه وترضى، منها ما رواه في معاني الأخبار قال: "حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّا هَدَيْنَا الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ قال: «هو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ ومعرفته، والدليل على أنه أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنَّهُ فِي أَمِّ الْكِتَابِ لَدِينِنَا لَعَلَيْهِ حِكْمَةٌ﴾ وهو أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ في أَمِّ الْكِتَابِ

في قوله ﷺ: «اهدنا الصراط المستقيم»^(٥٠). وهي عين سند ورواية التفسير المتداول^(٥١).

ولذا فاحتمال الخطأ في قوله: "حدثني جدي" وارد، لاستبعاد رواية غير محمد عن أبيه مع عدم وجودان رواية لحفيد علي بن إبراهيم.

وقال في التوحيد: "حدثنا أحمد بن علي بن إبراهيم بن هاشم رض، عن أبيه، عن محمد بن عيسى، عن يونس بن عبد الرحمن، عن ابن بكر، عن حمزة بن محمد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سأله عن قول الله عز وجل: «وهدينا نجدين» قال: نجد الخير والشر"^(٥٢).

وفي المتداول: "وقال علي بن إبراهيم في قوله «وهدينا نجدين» قال: بينما له طريق الخير والشر"^(٥٣).

[ما علم كونه من التفسير وليس في المتداول]

منها ما ذكرنا عن الشيخ في التهذيب، ويأتيك أمثلتها عند استعراض مختصر ابن العتايقي، وما في كتاب تأويل الآيات الآتي، وتفصيل الكلام في التحقيق المبسوط.

فتبيّن أن نسخ المتقدمين -في القرن الثامن وما قبلها- كانت مختلفة عما في أيدينا، متفاوتة في النقل، فيها من الزيادات والامتيازات على التفسير المتداول الكثير.

ولم نقف حتى هذه اللحظة عن نقل عن تفسير القرآن لعلي بن إبراهيم القمي شيئاً يخالف ما في التفسير المتداول إلا من الذين عاشوا قبل هذه الفترة - الفاصلة بابن العتايقي ومحترمه وهو القرن الثامن وما قبله - وأثنائه، وعدا من سند ذكرهم قريباً.

[نسخ أعلام ما بعد القرن الثامن - بعد ابن العتايقي - من التفسير]

اتحدت نسخ علمائنا في هذا القرن وما بعده كالسيد هاشم التوبلاي^(٥٤) والشيخ الحر والمجلسى، مع هذه النسخة المتداولة اليوم، وإن كان ثمة فرق بينها فهو من اختلاف النسخ وما لا يؤثر في المعنى الكلى للوحدة.

وتفردت نسختان بنقل ما خالف التفسير المتداول:

أقدمهما نسخة الشيخ الحسن بن سليمان الحلبي^(٥٥) من تلامذة الشهيد الأول المتوفى أوائل القرن التاسع، فإنه نقل في موضعين من كتابه ما زاده على بصائر درجات سعد بن عبد الله من نسخة التفسير الواصلة له عن شيخه الشهيد الأول قدس الله سره، وكانت لديه، وما نقله في الموضع الأول عبارة توافق بالنص ما لدينا من التفسير المتداول، قال عليه السلام في المختصر نقاً عن التفسير: "قال علي بن إبراهيم: وحدثني أبي، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر قال: ذكر عند أبي جعفر صلوات الله عليه جابر، فقال: «رحم الله جابرا، لقد بلغ من علمه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاده، يعني الرجعة». ومثله كثير ذكره في موضعه"^(٥٦)، وهي نص عبارة مقدمة المتداول، وهذا ما يقوى كون المقدمة أو بعضها للقمي نفسه، لكنه لا ينفي وقوع الاختصار فيها.

والذى يدل عليه ما نقله بتفاوت كثير مع نسختنا المتداولة اليوم من حديثين آخر الكتاب، نقلهما من نسخته عن التفسير، ما قال عليه السلام: "من تفسير القرآن العزيز تأليف علي بن إبراهيم بن هاشم: وأما قوله وإذ أخذ ربكم من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم قالوا بل، فإنه قال الصادق عليه السلام: «إن الله تعالى أخذ الميثاق على الناس لله بالربوبية ولرسوله عليه السلام بالنبوة ولأمير المؤمنين والأئمة عليهم السلام بالإمامية، ثم قال: ألسنت بربكم ومحمد نبيكم وعلى إمامكم والأئمة الهادون أوليائكم، فقالوا: بل منهم إقرار بالسان ومنهم تصديق بالقلب،

فقال الله ﷺ لهم ﴿إِن تقولوا يَوْمُ الْقِيَامَةِ إِنَا كَنَا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾، فأصابهم في الذر من الحسد ما أصابهم في الدنيا ومن لم يصدق في الدنيا بالله وبرسوله وبالآئمة في قلبه وإنما أقر بمسانده أنه لن " فإنه قال الصادق عليه السلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ » إلى آخر الحديث^(٥٧)، وهي متفاوتة جداً مع المتداول^(٥٨)، وردت في الأخير مختصرة ومزيد فيها، وموافقة لما في مختصر ابن العتايقي^(٥٩) مع اختصار وعد به في مقدمة كتابه، وسنلحق صورة من هذا الموضع عند التكلم حول مختصره.

والنسخة الثانية: نسخة فريدة كانت للسيد شرف الدين الحسيني المتوفى سنة ٩٦٥هـ صاحب تأویل الآیات قد تفردت بنقل عدد كبير من أخبار تفسير علي بن إبراهيم القمي، منها ما يتفق مع المداول، ومنها ما يتفاوت بالزيادة والنقيصة، ومنها ما ليس في المداول أصلاً.

ومثال الأخير مما ليس في المداول ورواه السيد الحسيني عن التفسير قوله في تأویل الآیات:

”تأویله، ما ذكره علي بن إبراهيم في تفسيره قال ﷺ قوله تعالى: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْذَّلَّةَ أَيْنَ مَا ثَقَفُوا﴾: إنها نزلت في الذين غصبوا حقوق آل محمد عليهما السلام^(٦٠)، وهو الموفق لما في مختصر ابن العتايقي^(٦١) الآتي.

وليس في المداول إلا قوله:

”وقوله: ﴿ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الْذَّلَّةَ أَيْنَمَا ثَقَفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبِأَوَا بِفَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ يعني بعهد من الله وعقد من رسول الله^(٦٢).

بل إن السيد^{عليه السلام} قد روی في كتابه ما ليس في أي نسخة من المداول وما لم يذكره حتى العتايقي في مختصره، قال^{عليه السلام}:

”قوله تعالى: ﴿وَأَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِبِي مَا يَتَّبِعُونَ﴾ تأویله: ما ذكره علي بن إبراهيم^{عليه السلام} في عن سبيله ذلكم وصكم به لعلكم تتقوون[﴾]

تفسيره قال: حدثني أبي عن النضر بن سويد، عن يحيى الحلبـي، عن أبي بصير، عن أبي جعفر علـيهما السلام في قوله [وَإِنْ هَذَا صِراطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ] قال: طريق الإمامة فاتـبعوه، [وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ] أي طرقاً غيرها، [ذَلِكُمْ وَصَاحِبُكُمْ بِهِ لَعْكُمْ تَقْوَنُ] ^(٦٣)، وهذا يدل على أن كتاب التفسير لعلي بن ابراهيم كان بحوزته ^{عليه السلام}.

وقد وقفنا كذلك على ما في نسخة الشيخ سليمان المـاحوزـي (اعـطـر الله مرقدـه) يـحـكيـهاـ الشـيخـ عـلـيـ فيـ أـنـوارـ الـبـدـرـينـ ^(٦٤) وكذلكـ الحـدـثـ الـنـورـيـ فيـ خـاتـمـةـ مـسـتـدـرـكـهـ،ـ وـفـيـهـ نـقـلـ لـمـاـ فيـ تـفـسـيرـ الـقـمـيـ لـأـثـرـ لـهـ الـيـوـمـ فيـ الـمـتـدـاـولـ،ـ قـالـ الـحـدـثـ الـنـورـيـ ^{عليه السلام} عند تـرـجـمـةـ الشـيخـ مـيـشـ قدـسـ اللهـ سـرهـ:

"قد أفرد في شرح حاله بالتأليف المحقق الـبـهـارـيـ الشـيخـ سـليمـانـ وـسـمـاهـ السـلاـفـةـ الـبـهـيـةـ..ـ وـمـنـ غـرـيبـ ماـ اـتـقـقـ مـنـ الـنـامـاتـ فـيـ ذـلـكـ أـنـ بـعـضـ الـمـؤـمـنـينـ مـنـ أـهـلـ الـمـاـحـوـزـ مـمـنـ لـاـ سـوـادـ لـهـ،ـ وـهـوـ مـتـمـسـكـ بـظـاهـرـ الـخـبـرـ،ـ رـأـيـ فـيـ الـنـامـ أـنـ الشـيـخـ كـمـالـ الـدـيـنـ مـضـطـبـعـ فـوـقـ سـاجـةـ قـبـرـهـ الـذـيـ فـيـ هـلـتـاـ،ـ مـسـجـىـ بـثـوبـ،ـ وـقـدـ كـشـفـ الـثـوـبـ عـنـ وـجـهـهـ قـالـ فـشـكـوـتـ إـلـيـهـ مـاـ نـلـقـىـ مـنـ الـأـعـرـابـ،ـ فـأـجـابـنـ بـقـوـلـهـ تـعـالـىـ:ـ [وـسـيـعـلـمـ الـذـينـ ظـلـمـوـاـ أـيـ مـنـقـلـبـ يـنـقـلـبـونـ]ـ ثـمـ سـأـلـتـهـ عـنـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ:ـ [إـنـ طـلـقـوـاـ إـلـىـ مـاـ كـنـتـ بـهـ تـكـذـبـوـنـ،ـ إـنـ طـلـقـوـاـ إـلـىـ ظـلـ ذـيـ ثـلـاثـ شـعـبـ]ـ الـآـيـةـ،ـ فـقـالـ:ـ إـنـ النـوـاصـبـ وـمـنـ يـشـاكـلـهـمـ فـيـ عـقـائـدـهـمـ الـفـاسـدـةـ يـنـطـلـقـوـنـ إـلـىـ الرـسـوـلـ عـلـيـهـ السـلـامـ وـقـدـ كـظـمـهـمـ الـعـطـشـ وـالـعـرـ،ـ فـيـطـلـبـوـنـ مـنـهـ السـقـيـاـ وـالـاسـتـظـالـاـلـ،ـ فـيـقـولـ لـهـمـ:ـ اـنـطـلـقـوـاـ إـلـىـ مـاـ كـنـتـ بـهـ تـكـذـبـوـنــ يـعـنـيـ عـلـيـهـ السـلـامــ فـيـنـطـلـقـوـنـ إـلـىـ عـلـيـهـ السـلـامــ فـيـقـولـ لـهـمـ:ـ اـنـطـلـقـوـاـ إـلـىـ ظـلـ ذـيـ ثـلـاثـ شـعـبـ،ـ يـعـنـيـ بـهـ الـثـلـاثـةـ الـمـتـاـصـصـةـ خـذـلـهـمـ اللـهـ،ـ وـكـانـ ذـلـكـ فـيـ سـنـةـ ١١٠٢ـ،ـ ثـمـ إـنـ الرـجـلـ سـأـلـنـيـ عـنـ هـذـهـ الـآـيـةـ،ـ وـلـمـ يـكـنـ يـحـضـرـنـيـ مـاـ وـرـدـ مـنـ أـهـلـ الـبـيـتـ عـلـيـهـ السـلـامــ فـيـهـاـ،ـ فـأـخـبـرـتـهـ بـتـفـاسـيرـ،ـ فـقـالـ:ـ أـلـهـاـ تـفـسـيرـ غـيـرـ هـذـاـ؟ـ فـفـتـشـنـاـ تـفـسـيرـ الشـيـخـ الـثـقـةـ الـجـلـيلـ أـبـيـ الـحـسـنـ عـلـيـ بـنـ إـبـراـهـيمـ بـنـ

هاشم، فوُجِدَت التفسير الذي حكاه عن منامه مرويا فيه عنهم عليهم السلام، وهو من أغرب المنامات^(٦٥).

ولما كان المحدث النوري يعتقد أن التفسير المتداول هو نفس تفسير القمي بلا تغيير قال: ”قلت: الظاهر أن قوله: أبي الحسن إلى آخره من سهو قلمه الشريف، إذ ليس في تفسير القمي ما نسبه إليه، ولا نقله أحد عنه، والذي فيه ما رواه في ذلك تفسير الثقة محمد بن العباس بن الماهيار، رواه فيه مسندًا عن الصادق عليه السلام، على ما نقله عنه الشيخ شرف الدين في كتاب تأويل الآيات“.

وأنت عليم بأن الكتاب المتداول للتفسير ما جمع كل أخبار أصل تفسير القمي، وهذا خبر سقط منه ولم يثبته مؤلفه فيه.

[تفسير القمي الكبير والصغرى]

وقد ادعى الميرزا محمد رضا النصيري في كتابه تفسير الأئمة إلى هداية الأئمة - وهو كتاب كبير في مجلدات كثيرة تبلغ الثلاثين - أن للقمي تفسيرين كبير وصغير، وأنه أودع كتابه قام أخبار التفسيرين إضافة لتفاسير آخر، وكتابه هذا لا يزال مخطوطاً، وتوجد بعض أجزائه في خزانة مخطوطات مكتبة السيد المرعشى عليه السلام في قم المقدسة ولم نراجعه بعد^(٦٦)، ووافقه الميرزا النوري في مستدركه^(٦٧)، ونفاه تلميذه الطهراني في ذريعته^(٦٨).

المواهش:

(١) اسقطنا بعض العناوين مراعاة للاختصار، وأثبتناها في التحقيق المطول، منها ما وقفنا عليه في بحث السيد محمد رضا نجل السيد السيستاني حفظهما الله، بعد قام جمع مادة المقال، ووجدناه قد توصل لكثير مما وصلنا إليه، ولم يتعرض لجوانب ذكرناها بالفصل، وسنعرض لكلامه حفظه الله في مطول المقال. راجع مدونة تحقیقات: www.TAHKEKAT.com



- (٢) التفسير المتداول ١: ٤.
- (٣) بحار الأنوار ٩٠: ٩٧-١.
- (٤) المداول ١: ٧.
- (٥) التفسير المتداول ١: ٢٠.
- (٦) ليست في المداول، وهي في مخطوط مجلس الشورى رقم ٣٨٨٠، الآتي بيانه.
- (٧) التفسير المداول ١: ٢١.
- (٨) لا يقال: أن المقصود هو كتاب الله تعالى؛ فإنه لو كان لصدق عليه الانتخاب لا الاختصار، وللو سلم أن المعنى هو اختصار الآي من الكتاب الكريم فإنه مناف للعيان من عدم اختصاره لشيء من الآيات ولا يناسبه التعليل بقوله: (ليستد بها على غيرها).
- (٩) المداول ١: ٢٧.
- (١٠) فهرست النجاشي: ٢٦٠ / ٦٨٠ ر.
- (١١) أنظر الرسالة في البحار ٩٠: ٣، قال السيد المرتضى رحمه الله: (قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني رضي الله عنه في كتابه في تفسير القرآن: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال: حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه، عن إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبو عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول: إن الله تبارك وتعالى...) الحديث.
- (١٢) ويحتمل كونه من مختصرات حفيده الحسين بن علي بن الحسين بن محمد بن يوسف الوزير أبو القاسم المغربي، صاحب التلخيصات المعروفة، ترجم له النجاشي وذكرها، النجاشي: ٦٩ / ١٦٧.
- (١٣) الإخلاف في اسانيد الأخبار، وقيل أن محمد خطأ، إذ لم يعهد لعلي ابن اسمه محمد، لكن النعماني روى أخباراً عمن سماه محمد في غيبته ص ٥٠.
- (١٤) أنظر غيبة النعماني: ٥٠-٥١.
- (١٥) أنظر بحار الأنوار ٨٢: ٥١ / باب التنزيل وكيفية قراءة القرآن.
- (١٦) تفسير القمي ٢: ٥٦.
- (١٧) سورة مریم عليها السلام: ٩٦.
- (١٨) مختصر القمي لابن العتايقي (مخطوط المرعشبي): ١٧٢ س ٩.

- (١٩) تأويل الآيات ١: ٣٠٨ ح / ٣٠٨.
- (٢٠) الذريعة ٤: ٣٠٣ إلى آخر ما ذكره تحت رقم ١٣١٦ وعنوان (تفسير القمي).
- (٢١) من نسخة الشيخ الطهراني الحجرية، وهو في نسخة الجزائري المتداولة ١: ١٠٢، وفي النسخة الأخيرة من منشورات ذوي القربي بتحقيق الأنديشكي: ٦٦.
- (٢٢) المتوفى نحو سنة ٣٢٩ هـ كما قيل.
- (٢٣) الكافي ١: ٣٣١ ح / ٣٣١ ح.
- (٢٤) عمدة الطالب: ٢٢٨-٢٢٩.
- (٢٥) الفهرست: ر ٤٢٦.
- (٢٦) علل الشرائع ١: ٣٠٤ ح / ٣٠٤ ح ١ ب.
- (٢٧) وروى عنه في عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٢٣٢ ح / ٢٣٢ ح ٨.
- (٢٨) رجال الشيخ: ٣٩٢ / ٥٧٨٩.
- (٢٩) قال الشيخ عباس في الكني والألقاب ٣: ٨٤: (لم نقف على تاريخ وفاته، إلا أنه كان حياً في سنة ٣٠٧، لأن الصدوق روى عن حمزة بن محمد بن أحمد العلوى في رجب سنة ٣٣٩ قال: أخبرني علي بن إبراهيم ابن هاشم فيما كتب إلى سنة سبع وثلاثين).
- (٣٠) التهذيب ٤: ٤٩-٥٠، كتاب الزكاة، باب أصناف الزكاة ح ٤.
- (٣١) التفسير المتداول ١: ٢٩٨-٢٩٩.
- (٣٢) ملاد الأخيار في فهم تهذيب الأخبار ٦: ١٣٠-١٣١.
- (٣٣) التوحيد: ٣٨٨.
- (٣٤) مقدمة تفسير القمي ١: ٧.
- (٣٥) تفسير القمي ٢: ٣٧٢.
- (٣٦) البحار ٩٠: ١٧-١٨.
- (٣٧) سعد السعود: ١٠.
- (٣٨) سعد السعود: ٨٧.
- (٣٩) سعد السعود: ٨٣.
- (٤٠) التفسير المتداول: ٥٩.
- (٤١) مختصر تفسير ابن العتايقي (مخطوط المرعشى-نشر الجلاي): ٤٦ (سطر ١٤)-٤٧

- (٤١) سطر ١.
- (٤٢) سعد السعود: ٨٤.
- (٤٣) المتداول ١: ٢٧٧.
- (٤٤) سعد السعود: ٨٦.
- (٤٥) المداول ١: ٣٧٨.
- (٤٦) مختصر ابن العتايقي (المخطوط-المرعشي): ١٥٥.
- (٤٧) سعد السعود: ٨٧-٨٨.
- (٤٨) منهم المحدث النوري في المستدرك ٣: ١٧٠ بـ ١ من أبواب القبلة ح ٤، والميرزا محمد رضا النصيري مؤلف تفسير الأئمة (مخطوط كبير) كما في الذريعة ٢٠: ١٩١ رقم ٢٥٢٣ ولم نراجعه بعد.
- (٤٩) قال عنه في لسان الميزان: (أحمد بن علي بن إبراهيم بن الجليل القمي أبو علي نزيل الري. ذكره ابن بابويه في تاريخ الري، وقال: سمع أباه وسعد بن عبد الله وعبد الله بن جعفر الحميري، وأحمد بن إدريس وغيرهم. وكان من شيوخ الشيعة، روى عنه أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه وغيره)،
- (٥٠) معاني الأخبار: ٣٣ / ح ٣.
- (٥١) التفسير المتداول، أول سورة الفاتحة، ح ٥.
- (٥٢) التوحيد: ٤١١ / ح ٥.
- (٥٣) المداول ٢: ٤٢٢ من سورة البلد.
- (٥٤) نقل السيد في مدينة المعاجز ٣: ٤٤٥ / ح ١٦٠ وكذا في موضع من البرهان ٣: ٥٢٨ عن علي بن إبراهيم ما ليس في المداول، وهو من كتاب تأويل الآيات بلا وهم.
- (٥٥) أنظر مختصر بصائر الدرجات: ١٦٥ وما بعدها.
- (٥٦) مختصر بصائر الدرجات: ١٦٧.
- (٥٧) مختصر بصائر الدرجات (ط القدية): ٢٢٧.
- (٥٨) التفسير المداول ١: ٢٤٧.
- (٥٩) مخطوط تفسير ابن العتايقي (نسخة مجلس الشورى): ٤١.
- (٦٠) تأويل الآيات ١: ١٢٢.

(٦١) مختصر تفسير القمي لابن العثايني (مخطوط): ٦٥.

(٦٢) التفسير المتداول ١: ١١٠.

(٦٣) تأويل الآيات ١: ١٦٧.

(٦٤) أنوار البدرين: ٦٤.

(٦٥) خاتمة المستدرك ٢: ٤١١.

(٦٦) انظر فهرست مخطوطات المرعشي ٣ / ر ٨٥٣، ١٢٨٦٧ و ١٢٨٦٧.

(٦٧) المستدرك ٣: ١٧٠.

(٦٨) الذريعة ٢٠: ١٩١ ر ٢٥٢٣.





رجال ابن فضال

علي بن الحسن بن علي بن فضال (كان موجوداً سنة ٢٠٦ هـ ...)

حسين فؤاد المزوق

المقدمة

نبذة تاريخية

البحث عن صفات الراوي بحث قديم وهو بحث متزامن مع وجود الحديث، وأول من تكلم في أحوال الرجال هو القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١). وهناك ما يؤكد ذلك من الحديث الشريف منها ماجاء عن رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ الْكَذَابَةُ فَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مَتَعْمِدًا فَلِيَتَبَوَّأْ مَقْعِدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٢)، ومنها ما عن الحسن بن علي بن يقطين قال:

((قلت لأبي الحسن الرضا عَلَيْهِ الْكَفَافُ: جعلت فداك، إني لا أكاد أصل إليك أسألك عن كل ما أحتاج إليه من معلم ديني، أفيونس بن عبد الرحمن ثقة آخذ عنه ما احتاج إليه من معلم ديني؟ فقال: نعم))^(٣)، وما عن أحمد بن إسحاق عن أبي الحسن عَلَيْهِ الْكَفَافُ: ((قال: سألته وقلت من أعامل وعمن أخذ وقول من أقبل؟ فقال: العمري ثقى بما أدى إليك فعني يؤدي وما قال لك عني فعني يقول فاسمع منه وأطع فإنه الثقة المأمون))^(٤)، وكذلك ما ورد عن أبي محمد عَلَيْهِ الْكَفَافُ: «العمري وابنه ثقان، فما أديا إليك عني فعني يؤديان»^(٥). وغير ذلك من النصوص التي تبين أحوال الرواية، بل كتاب الكشي هو معد لنقل الروايات التي تبين أحوال الرواية سلباً أو إيجاباً، علاوة على أن هناك مصنفات ومدونات دونت في زمان الأئمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تبين أحوال الرواية، ولعل أول ما دون في ذلك هو ما دونه عبيد الله بن أبي رافع كاتب أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ حيث دون أصحاب النبي عَلَيْهِ وَآله وَسَلَامٌ الذين حضروا مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ حروبه، وهذا في منتصف القرن الأول الهجري تقريباً^(٦)، قال الشيخ في الفهرست: "عبيد الله بن أبي رافع عَلَيْهِ الْكَفَافُ كاتب أمير المؤمنين عَلَيْهِ... له كتاب تسمية من شهد مع أمير المؤمنين عَلَيْهِ الْكَفَافُ العمل وصفين والنهروان من الصحابة عَلَيْهِ الْكَفَافُ"^(٧). وتوالت التصانيف الرجالية مختصرةً أو مطولةً إلى حدود الغيبة الكبرى، ومن أهم ما كتب في القرن الثالث رجال الكتاني (ت ٢١٩ هـ)، وكتاب الحسن بن محبوب (ت ٢٢٤ هـ) واسميه معرفة رواة الأخبار ورجال الحسن بن فضال (ت ٢٢٤ هـ)، وابنه علي بن الحسن بن فضال (م ٢٠٦ هـ)، ورجال البرقي (ت ٢٨٠ هـ) وغيرها مما دون في كتب الفهارس^(٨)، وأما ما وصلنا من هذه الكتب فقد تجسد في ما صنف في القرن الرابع والخامس من كتاب الشيخ التجاشي (ت ٢٥٠ هـ) وكتب الشيخ الطوسي (ت ٢٦٠ هـ) فغدت موضع الاعتماد في هذا العلم إلى عصرنا الراهن.



وعليه نستفيد أن ولادة علم أسماء الرواة وأحوالهم متزامنة مع ولادة الحديث ومن هنا يتبين ضعف كلام السيوطي في كتابه الأوائل حيث ادعى أن أول من أَلَّفَ في علم الرجال هو شعبة بن الحجاج من أئمة أهل السنة (ت ١٦٠ هـ)، أو دعوى ابن زهرة في كتابه الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث ادعى أن أول كاتب في الرجال من الإمامية هو الشيخ الطوسي^(٩).

وعبارة الشيخ النجاشي في مقدمة كتابه تدحض هذه الدعوى حيث قال: "لأصحابنا عليهم السلام في بعض هذا الفن كتاباً"^(١٠).

وعبارة الشيخ الطوسي: "إنا وجدنا الطائفة ميزت الرجال الناقلة لهذه الأخبار ووثقت الثقات منهم، وضعفت الضعفاء"^(١١). تؤكد أن البحث في أسماء الرواة كانت سيرة عملية للطائفة، فهذا الأمر ليس في زمن الطوسي رحمه الله، بل سابق عليه، بل إن نسبته إلى الطائفة دال على شيوع الأمر وكونه سيرة عملية قبل زمن الشيخ الطوسي.

الحاجة لمعرفة حال الراوي

نظرًا إلى أن الأحاديث الشريفة من أهم مصادر التشريع، بل إن الأحاديث والروايات هي الباب الواسع لإثبات الأحكام الشرعية تظهر أهمية علم الرجال حيث أنها نعلم أن فيها الموضوع وفيها المكذوب وفيها المدلس؛ فلا بد من وضع ضابطة للأخذ بها، وهذه الضابطة قد تكفل في تحديدها علم الأصول حيث تقرر أن المناط في حجية خبر الواحد الوثيقة أو الوثوق بشرط عدم الظن النوعي على خلافه أو لا بشرط، ولا شبهة أن الوثاقة محققة للوثوق المذكور، فنحتاج لتمييز أحوال الرواية من جهة الوثاقة وعدتها لتكون صغرى لكبرى حجية خبر الثقة، وبالتالي يمكن المكلف من الاستناد إليها في مقام العمل.

قال السيد الخوئي رض: "علم الرجال من أهم ما يتوقف عليه رحى الاستباط

والاجتهد^(١٢)، وقال العلامة الشيخ آغا بزرگ الطهراني رحمه الله: "لا يصير الفقيه فقيهاً ما لم يكن رجالياً، فإن إحدى مقدمات الاجتهد معرفة رجال الحديث وسنته"^(١٣).

وظاهرة الكذب والوضع من الحوادث التي حدثت مبكراً حتى أن رسول الله صلوات الله عليه وآله وسلامه قال: "أيها الناس، قد كثرت علي الكذابة"^(١٤)، بل إن هذه الظاهرة سنة لم يشذ عنها نبي ولا صاحب دعوى وذلك لعدة عوامل ذكرت في مظانها^(١٥)، وامتدت هذه الظاهرة في زمن المعصومين عليهم السلام، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا أهل بيت صادقون لا نخلو من كذاب يكذب علينا، فيسقط صدقنا بكذبه علينا عند الناس»^(١٦)، وجاء عنه عليه السلام: «إن المغيرة بن سعيد رض دس في كتب أصحاب أبي أحداديث لم يحدث بها أبي»^(١٧)، فيكتفي مندوحة في البحث حول أحوال الرواية تمييز الوضاعين والكذابين لتنقية الحديث والتراجم الإسلامي من المكذوبات والإسرائييليات ومعرفة السليم من السقيم.

توثيقات بن فضال

وقد ذكر في محله عدة طرق لاكتشاف حال الرواية^(١٨) والذي يهمّنا في المقام أوسع الطرق وهو تنصيص أحد المتقدمين الثقات على الوثاقة كالبرقي، والكشي، والنجاشي، والطوسى -رحمهم الله جميعاً- وإنما يعتمد قولهم من جهة الشهادة وحجية خبر الثقة في الموضوعات.

ومن جملة المتقدمين الذين كان لهم كتب ومصنفات في علم الرجال بل إن المشايخ اعتمدوا على قوله في الجرح والتعديل هو علي بن الحسن بن فضال، إلا أن كتابه لم يصل إلينا، ولكن كثر نقل الكشي عن العياشي عنه في أحوال الرواية علاوةً على نقل الشيخ الطوسى والشيخ النجاشي وابن الغضائري وابن عقدة لتوثيقاته وتضعيفاته في كتبهم، فلا بد أولاً من معرفة الرجل وحاله، ثم معرفة مدى اعتبار توثيقاته.

ابن فضّال في كتب التراجم والرجال يطلق على أربعة أشخاص، الحسن بن علي بن فضّال وأبنائه أحمد، محمد وعلي، المشهور منهم الحسن وعلي، ونشير باختصار إلى ترجمة كل واحد منهم.

الحسن بن علي بن فضّال (ت ٢٢٤ هـ)

قال الشيخ الطوسي: "الحسن بن علي بن فضّال، كان فطحيًا^(١٩) يقول بإماماة عبد الله بن جعفر ثم رجع إلى إمامية أبي الحسن^{عليه السلام} عند موته، ومات سنة أربع وعشرين ومائتين، هو ابن التيملي بن ربيعة بن بكر مولى تيم الله بن ثعلبة، روى عن الرضا^{عليه السلام}، وكان خصيصاً به، كان جليل القدر، عظيم المترلة زاهداً ورعاً، ثقة في الحديث، وفي روايته...".^(٢٠)

وللحسن بن فضّال كتاب في الرجال كما صرّح بذلك النجاشي^(٢١)، قال الشيخ الطهراني في الذريعة: "أبو محمد الحسن بن علي بن فضّال بن عمرو بن أيمان مولى تيم الله الكوفي الفطحي الراجع إلى الإمامية، المتوفى (٢٢٤) عد النجاشي من كتبه كتاب الرجال، وذكر أسانيده إليه بأربع وسائط. فيظهر أنه كان معروفاً في عصر النجاشي بل موجوداً عند ذلك الكتاب".^(٢٢)

محمد بن الحسن بن علي بن فضّال

قال الكشي في ترجمة عبد الله بن بكير بن أعين: "محمد بن الحسن بن علي بن فضّال، قال محمد بن مسعود: عبد الله بن بكير وجماعة من الفطحيّة هم فقهاء أصحابنا، منهم ابن فضّال -يعني الحسن بن علي-، وعمار السباطي، وعلي بن أسباط، وبنو الحسن بن علي بن فضّال، علي وأخوه".^(٢٣) روى الكشي في ترجمة زراره بن أعين عن محمد بن مسعود، قال: حدثني علي بن الحسن بن علي بن فضّال، قال حدثني أخوای محمد وأحمد ابنا الحسن، عن أبيهما الحسن بن علي بن



فضال... الحديث)^(٤).

وروى في ترجمة ميسرة عبد الله بن عجلان، عن جعفر بن محمد، قال: حدثني علي بن الحسن بن فضال، عن أخيه محمد وأحمد، عن أبيهم... الحديث)^(٥).

قال السيد الحوئي نقلاً: "محمد بن الحسن بن علي بن فضال، وإن لم يصرح بوثاقته، إلا أن عبداً بن مسعود إياه في عدد أجيال الفقهاء، مدح يعتد به وهو لا يقتصر عن التوثيق"^(٦).

أحمد بن الحسن بن علي بن فضال(ت ٢٦٠ هـ)

قال النجاشي: "أحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن فضال بن عمر بن أبيمن، مولى عكرمة بن ربيي الفياض، أبو الحسين، وقيل أبو عبد الله. يقال إنه كان فطحيّاً، وكان ثقة في الحديث. روى عنه أخوه علي بن الحسن، وغيره من الكوفيين"^(٧).

وقال الشيخ: "أحمد بن الحسن بن علي بن محمد بن فضال بن عمر بن أبيمن، مولى عكرمة بن ربيي الفياض. أبو عبد الله، وقيل أبو الحسين، كان فطحيّاً، غير أنه ثقة في الحديث"^(٨).

علي بن الحسن بن علي بن فضال

قال النجاشي: "علي بن الحسن بن علي بن فضال بن عمر بن أبيمن مولى عكرمة بن ربيي الفياض أبو الحسن، كان فقيه أصحابنا بالكوفة، ووجههم، وثقتهم، وعارضهم بالحديث، والسموع قوله فيه. سمع منه شيئاً كثيراً، ولم يعثر له على زلة فيه ولا ما يشينه، وقل ما روى عن ضعيف، وكان فطحيّاً، ولم يرو عن أبيه شيئاً، وقال: كنت أقاومه وسني ثمان عشر سنة بكتبه، ولا أفهم إذ ذاك الروايات ولا أستحل أن أرويها عنه، وروى عن أخيه عن أبيهما..."^(٩).

وقال الشيخ: "علي بن الحسن بن فضال: فطحي المذهب، ثقة، كوفي، كثير العلم، واسع الرواية والأخبار، جيد التصانيف، غير معاند، وكان قريب الأمر إلى أصحابنا الإمامية القائلين بالاثني عشر، وكتبه في الفقه مستوفاة في الأخبار، حسنة، وقيل إنها ثلاثة وثلاثون كتاباً..."^(٣٠).

وقال الكشّي: "سألت أبا النصر محمد بن مسعود عن جميع هؤلاء، قال: أمّا علي بن الحسن بن علي بن فضال، فما رأيت في من لقيت بالعراق وناحية خراسان أفقه ولا أفضل من علي بن الحسن بالكوفة، ولم يكن كتاب عن الأئمة علية السلام من كل صنف إلا وقد كان عنده، وقد كان أحفظ الناس، غير أنه كان فطحيّاً، يقول: بعد الله بن جعفر، ثم بأبي الحسن موسى علية السلام، وكان من الثقات"^(٣١).

كتابه في الجرح والتعديل

لعلي بن الحسن بن فضال كتاب في الرجال كما صرّح به النجاشي وذكر طريقه إليه وكذلك ذكره الطوسي، وطريقهما إليه أحمد بن عبد الواحد (بن عبدون) عن علي بن محمد بن الزبير عن ابن فضال^(٣٢)، والطريق ضعيف بعلي بن محمد بن الزبير ، قال الشيخ الطهراني في الذريعة: "أبو الحسن عي بن أبي محمد الحسن بن علي بن فضال، وهو الثقة الجليل الذي قابل مع والده الأحاديث وله يومئذ ثمانية عشرة سنة ومع ذلك لا يروي عن والده إلا بواسطة لشدة احتياطه في تحمل الحديث. قال السيد المقدس الأعرجي في كتاب العدة: إن المشايخ في الأكثر بل كاد أن يكون الكل يستدون إلى قوله في الجرح والتعديل، وعد النجاشي والشيخ الطوسي من تصانيفه كتاب الرجال"^(٣٣).

ولما كان المدار في حجية قول الرجال هو وثاقته فيقبل قول ابن فضال بلا إشكال ولا يضر كونه فطحيّاً من هذه الناحية، قال السيد الخوئي تبعاً: "لا يعتبر في حجية خبر الثقة العدالة، ولهذا نعتمد على توثيقات أمثال ابن عقدة وابن فضال

وأمثالهما^(٣٤)، لكن الكتاب لم يصل إلينا، إلا أن له توثيقاً وتضعيفات مبسوطة في الكتب.

ولهذا حاولت في هذه الرسالة قدر الإمكان جمع أسماء الرجال المنشرة في الكتب الذين ذكرهم ابن فضال وبين حا لهم، ومحاولة زيادة إضافات وتعليقات على المصطلحات الواردة من حيث دلالتها في بيان حال الراوي، وذكر حال الرجل عند النجاشي والشيخ الطوسي، وغيرها. وأرجو من الأستاذة والأخوة مديي بلاحظاتهم وإضافاتهم.

الهمزة

[١]-أبان بن عثمان الأحمر^(أ)

محمد بن مسعود، قال حدثني علي بن الحسن، قال: كان أبان من أهل البصرة، وكان مولى بجيلا، وكان يسكن الكوفة^(ب)، وكان من الناووسية^(ج).

[رجال الكشي، ترجمة ١٨٠، الحديث ٦٦٠، ص ٢٩٦]

(أ) قال الكشي في تسمية الفقهاء من أصحاب أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ: "أجمعوا المصابة على تصحيح ما يصح من هؤلاء وتصديقهم لما يقولون، وأقرروا لهم بالفقه من دون أولئك الستة الذين عدناهم وسميناهم ستة نفر: جميل ابن دراج، وعبد الله بن مسكان، وعبد الله بن بكير، وحمد بن عثمان، وحمد بن عيسى، وأبان بن عثمان...".^(٣٥)

(ب) صريح العبارة أنه من أهل البصرة إلا أنه يسكن في الكوفة ووافقه ابن داود حيث قال: "أبان بن عثمان الأحمر كوفي المسكن بصرى الأصل"^(٣٦)، وهذا خلاف صريح عبارة النجاشي والشيخ، فقد قال النجاشي: "أبان بن عثمان الأحمر البجلي مولاهم، أصله كوفي كان يسكنها تارة والبصرة تارة..."^(٣٧)، وقال الشيخ: "أبان بن عثمان الأحمر البجلي،



أبو عبد الله مولاهم، أصله كوفي وكان يسكنها تارة والبصرة أخرى...»^(٣٨).

(ج) نسخ رجال الكشي مختلفة ففي بعضها ما مر كما في مجمع الرجال للشيخ عنابة الله القهائلي، وفي بعضها بدل قوله: «كان من الناووسية»، «كان من القادسية»، أو «كان قادسياً»، على ما نقله المحقق الأردبيلي رحمه الله في كتاب الكفالة من مجمع الفائدة^(٣٩)، ومن القريب جداً بل المتعين بالقرائن أن عبارة ابن فضال وكان من القادسية بدل وكان من الناووسية وذلك لوجهين:

الأول: أن الناووسي هو القائل بالإماممة إلى الإمام الصادق عليه السلام، ووقف عليه، واعتقد أنه حي لن يموت حتى يظهر ويظهر أمره وهو القائم المهدي عليه السلام ومن هذا حاله لا يقول بإمامية الكاظم عليه السلام ولا يروي عنه، مع أن الشيخ والنجاشي قد عدّاه من رجال الصادق والكاظم عليهم السلام، وروايته عن الكاظم عليه السلام كثيرة، ولم يفرق أحد بين روايته عنه عليه السلام وروايته عن الصادق عليه السلام.

الثاني: لو كان ناووسياً أي أنه يعتقد أن الأئمة الأطهار عليهم السلام ستة، كيف يمكن أن يروي أن الأئمة إثنا عشر، علي والحسن والحسين والتاسعة من ولده عليهم السلام?^(٤٠).

ويؤيد ذلك أن الأصحاب قد اختلفوا في وطنه الأصلي هل الكوفة أم البصرة، فقال ابن فضال تأكيداً على أنه من الكوفة بأنه كان قادسياً، ومن المعلوم أن القادسية من توابع الكوفة، فكان ابن فضال بقوله كان قادسياً أراد أن ينفي كونه من البصرة.

ومن هذا التقارب بين ناووسي وقدسي والناووسية والقادسية في الكتابة يحصل الاطمئنان بأنه قد حصل خطأ في الكتابة^(٤١). ولذلك قال الشهيد الثاني بأن ناووسيته غير ثابتة^(٤٢).

[٢]- إبراهيم بن عيسى الخازار^(١)

قال محمد بن مسعود عن علي بن الحسن: أبو أيوب كوفي اسمه إبراهيم ابن عيسى، ثقة. [رجال الكشي، ترجمة ١٩١، الحديث ٦٧٩، ص ٣٠٧]

(أ) قال النجاشي: "إبراهيم بن عيسى أبو أيوب الغزار، وقيل: إبراهيم بن عثمان، روى عن أبي عبد الله، وأبي الحسن عليهما السلام". ذكر ذلك أبو العباس^(٤٣) في كتابه، ثقة، كبير المترلة له كتاب نوادر، كثير الرواية عنه^(٤٤).

وقال الشيخ: "إبراهيم بن عثمان، المكنى بأبي أيوب، الغزار الكوفي، ثقة، له أصل"^(٤٥).

وعده المفيد من الفقهاء الأعلام، والرؤساء المأخذون منهم الحلال والحرام، والفتيا والأحكام، الذين لا يطعن عليهم، ولا طريق لذم واحد منهم^(٤٦).

[٣]- إبراهيم بن نعيم أبي الصباح الكناني^(١)

محمد بن مسعود، قال: قال علي بن الحسن: أبو الصباح الكناني ثقة، وكان كوفياً، وإنما سمي الكناني لأن منزله في كنانة، فعرف به، وكان عبدياً. [رجال الكشي، ترجمة ١٧٩، الحديث ٦٥٨، ص ٢٩٦]

(أ) قال النجاشي: "إبراهيم بن نعيم العبدى أبو الصباح الكنانى، نزل فيهم فنسب إليهم، كان أبو عبد الله عليهما السلام يسميه الميزان لثقة ذكره أبو العباس في الرجال"^(٤٧).

وقال الشيخ في ضمن أصحاب الإمام الباقر عليهما السلام: "إبراهيم بن نعيم العبدى الكنانى، قال الصادق عليهما السلام: «أنت ميزان لا عين فيه»، يكنى أبا الصباح، كان يسمى الميزان من ثقته"^(٤٨). وقال ضمن أصحاب الصادق

عليه السلام: "إبراهيم بن نعيم العبدى أبو الصباح الكنانى من عبد القيس، ونسب إلى بني كنانة لأنه نزل فيهم".^(٤٩)

[٤]- أحمد بن عائذ^(أ)

قال محمد بن مسعود: سألت أبا الحسن علي بن الحسن بن فضال عن أحمد بن عائذ كيف هو؟ فقال: صالح^(ب)، وكان يسكن بغداد، وقال أبو الحسن: أنا لم ألقه. [رجال الكشي، ترجمة ١٨٧، الحديث ٦٧١، ص ٣٥٥]

(أ) قال النجاشي: "أحمد بن عائذ بن حبيب الأحمسي البجلي: مولى، ثقة، كان صحب أبا خديجة. سالم بن مكرّم، وأخذ عنه وعرف به، وكان خلالاً (حللاً)".^(٥٠)

(ب) المشهور أن (صالح) من أوصاف المدح الموجب لحسن الرواى ودخول حديثه في الحسان، وهذا ما اختاره الوحيد البهبهاني^(٥١) والشهيد الثاني^(٥٢) وغيرهم^(٥٣)، إلا أن بعض الأعلام يذهب إلى كونه مما يفوق التوثيق^(٥٤)، لأن المستفاد العرفي من لفظي (الصالحين، الصلحاء) هم الأنقياء الورعون كما في قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبُّ هَبْ لِي حُكْمًا وَالْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾.^(٥٥)

[٥]- إسماعيل [بن عبد الرحمن] حقيقة وقيل جفينة

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن علي بن فضال عن إسماعيل حقيقة قال: صالح، وهو قليل الرواية. [رجال الكشي، ترجمة ١٦٨، الحديث ٦٣٧، ص ٢٨٩]

[٦]- إسماعيل بن الفضل الهاشمي^(أ)

حدثني محمد بن مسعود، قال: حدثني علي بن الحسن بن فضال، أن إسماعيل

بن الفضل الهاشمي كان من ولد نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وكان ثقة، وكان من أهل البصرة. [رجال الكشي، ترجمة ٩٣، الحديث ٣٩٣، ص ١٩٠]

(أ) قال الشيخ: "إسماعيل بن الفضل بن يعقوب بن الفضل بن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ثقة من أهل البصرة".^(٥)

[٧] - إسماعيل بن مهران^(٦)

حدثني محمد بن مسعود، قال: سألت علي بن الحسن، عن إسماعيل بن مهران قال: رمي بالغلو^(ب). [رجال الكشي، ترجمة ٣٨٨، الحديث ١١٠٢، ص ٤٨٦]

(أ) قال النجاشي: "إسماعيل بن مهران بن أبي نصر السكوني، واسم أبي نصر زيد، مولى، كوفي، يكنى أبا يعقوب، ثقة، معتمد عليه، روى عن جماعة من أصحابنا عن أبي عبد الله^{عليه السلام}، ذكره أبو عمرو الكشي، في أصحاب الرضا^{عليه السلام}".^(٥٧)

وقال الشيخ: "إسماعيل بن مهران بن محمد بن أبي نصر السكوني، واسم أبي نصر: زيد، مولى، كوفي، يكنى أبا يعقوب، ثقة، معتمد عليه، روى عن جماعة من أصحابنا: عن أبي عبد الله^{عليه السلام} ولقي الرضا^{عليه السلام} وروى عنه".^(٥٨)

(ب) قال محمد بن مسعود تعقيباً على كلام ابن فضال في مسألة رمي إسماعيل بالغلو: "ويكذبون عليه، وكان تقياً، ثقة، خيراً، فاضلاً".

الباء

[٨] - بريد بن معاوية^(٧)

قال النجاشي:رأيت بخط أبي العباس أحمد بن علي بن نوح. أخبرنا أحمد بن



إبراهيم الأنصاري - يعني ابن أبي رافع - قال حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد قال: قال لنا علي بن الحسن بن فضال: مات بريد بن معاوية سنة مائة وخمسين (ب).

[رجال النجاشي، ترجمة ٢٨٧، ص ١١٢]

(أ) قال النجاشي: " يريد بن معاوية أبو القاسم العجلاني، عربي، روى عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام، ومات في حياة أبي عبد الله عليهما السلام، وجه من وجوه أصحابنا، وفقهه أيضاً، له محل عند الأئمة"^{٥٩} وقد تقدم قول الكشي أنه "من اجتمعت العصابة على تصديقهم" ^(٦).

(ب) قال السيد الحوئي ^{تَسْلِيْل}: "قد يقال إن ما ذكره علي بن الحسن بن فضال، من بقاء بريد بن معاوية إلى ما بعد وفاة الصادق عليهما السلام، هو الصحيح، وذلك لرواية ابن أبي عمير وصفوان عنه، وهما لم يدركا زمان الصادق عليهما السلام" ^(٦).

٢٩- بشار بن يسار ^(أ)

أبو عمرو قال حدثني محمد بن مسعود قال سألت علي بن الحسن عن بشار بن يسار الذي يروي عنه أبان بن عثمان، قال: هو خير من أبان وليس به بأس (ب). [رجال الكشي، ترجمة ٢٤٤، الحديث ٧٧٣، ص ٣٤٥]

(أ) قال النجاشي: " بشار بن يسار الضبعي، أخو سعيد، مولىبني ضبعية بن عجل، ثقة، روى هو وأخوه عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهما السلام" ^(٦).

(ب) وقع الاختلاف في دلالة هذا اللفظ على التوثيق، عن الوحديد البهبهاني أن المشهور إفادته المدح ^(٦٣)، وذهب البعض إلى عدم دلالته حتى على المدح. فقد قال الشهيد الثاني "لا يدل على الثقة بل من المشهور أن نفي البأس يوهم البأس" ^(٦٤)، واختار السيد محبي الدين الغريفي كونه مما

[١٠] - بشير

بشير، أبو عبد الصمد بن بشير الكوفي، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام، ذكره علي بن الحسن بن فضال. [رجال الطوسي، ترجمة ١٢٨١، ص ١٢٧]

[١١] - بكر بن حبيب الأحمسي

بكر بن حبيب الأحمسي الكوفي روى عن [أبي جعفر] وعن أبي عبد الله عليهما السلام، كنيته أبو مريم، ذكره علي بن الحسن بن فضال. [رجال الطوسي، ترجمة ١٢٨٨، ص ١٢٧]

الثاء

[١٢] - ثابت بن دينار أبي صفية، عربي أزدي^(أ)

حدثني محمد بن مسعود قال: سألت علي بن الحسن بن فضال عن الحديث الذي روی عن عبد الملك بن أعين وتسمية ابنه الضريس^(ب)، قال: فقال: إنما رواه أبو حمزة^(ج)، وإصبع من عبد الملك^(د) خير من أبي حمزة، وكان أبو حمزة يشرب النبيذ ومتّهم به^(هـ)، إلا أنه قال: ترك قبل موته، وزعم أن أبو حمزة وزرارة ومحمد بن مسلم ماتوا في سنة واحدة بعد أبي عبد الله عليهما السلام بسنة أو ب نحو منه، وكان أبو حمزة كوفياً. [رجال الكشي، ترجمة ٧٨، الحديث ٣٥٣، ص ١٧٦]

(أ) قال النجاشي: " ثابت بن أبي صفية أبو حمزة الشمالي، واسم أبي

صفية: دينار، مولى: كوفي، ثقة".



وقال الشيخ " ثابت بن دينار يكتئي أبو حمزة الثمالي، وكنية دينار أبو صفية. ثقة"^(٦٧)، وقال الصدوق في المشيخة، عند ذكر طريقه إليه: "أبو حمزة ثابت بن دينار الثمالي... وتوفي سنة (١٥٠)، وهو ثقة، عدل، قد لقي أربعة من الأئمة علي بن الحسين، ومحمد بن علي، وجعفر بن محمد، وموسى بن جعفر عليهما السلام"^(٦٨).

(ب) المقصود هو ما رواه الكشي عن حمدویه، قال: حدثني يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمر، عن علي بن عطیة قال: قال أبو عبد الله عليه السلام عبد الملك بن أعين: كيف سميت ابنك ضریساً؟ فقال: كيف سماك أبوك جعفراً؟ قال: إنّ جعفراً نهر في الجنة، وضریس إسم شیطان^(٦٩).

(ج) مع أنّ الذي رواه هو علي بن عطیة وليس أبو حمزة، فالامر يدور بين أنّ روایة علي بن عطیة لم تصل إلى ابن فضال أو أنّ في نسخة الكشي تحریفاً^(٧٠).

(د) هكذا في النسخ الخطية الثلاث، وفي نسخة الكشي بخط المولى عناية الله "إصبع بن عبد الملك"^(٧١)، وهذا ما أدى إلى إفراد ترجمة خاصة في بعض الكتب الرجالية بعنوان (اصبع بن عبد الملك)، وفي نسخة أخرى أصبع من عبد الملك، واختلاف النسخ أدى إلى اعتقاد الأعلام أمثال السيد الخوئي تدليس وقوع التحریف في نسخة (اصبع)، وال الصحيح ما أثبتناه في المتن، والله العالم^(٧٢).

(هـ) علق السيد الخوئي تدليساً على ذلك بقوله: "علي بن الحسن لم يدرك أبا حمزة، ليكون إخباره عن شربه النبيذ إخباراً عن حسّ، بل إنما هو شيء سمعه، ولعله اعتمد في ذلك على إخبار من لا يوثق بخبره، أو أنّ أبا حمزة، كان يشرب النبيذ العلال، فتخيل على بن الحسن أنه النبيذ الحرام. وعلى كل حال لا يسعنا تصديق علي بن الحسن بعد شهادة الصدوق بعدلاته وشهادة النجاشي بأنه كان من خيار أصحابنا المؤيدتين بما روي من أنه

كسلمان، أو كلقطان، في زمانه^(٧٣)، على أن في نقله تهافتًا، إذ أخبر بأنه يشرب النبيذ وعقبه مباشرة بأنه متهم به.

الحاء

[١٣]- الحسن بن سيف التمار

قال العلامة: الحسن بن سيف بن سليمان التمار، قال ابن عقدة، عن علي بن الحسن: إنه ثقة قليل الحديث^(أ) [خلاصة الأقوال، ترجمة ٢٧١، ص ١٠٨]
 (أ) ولا يمكن ثبوت وثاقته بتوثيق علي بن الحسن بن فضال له وذلك لجهالة طريق العلامة إلى ابن عقدة^(٧٤) اللهم إلا أن يكون كتابه مشهوراً.

[١٤]- الحسن بن صدقة المدائني

قال ابن عقدة: أخبرنا علي بن الحسن، قال الحسن بن صدقة المدائني:
 احسبه أزدياً، وأخوه مصدق رويًا عن أبي عبد الله وأبي الحسن عاشير، وكانوا ثقات^(أ). [خلاصة الأقوال، ترجمة ٢٧٣، ص ١٠٩]

(أ) الكلام فيه كالسابق، إلا أنه في بعض نسخ رجال الشيخ في أصحاب الكاظم عاشير: "الحسن بن صدقة ثقة"^(٧٥)، نعم في بعض نسخ رجال الشيخ الحسين بدل الحسن، إلا أن السيد الخوئي تبيّن استظراف الأول فإنه لم يعرف لصدقة ابن يسمى بالحسين، خصوصاً أن ابن داود لم يتعرض للحسين بن صدقة وإنما نقل عن الشيخ: الحسن بن صدقة وأنه ثقة^(٧٦).

[١٥]- الحسن بن عطية^(أ)

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن عن أبي ناب الدغشى، قال: هو

الحسن بن عطية، وعلي بن عطية، ومالك بن عطية إخوة كوفيون، وليسوا بالأحسية، فإن في الحديث مالك الأحسسي، والأحس بطن من بجالة. [رجال الكشي، ترجمة ١٩٦، الحديث ٦٨٤، ص ٣٠٩]

(أ) قال النجاشي: "الحسن بن عطية الحنّاط، كوفي، مولى، ثقة، وأخوه أيضاً محمد وعلي، وكلهم روى عن أبي عبد الله عَلِيُّهُ الْأَعْظَمِ، وهو الحسن بن عطية الدغشى المحارب أبو ناب".^(٧٧)

[٤]-الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني

محمد بن مسعود قال: سألت علي بن الحسن بن فضال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني، فقال كذاب ملعون، رويت عنه أحاديث كثيرة، وكتبت عنه تفسير القرآن كله من أوله إلى آخره، إلا أنني لا أستحل أن أروي عنه حديثاً واحداً. [رجال الكشي، ترجمة ٣٤٧، الحديث ١٠٤٢، ص ٤٥٦]

وقال النجاشي: "الحسن بن علي بن أبي حمزة -واسمها سالم- البطائني قال: أبو عمرو الكشي -فيما أخبرنا به محمد بن محمد، عن جعفر بن محمد، عنه- قال: قال: محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن فضال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني؟ فطعن عليه، وكان أبوه قائد أبي بصير يحيى بن القاسم". [رجال النجاشي، ترجمة ٧٣، الحديث ، ص ٣٦]

وقال ابن الغضائري: "مولى الأنصار، أبو محمد، واقف ابن واقف، ضعيف في نفسه، وأبوه أوثق منه، وقال علي بن الحسن بن فضال: إنني لاستحيي من الله أن أروي عن الحسن بن علي، وحديث الرضا عَلِيُّهُ الْأَعْظَمِ فيه مشهور". [خلاصة الأقوال، ترجمة ١٣٢٠، ص ٣٣٤]

(أ) ستأنى هذه الرواية بعينها متناً وسندًا في ترجمة علي بن أبي حمزة البطائني، إلا أن فيها ابن أبي حمزة بدل الحسن بن علي بن أبي

حمة، واحتمال تعدد الواقعة وكتابة ابن فضال تفسير القرآن من أوله إلى آخره عن علي بن أبي حمزة وابنه الحسن بعيد جدًا، فلا بد من وقوع الاشتباه في ذكر القضية مرتين، والظاهر صحة النقل عن الحسن لا عن أبيه وذلك لعدة قرائن:

١- عدم تصريحه في الرواية التي ستأتي باسم علي بن أبي حمزة وإنما المذكور ابن حمة وهو ينسجم مع الحسن بن علي بن أبي حمزة كما ينسجم مع والده علي، فلعل المراد به الحسن بن علي بن أبي حمزة.

٢- علي بن الحسن بن فضال لم يدرك الإمام الرضا عليه السلام وإنما هو من أصحاب الهدى والعسكري عليه السلام ولم يرو عن أبيه الذي هو من أصحاب الرضا عليه السلام بلا واسطة، معترضاً بأنه كان صغير السن في زمانه، فكيف يمكن أن يكتب التفسير كله ويروي أحاديث كثيرة عن علي بن أبي حمزة البطائني الذي مات في زمان الرضا عليه السلام.

٣- أن النجاشي قد ذكر في رجاله عن الكشي سؤال العياشي عن ابن فضال عن الحسن بن علي بن أبي حمزة دون أبيه.

وما ذكر من لابدية حمل الرواية على علي بن أبي حمزة لأن كتاب التفسير هو لعلي بن أبي حمزة ولم يذكر للحسن كتاب في التفسير، مدفوع بما ذكر وعدم ذكر كتاب في التفسير للحسن لا يدل على عدم وجود كتاب في التفسير له، علاوة على أن كتابة التفسير عن الحسن بن علي لا يستلزم أن يكون له كتاب^(٧٨).

[١٧]- الحسن بن محمد، أبو علي القطان الكوفي.

قال [ابن] عقدة: قال علي بن الحسن: إنه ثقة. [خلاصة الأقوال، ترجمة ٢٧٢،

ص ١٠٩]



[٦] - الحسين بن أبي العلاء

قال محمد بن مسعود عن علي بن الحسن: الحسين بن أبي العلاء الخفاف، وكان أعمور. [رجال الكشي، ترجمة ١٩٠، الحديث ٦٧٨، ص ٣٠٧]

[٧] - الحسين بن أحمد الحلبي

قال علي: ومات الحسين بن أحمد الحلبي وخلف دراهم مائتين، فأوصى لامرأته بشيء من صداقها وغير ذلك، وأوصى بالباقي لأبي الحسن عليه السلام، فدفعها أحمد بن الحسن إلى أيوب بحضرتي، وكتب إليه كتاباً فورد الجواب بقبضها، ودعا للميت. [تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٦٩، الحديث ٧٨٥]

[٨] - الحكم بن عتبة

حكي عن علي بن الحسن بن فضال أنه قال: كان الحكم من فقهاء العامة، وكان أستاذ زرارة وحرمان والطيار قبل أن يروا هذا الأمر، وقيل: إنه كان مرجئاً^(أ). [رجال الكشي، ترجمة ٨٢، الحديث ٣٧٠، ص ١٨٢]

(أ) المرجئة هم المعتقدون بأن مع الإيمان لا تضر المعصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة، سموا بذلك لاعتقادهم بأن الله تعالى أرجأ تعذيبهم أي آخره عنهم^(٧٩).

الخاء

[٩] - خالد بن جرير البجلي

محمد بن مسعود قال سألت علي بن الحسن عن خالد بن جرير الذي يروي عنه الحسن بن محبوب فقال: كان من مجيلة، وكان صالحًا^(أ). [رجال الكشي، ترجمة ١٧٢، الحديث ٦٤٢، ص ٢٩١]

(أ) علق السيد الخوئي على هذه الرواية بأنه لا إشكال في دلالتها

على جلالة الرجل وصحة الاعتماد عليه^(٨٠)، وقد تقدم الخلاف بين العلماء في دلالة (صالح) على الوثاقة في ترجمة أَمْهُدْ بْنُ عَائِدْ.

الزاي

[٢٢] - زيد بن أبي رجاء^(٨١)

قال محمد بن مسعود: سألت ابن فضال عن زيد بن أبي رجاء فقال: ثقة.

[رجال الكشي ، ترجمة ١٧٧ ، الحديث ٦٤٧ ، ص ٢٩٢]

(أ) قال النجاشي: ”قال سعد بن عبد الله الأشعري: ومن أصحاب أبي جعفر^(٨٢)، أبو عبيدة، وهو زيد بن أبي رجاء، كوفي ثقة، صحيح...“^(٨٣).

السين

[٢٣] - سالم بن مكرم أبي خديجة^(٨٤)

محمد بن مسعود، قال: سألت أبي الحسن علي بن الحسن عن اسم أبي خديجة، قال: سالم بن مكرم، فقلت له: ثقة؟، فقال: صالح وكان من أهل الكوفة، وكان جمالاً، وذكر أنه حمل أبي عبد الله عاشير^(٨٥) من مكة إلى المدينة. [رجال الكشي ، ترجمة ١٨١ ، الحديث ٦٦١ ، ص ٢٩٢]

(أ) قال النجاشي: ”سالم بن مكرم بن عبد الله أبو خديجة ويقال أبو سلمة الكناسي، يقال: صاحب الفنم مولىبني أسد الجمال، يقال كنيته كانت أبي خديجة وإن أبي عبد الله عاشير^(٨٦) كانه أبي سلمة، ثقة ثقة...“^(٨٧).

وقال الشيخ: ”سالم بن مكرم: يكنى أبي خديجة، ومكرم يكنى أبي سلمة، ضعيف...“^(٨٨).

وحل السيد الخوئي تباين التعارض بعدم إمكان الأخذ بتضييف الشيخ وذلك لاعتقاد الشيخ بأن سالم بن أبي سلمة متحد مع سالم بن



مكرم وأتى على ذلك بقرائن^(٨٤).

[٢٤]- سلام بن غانم الحنّاط

قال أبو النصر محمد بن مسعود: قال علي بن الحسن: سلام والثني بن الوليد والثني بن عبد السلام كلهم حناطون كوفيون لا يأس بهم^(أ). [رجال الكشي،

ترجمة ١٥٧، الحديث ٦٢٣، ص ٢٨٤]

(أ) تقدم الكلام في دلالة هذه العبارة على التوثيق في ترجمة بشار بن يسار.

[٢٥]- سليمان بن سفيان المسترق

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن علي بن فضال عن أبي داود المسترق قال: اسمه سليمان بن سفيان المسترق، وهو المنشد، وكان ثقة. [رجال الكشي، ترجمة ١٤١، الحديث ٥٧٧، ص ٢٦٧]

الشين

[٢٦]- شعيب بن أعين^(أ)

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن فضال عن شعيب الذي يروي عنه سيف بن عميرة فقال: هو ثقة. [رجال الكشي، ترجمة ١٣٩، الحديث ٥٧٤، ص ٢٦٦]

(أ) قال النجاشي: "شعيب بن أعين العداد، كوفي ثقة..."^(٨٥)، وقال

الشيخ: "شعيب بن أعين العداد، كوفي ثقة..."^(٨٦).

العين

[٢٧]- عبد الرحمن بن أبي عبد الله^(أ)

قال أبو عمرو: سألت محمد بن مسعود عن عبد الرحمن بن أبي عبد الله، فذكر عن علي بن الحسن بن فضال، أنه عبد الرحمن بن ميمون الذي في الحديث، وأبو عبد الله رجل من أهل البصرة اسمه ميمون، وعبد الرحمن هو ختن فضيل بن يسار^(ب). [رجال الكشي، ترجمة ١٣١، الحديث ٥٦٢، ص ٢٦٠]

(أ) قال النجاشي في ترجمة إسماعيل بن همام: "إسماعيل بن همام بن عبد الرحمن بن أبي عبد الله ميمون البصري... ثقة هو وأبوه وجده"^(٨٧).

(ب) ختن الرجل المتزوج بابنته أو بأخته^(٨٨).

[٢٨]- عبد الله بن أبي يغفور^(أ)

محمد بن مسعود قال حدثني علي بن الحسن أن ابن أبي يغفور ثقة، مات في حياة أبي عبد الله عليه السلام سنة الطاعون. [رجال الكشي، ترجمة ١١٦، الحديث ٤٥٣، ص ٢١٢]

(أ) قال النجاشي: "عبد الله بن أبي يغفور العبدى - واسم أبي يغفور واقد وقيل وقدان - يكنى أبا محمد، ثقة ثقة، جليل في أصحابنا، كريم على أبي عبد الله عليه السلام، ومات في أيامه، وكان قارئاً يقرئ في مسجد الكوفة..."^(٨٩).

[٢٩]- عبد النور بن عبد الله

ابن سنان الأستدي الكوفي، دخل البصرة، أنسد عنه، لم يعرفه علي بن الحسن. [رجال الطوسي، ترجمة ٣٣٤٥، الحديث ٢٤٢، ص ٣٣٤٥]

[٣٠]- عجلان أبي صالح

محمد بن مسعود قال: سمعت علي بن الحسن بن علي بن فضال يقول:
عجلان أبو صالح ثقة، قال قال أبو عبد الله عليه السلام: يا عجلان كأني أنظر إليك إلى
جنبي والناس يعرضون عليّ. [رجال الكشي، ترجمة ٢٤٣، الحديث ٧٧٢،
ص ٣٤٥]

[٣١]- علي بن أبي حمزة البطائي (أ)

محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن الحسن، قال: علي بن أبي حمزة كذاب
متهم، قال روى أصحابنا أن الرضا عليه السلام قال بعد موته: أقعد على ابن أبي حمزة في
قبره فسئل عن الأئمة، فأخبر بأسماائهم حتى انتهى إلى فسائل فوقف، فضرب
على رأسه ضربة امتلأ قبره ناراً.

قال ابن مسعود: سمعت علي بن الحسن يقول: ابن أبي حمزة كذاب ملعون،
قد رویت عنه أحاديث كثيرة، وكتبت تفسير القرآن كلها من أوله إلى آخره، إلا
أني لا أستحل أن أروي عنه حديثاً واحداً. (ب) [رجال الكشي، ترجمة ٢٣٥،
الأحاديث ٧٥٥ و ٧٥٦ و ، ص ٢٦٠]

(أ) الكلام في علي بن أبي حمزة طويل الذيل، وصفوة الكلام أنه لا
إشكال في وثاقته قبل وقفه وذلك لتوثيق الشيخ إيه في العدة^(٩٠)، كما لا
إشكال في كذبه بعد وقفه فإنه من أعمدة الوقف، وعليه فتعامل روایاته
المروية عنه قبل وقفه معاملة الصحيح فتكون معتبرة وأما بعد الوقف
فتكون مورداً للاتهام ولا يعتمد على روایاته، وتقيّز الروایات بخلاف
الراوي عنه فإنه بعد وقفه لم ي BRO عنه الإمامية لكونه من الكلاب
المطورة في إشارة إلى أنهم يجانبون عنهم وغيرها من القرآن^(٩١).

(ب) تقدمت الروایة بعينها في ترجمة الحسن بن علي بن أبي حمزة

البطائني، واتضح وقوع الاشتباه والأرجح أن المراد هو الحسن بن علي بن أبي حمزة.

[٣٢]- علي بن حزور الكناسي

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن بن فضال عن علي بن حزور، قال: كان يقول بمحمد بن الحنفية، إلا أنه كان من رواة الناس. [رجال الكشي، ترجمة ١٣٥، الحديث ٥٦٧، ص ٢٦٣]

[٣٣]- علي بن حسان الواسطي وعلي بن حسان الهاشمي

قال محمد بن مسعود سألت علي بن الحسن بن علي بن فضال عن علي بن حسان قال: عن أيهما سألت أما الواسطي فهو ثقة، وأما الذي عندنا –يشير إلى علي بن حسان الهاشمي – يروي عن عميه عبد الرحمن بن كثير، فهو كذاب، وهو واقفي أيضاً، فإنه لم يدرك أبا الحسن موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ. [رجال الكشي، ترجمة ٨٥١، الحديث ٨٥١، ص ٣٧٧]

[٣٤]- علي بن خليل المكفوف

محمد بن مسعود قال: سألت علي بن الحسن عن علي بن خليل، وكان يعرف بأبي الحسن المكفوف، وهو بغدادي، قال: ليس به بأس. [رجال الكشي، ترجمة ١٧٤، الحديث ٦٤٤، ص ٢٩٢]

[٣٥]- علي بن عطية^(١)

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن عن أبي ناب الدغشي، قال: هو الحسن بن عطية، وعلي بن عطية، ومالك بن عطية إخوة كوفيون، وليسوا بالأحسية، فإن في الحديث مالك الأحسسي، والأحس بطن من بجيلة. [رجال الكشي، ترجمة ١٩٦، الحديث ٦٨٤، ص ٣٠٩]



(أ) قال النجاشي في ترجمة الحسن بن عطية الحنّاط: "الحسن بن عطية الحنّاط، كوفي، مولى، ثقة، وأخوه أيضاً محمد، وعلي..."^(٩٢).

١٠- عمرو بن خالد

محمد بن مسعود: ذكر ابن فضال أنه ثقة. [رجال الكشي، ترجمة ١٠١، الحديث ٤١٩، ص ٢٠١]

الفاء

١- الفضيل بن الزبير الرسان وأخويه

قال محمد بن مسعود وسألت: علي بن الحسن عن فضيل الرسان قال هو فضيل بن الزبير، وكانوا ثلاثة إخوة: عبد الله وآخر. [رجال الكشي، ترجمة ١٥٦، الحديث ٦٢١، ص ٢٨٣]

الكاف

١- قعنب بن أعين

قال علي بن الحسن بن فضال: قعنب بن أعين أخو حمran مرجئ. [رجال الكشي، ترجمة ٧١، الحديث ٣١٧، ص ١٦١]

الميم

١- مالك بن عطية^(٩٣)

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن عن أبي ناب الدغشبي، قال: هو الحسن بن عطية، وعلي بن عطية، ومالك بن عطية إخوة كوفيون، وليسوا بالأحمسية، فإن في الحديث مالك الأحمسى، والأحمس بطن من بجيلة. [رجال

الكتبي، ترجمة ١٩٦، الحديث ٦٨٤، ص ٣٠٩]

(أ) قال النجاشي: "مالك بن عطيّة الأحمسي، أبو الحسين البجلي الكوفي، ثقة...".^(٩٣)

[٤٠]- المثنى بن عبد السلام

قال أبو النضر محمد بن مسعود: قال علي بن الحسن: سلام والمثنى بن الوليد والمثنى بن عبد السلام كلهم حناطون كوفيون لا بأس بهم. [رجال الكشي، ترجمة ١٥٧، الحديث ٦٢٣، ص ٢٨٤]

[٤١]- المثنى بن الوليد

قال أبو النضر محمد بن مسعود: قال علي بن الحسن: سلام والمثنى بن الوليد والمثنى بن عبد السلام كلهم حناطون كوفيون لا بأس بهم. [رجال الكشي، ترجمة ١٥٧، الحديث ٦٢٣، ص ٢٨٤]

[٤٢]- محمد بن أبي عمير الأزدي

قال أبو عمر: قال محمد بن مسعود: حدثني علي بن الحسن، قال: ابن أبي عمير أفقه من يونس وأصلح وأفضل. [رجال الكشي، ترجمة ٣٨٩، الحديث ١١٠٣، ص ٤٨٦]

(أ) قال النجاشي: "محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى، أبو أحمد الأزدي... جليل القدر، عظيم المترفة فينا وعند المخالفين...".^(٩٤)

وقال الشيخ: "محمد بن أبي عمير، يكنى أباً أحمد، من موالى الأزد، واسم أبي عمير زياد، وكان من أوثق الناس عند الخاصة وال العامة، وأنسكم نسكاً، وأورعهم وأعبدهم"^(٩٥)، وعده في رجاله من أصحاب الرضا علّي الأرد، ثقة".^(٩٦)

[٤٣]-٥- محمد بن إسماعيل بن بزيع^(أ)

قال [أبو العباس بن سعيد]: سألت عنه علي بن الحسن، فقال: ثقة، ثقة، عين. [رجال النجاشي، ترجمة ٨٩٣، ص ٣٣١]

(أ) قال النجاشي: "محمد بن إسماعيل بن بزيع: أبو جعفر: مولى المنصور أبي جعفر. وولد بزيع بيت، منهم حمزة بن بزيع، كان من صالح هذه الطائفة وتقاتهم، كثير العمل..."^(٩٧).

وقال الشيخ: "محمد بن إسماعيل ابن بزيع، ثقة صحيح، كوفي، مولى المنصور"^(٩٨).

[٤٤]-٦- محمد بن عبد الله بن زرار

قال علي بن الحسن: ومات محمد بن عبد الله بن زرار فأوصى إلى أخي أحمد وخلف دارا وكان أوصى في جميع تركته أن تباع ويحمل ثمنها إلى أبي الحسن عليه السلام، فباعها، فاعتراض فيها ابن أخت له وابن عم له، فأصلحنا أمره بثلاثة دنانير، وكتب إليه أحمد بن الحسن، ودفع الشيء بحضرتي إلى أيوب بن نوح، وأخبره أنه جميع ما خلف، وابن عم له وابن أخته عرض فأصلحنا أمره بثلاثة دنانير، فكتب: قد وصل ذلك وترحم على الميت، وقرأت الجواب. [تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٦٩، الحديث ٧٨٥]

[٤٥]-٧- محمد بن مروان البصري

حكى العياشي عن علي بن الحسن بن فضال، قال: كان محمد بن مروان يسكن البصرة وكان أصله الكوفة، وليس هو الذي روى تفسير الكلبي، ذلك يسمى محمد بن مروان السدي. [رجال الكشي، ترجمة ٥٦، الحديث ٣٨٣]

[١٨٦ ص]

[٤٦]- محمد بن مروان السدي

حکی العیاشی عن علی بن الحسن بن فضال، قال: كان محمد بن مروان يسكن البصرة وكان أصله الكوفة، وليس هو الذي روی تفسیر الكلبی، ذلك يسمی محمد بن مروان السدي. [رجال الكشي، ترجمة ٥٦، الحديث ٣٨٣، ص ١٨٦]

[٤٧]- محمد بن مسلم الطائفي الثقفي^(أ)

حدثنا محمد بن مسعود قال سمعت أبا الحسن علي بن الحسن بن علي بن فضال، يقول: كان محمد بن مسلم الثقفي كوفياً وكان أعور طحانأً. [رجال الكشي، ترجمة ٦٥، الحديث ٢٧٢، ص ١٤٥]

(أ) قال النجاشي: "محمد بن مسلم بن رياح، أبو جعفر الأوصى الطحان، مولى ثقيف الأعور: وجه أصحابنا بالكوفة، فقيه، ورع، صحب أبا جعفر وأبا عبد الله عليه السلام، وروى عنهم، وكان من أوثق الناس...".^(٩٩)

[٤٨]- مسمع بن مالك كردین أبي سیار

قال محمد بن مسعود: سألت أبا الحسن علي بن الحسن بن فضال عن مسمع كردین أبي سیار، فقال: هو ابن مالك من أهل البصرة وكان ثقة^(أ). [رجال الكشي، ترجمة ١٢٩، الحديث ٥٦٠، ص ٢٥٩]

(أ) هذا هو الموفق لأكثر النسخ، ولكن نسخة العلامة وابن داود خالية عن التوثيق ولذلك لم يذكره، وذهب السيد الخوئي إلى صحة ما في أكثر النسخ^(١٠٠).

[٤٩]- مروک بن عبید

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن عن مروک بن عبید بن سالم ابن

أبي حفصة، فقال: ثقة شيخ صدوق. [رجال الكشي، ترجمة ٣٦٠، الحديث ١٠٦٣، ص ٤٦٥]

[١٢][٥٠] - المنخل بن جميل الكوفي بياع الجوارب^(١)

قال محمد بن مسعود: سألت علي بن الحسن عن المنخل بن جميل، فقال: هو لا شيء، متهم بالغلو. [رجال الكشي، ترجمة ١٩٨، الحديث ٦٨٦، ص ٣٠٩]

(١) قال النجاشي: "منخل بن جميل الأسدى، بياع الجوارب، ضعيف فاسد الرواية...".

[١٣][٥١] - ميسير بن عبد العزيز

قال علي بن الحسن: إن ميسير بن عبد العزيز كان كوفياً وكان ثقة. [خلاصة الأقوال، ترجمة ١١، ص ٢٧٩]

النون

[١][٥٢] - ناجية بن عمارة الصيداوي

حدثني محمد بن مسعود قال: سألت علي بن الحسن بن فضال، عن ناجية قال: هو نجية، وله اسم آخر أيضاً هو ناجية بن أبي عمارة الصيداوي. قال: وأخبرني بعض ولده أن أبي عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ قال: انج نجية، فسمى بهذا الإسم. [رجال الكشي، ترجمة ٩١، الحديث ٣٨٩، ص ١٨٩]

[٢][٥٣] - نشيط بن صالح^(١)

قال الكشي وحدثني محمد بن مسعود قال حدثني علي بن الحسن قال: نشيط قرابة لمروك بن عبيد بن سالم بن أبي حفصة. [رجال الكشي، ترجمة ٢٨٤، الحديث ٨٥٦، ص ٣٧٨]

(أ) قال النجاشي: "نشيط بن صالح بن لفافة: مولى بني عجل، روى عن أبي الحسن موسى^{عليه السلام}، ثقة، له كتاب...".^(١٠٢)

الواو

[٥٤] - وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار

محمد بن مسعود قال: حدثني علي بن الحسن، وسألته عن وهب بن جميع، فقال: ما سمعت فيه إلا خيراً. [رجال الكشي، ترجمة ١٧٣، الحديث ٦٤٣، ص ٢٩١]

الياء

[٥٥] - يحيى بن أبي القاسم^(١)

محمد بن مسعود قال سألت علي بن الحسن بن فضال عن أبي بصير فقال كان اسمه يحيى بن أبي القاسم، فقال: أبو بصير كان يكفي أبو محمد، وكان مولى لبني أسد وكان مكفوفاً، فسألته هل يتهم بالغلو؟ فقال: أما الغلو فلا، لم يتهم، ولكن كان مخلطاً^(٢). [رجال الكشي، ترجمة ٦٦، الحديث ٢٩٦، ص ١٥٤]

(أ) قال النجاشي: "يحيى بن القاسم، أبو بصير الأستدي، وقيل أبو محمد: ثقة، وجيه، روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله^{عليهم السلام}، وقيل: يحيى بن أبي القاسم، واسم أبي القاسم إسحاق، وروى عن أبي الحسن موسى^{عليه السلام}، له كتاب يوم وليلة".^(١٠٣)

وقال الكشي: "اجتمعت المصابة على تصديق هؤلاء الأولين من أصحاب أبي جعفر وأصحاب أبي عبد الله^{عليهم السلام}، وانقادوا لهم بالفقه فقالوا: أفقه الأولين ستة: زرار، ومعرف بن خربوذ، وبريد، وأبي بصير الأستدي، والفضيل بن يسار، ومحمد بن مسلم الطائفي، قالوا: وأفقه الستة زرار. وقال بعضهم مكان أبو بصير الأستدي أبو بصير المرادي، وهو ليث بن

البخاري^(١٠٤). وعلق السيد الخوئي تناول على ذلك بأن ظاهر هذا الكلام أن المعروف بينهم أن أبي بصير الأستاذ هو من أصحاب الإجماع، وأماماً تبديله بأبي بصير المرادي فهو قول قاله بعضهم^(١٠٥).

(ب) علق السيد الخوئي تناول على ذلك بأن قول ابن فضال إنه كان مخلطاً لا ينافي التوثيق، فإن التخليط معناه أن يروي الرجل ما يعرف وينكر، فعلل بعض رأيات أبي بصير كانت منكرة عند ابن فضال، فقال إنه مخلط^(١٠٦). وكون أحاديث الراوي مما يعرف وينكر لا يضر بقوة السنده حيث أن هذه الأوصاف ترجع إلى الحديث لا السنده^(١٠٧).

من هنا لا بد من التطرق للفظ التخليط الوارد في حق بعض الروايات، فإن التخليط هو كناية عن ضم الجيد الرديء، قال تعالى ﴿خَلَطُوا عَمَّا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾^(١٠٨)، فتارة تقوم قرينة على منشأ التخليط، كما في قول النجاشي في حق محمد بن عبد الله بن محمد: (كان في أول أمره ثبتاً ثم خلط)^(١٠٩)، حيث إن هذا السياق قرينة على أن متعلق الخلط هو الإخبار والتحديث^(١١٠). وكما في قول الشيخ الطوسي في علي بن أحمد الكوفي: (كان إماماً مستقيماً طريقة... ثم خلط وأظهر مذهب المخمسة، وصنف كتاباً في الغلو التخليط)^(١١١). فإن متعلق التخليط هنا هو المذهب والاعتقاد فيجري عليه حكمه، وتارة أخرى لا يعلم منشأ التخليط كما هو الحال في المورد فلا يصلح لمعارضة التوثيق، فلا يعلم أن الاختلاط هل هو راجع إلى الإخبار ونقل الحديث أو غيره، فإنه يحتمل إرادة من لا يبالي عمن يروي وعمن يأخذ الحديث، فيخلط بين القوي والضعف والصحيح والتسقيف، وهذا لا يوجب ضعف حال الراوي والجرح والقدح فيه، كما استظهر ذلك الحق المأكلي وأبو علي الحائر^(١١٢).

[٥٦]- يعقوب بن يزيد الكاتب الأنباري ويعرف بالقمي^(أ)

ابن مسعود، قال: سألت أبا الحسن علي بن الحسن بن فضال: عن يعقوب ابن يزيد، قال: كان كاتباً لأبي دلف القاسم. [رجال الكشي، ترجمة ٤١١، الحديث ١١٣٨، ص ٤٥٠]

(أ) قال النجاشي: "يعقوب بن يزيد بن حمّاد الأنباري السلمي، أبو يوسف، من كتاب المنتصر، روى عن أبي جعفر الثاني ع، وانتقل إلى بغداد وكان ثقة صدوقاً..."^(١١٣).

وقال الشيخ: "يعقوب بن يزيد الكاتب الأنباري، كثير الرواية، ثقة، له كتب..."^(١١٤)، وعده في رجاله تارة من أصحاب الرضا ع قائلاً: "يعقوب بن يزيد الكاتب، هو ويزيد أبوه ثقان"^(١١٥)، وأخرى من أصحاب الهادي ع قائلاً: "يعقوب بن يزيد الكاتب، ثقة"^(١١٦).

[٥٧]- يونس بن يعقوب^(أ)

قال أبو النضر: سمعت علي بن الحسن يقول: مات يونس بن يعقوب بالمدينة فبعث إليه أبو الحسن الرضا ع بمحنوطه وكفنه وجميع ما يحتاج إليه، وأمر مواليه وموالي أبيه وجده أن يحضروا جنازته، وقال لهم، هذا مولى لأبي عبد الله ع، وكان يسكن العراق، وقال لهم: احفروا له في البقيع، فإن قال لكم أهل المدينة إنه عراقي لا ندفنه في البقيع، فقولوا لهم: هذا مولى لأبي عبد الله ع، وكان يسكن العراق، فإن منعتمونا أن ندفنه بالبقيع منعناكم أن تدفعوا مواليكم في البقيع، فدفن في البقيع، ووجه أبو الحسن علي بن موسى ع إلى زميله محمد بن الحباب، وكان رجلاً من أهل الكوفة: صل عليه أنت.

وقال علي بن الحسن: كانت أمه أخت معاوية بن عمّار، وكانت تدخل على أبي عبد الله ع، وامرأته كانت مصرية، وكانت تدخل على أبي عبد الله ع.



[رجال الكشي، ترجمة ٢١٨، الحديث ٧٢١، ص ٣٢٤]

(أ) قال النجاشي: "يونس بن يعقوب بن قيس، أبو علي الجلاب البجلي الدهني... وكان حظياً عندهم موثقاً، وكان قد قال بعد الله ورجع..."^(١١٧)
وقال الشيخ في أصحاب الكاظم ع: "يونس بن يعقوب مولى نهد، له كتاب، ثقة"^(١١٨)، وقال في أصحاب الرضا ع: "يونس بن يعقوب، ثقة، له كتاب، من أصحاب أبي عبد الله ع"^(١١٩).

الكنى

[٥٨]-أبو أيوب الخزار

هو إبراهيم بن عيسى الخزار وقد تقدم.

[٥٩]-أبو الصباح الكناني

هو إبراهيم بن نعيم وقد تقدم.

[٦٠]-أبي بصير الأستدي

هو يحيى بن أبي القاسم المتقدم.

[٦١]-أبي حمزة الشمالي

هو ثابت بن دينار وقد تقدم.

[٦٢]-أبي داود المسترق

هو سليمان بن سفيان المسترق وقد تقدم.

[٦٣]-أبي ناب الدغشى

تقدما في الحسن بن عطية.

[٦٤] - أم خالد

حدثني محمد بن مسعود عن علي بن الحسن قال: يوسف بن عمر هو الذي قتل زيداً، وكان على العراق، وقطع يد أم خالد، وهي امرأة صالحة على التشيع، وكانت مائلة إلى زيد بن علي عليهما السلام. [رجال الكشي، ترجمة ١١٠، الحديث ٤٤٢، ص ٢٠٩]

[٦٥] - بنو ذودان

حدثنا محمد بن مسعود، قال: سألت علي بن الحسن بن فضال عن بني ذودان الذين في الحديث قال: هم قوم من الفرس برازون. [رجال الكشي، ترجمة ٣٢، الحديث ١٥٠، ص ٩١]

(١٢٠) فهرس الثقات والحسان والضعف

الثقات

- ١- إبراهيم بن عيسى الخاز
- ٢- إبراهيم بن نعيم الكناني
- ٣- إسماعيل بن الفضل الهاشمي
- ٤- المحسن بن سيف التمار^(١١)
- ٥- المحسن بن صدقة المدائني*
- ٦- المحسن بن محمد الكوفي*
- ٧- زياد بن أبي رجاء
- ٨- سليمان بن سفيان المسترق
- ٩- شعيب بن أعين
- ١٠- عبد الله بن أبي يعفور



- ١١- عجلان أبي صالح
- ١٢- علي بن حسان الواسطي
- ١٣- عمرو بن خالد
- ١٤- محمد بن إسماعيل بن بزيع
- ١٥- مسمع بن مالك كردين
- ١٦- مروك بن عبيد
- ١٧- ميسير بن عبد العزيز*
- ١٨- مصدق بن صدقة المدائني*

الحسان

- ١- أحمد بن عائذ
- ٢- إسماعيل بن عبد الرحمن حقيبة
- ٣- بشار بن يسار
- ٤- خالد بن جرير البجلي
- ٥- سالم بن مكرم
- ٦- سلام بن غانم الحنّاط
- ٧- علي بن خليل المكفوف
- ٨- المثنى بن عبد السلام
- ٩- المثنى بن الوليد
- ١٠- محمد بن أبي عمر
- ١١- وهب بن جمّع
- ١٢- يونس بن يعقوب

١٣-أم خالد

الضعاف

- ١-إسماعيل بن مهران
- ٢- ثابت بن دينار أبو حمزة الشمالي
- ٣-الحسن بن علي بن أبي حمزة البطائني
- ٤-علي بن أبي حمزة البطائني
- ٥-علي بن حسان الهاشمي
- ٦-المدخل بن جميل الكوفي

المواهش:

- (١) الحجرات: ٦.
- (٢) أصول الكافي ج ١، ص ٦٢.
- (٣) رجال الكشي، ترجمة ٣٠٥، الحديث ٩٣٥، ص ٤٠٩.
- (٤) أصول الكافي، ج ١، ص ٣٣٠.
- (٥) المصدر السابق.
- (٦) ضبط سنة ٤٠ هـ تقريباً، راجع الذريعة ج ١٠ ص ٨٤.
- (٧) الفهرست، ترجمة ٤٦٧، ص ١٧٤.
- (٨) راجع مصفي المقال في مصنفي علم الرجال للعلامة الشيخ آغا بزرگ الطهراني.
- (٩) راجع الأصول الأربع في علم الرجال، للإمام الخامنائي حفظه الله ص ٣.
- (١٠) رجال النجاشي ص ٣.
- (١١) عدة الأصول ج ١ ص ١٤١.
- (١٢) التنقیح في شرح العروة الوثقى ج ١، ص ١٥.
- (١٣) مصفي المقال في مصنفي علم الرجال، ص د.





- (١٤) أصول الكافي ج ١، ص ٦٢.
- (١٥) راجع أصول الحديث للشيخ عبد الهادي الفضلي ص ١٣٢.
- (١٦) رجال الكشي، ترجمة ١٢٦، الحديث ٥٤٩، ص ٢٥٥.
- (١٧) المصدر السابق، ترجمة ٩٨، الحديث ٤٠١، ص ١٩٥.
- (١٨) راجع مقدمة معجم رجال الحديث للسيد الخوئي ص ٣٩.
- (١٩) قال النويختي: ((هذه الفرقة هي القائلة بإماماة عبد الله بن جعفر، وسمّوا الفطحية لأنّ عبد الله كان أفتح الرأس (عربده).. ومات عبد الله ولم يختلف ذكرًا، فرجع عامة الفطحية عن القول بإمامته سوى قليل منهم إلى القول بإماماة موسى بن جعفر...)) فرق الشيعة ص ٨٨.
- (٢٠) الفهرست، ترجمة ١٦٤، ص ٩٨.
- (٢١) رجال النجاشي، ترجمة ٧٢ ص ٣٦.
- (٢٢) الذريعة ج ١٠ ص ٨٩.
- (٢٣) رجال الكشي، ترجمة ١٧٠، الحديث ٦٣٩، ص ٢٩٠.
- (٢٤) المصدر السابق، ترجمة ٦٣، الحديث ٢٠٨، ص ١٢٣.
- (٢٥) رجال الكشي، ترجمة ١١١، الحديث ٤٤٣، ص ٢٠٩.
- (٢٦) معجم رجال الحديث، ترجمة ١٠٥٢١، ج ١٦، ص ٢٤٥.
- (٢٧) رجال النجاشي، ترجمة ١٩٤، ص ٨٠.
- (٢٨) الفهرست، ترجمة ٧٢، ص ٦٧.
- (٢٩) رجال النجاشي، ترجمة ١٧٦، ص ٢٥٧.
- (٣٠) الفهرست، ترجمة ٣٩١، ص ١٥٦.
- (٣١) رجال الكشي، ترجمة ٣٣١، الحديث ١٠١٤، ص ٤٣٩.
- (٣٢) راجع رجال النجاشي ص ٢٥٧ وفهرست الشيخ ص ١٥٧.
- (٣٣) الذريعة ج ١٠ ص ٨٩.
- (٣٤) معجم رجال الحديث، ج ١، ص ٤١.
- (٣٥) رجال الكشي، ترجمة ٢١٣، الحديث ٧٠٥، ص ٣١٦.
- (٣٦) رجال ابن داود ص ٢٢٦.
- (٣٧) رجال النجاشي، ترجمة ٨، ص ١٣.

- (٣٨) الفهرست، ترجمة ٦٢، ص ٥٩.
- (٣٩) مجمع الفائدة والبرهان ج ٩، ص ٣٢٣.
- (٤٠) الكافي ج ١، ص ٥٣٣، الحديث ١٨ في الباب. ولكن قد يتأمل في هذا الوجه باعتبار أن في سند الرواية المعلى بن محمد حيث لم تثبت وثاقته فلعله اختلق السند وأضاف أبا بن عثمان في سند الرواية نعم إلا بناء على القول باعتبار رجال كامل الزيارات فتكون الرواية معتمدة.
- (٤١) راجع تنقح المقال في علم الرجال ج ٣ ص ١٣١. ومعجم رجال الحديث ج ١ ص ١٤٦.
- (٤٢) نفلاً عن تنقح المقال، ج ٣، ص ١٣٨.
- (٤٣) أبو العباس أحمد بن علي بن نوح.
- (٤٤) رجال النجاشي ترجمة رقم (٢٥) ص ٢٠.
- (٤٥) الفهرست ترجمة (١٣) ص ٤١.
- (٤٦) نفلاً عن معجم رجال الحديث ج ١ ص ٢٤٣.
- (٤٧) رجال النجاشي ترجمة رقم (٢٤) ص ١٩.
- (٤٨) رجال الشيخ، ترجمة ١٢٣٠، ص ١٢٤.
- (٤٩) رجال الشيخ، ترجمة ١٧٢٩، ص ١٥٦.
- (٥٠) رجال النجاشي، ترجمة ٣٤٦، ص ٩٨.
- (٥١) فوائد الوحيد، ص ٢٤.
- (٥٢) الرعاية في علم الدرائية، ص ٢٠٨.
- (٥٣) وذهب إلى ذلك من المعاصرين الشيخ مسلم الداوري في كتابه أصول علم الرجال ج ١ ص ٥٥.
- (٥٤) قواعد الحديث ج ٣ ص ٩٧. وذهب إلى أنه من ألفاظ التوثيق أيضاً السيد الداماد.
- (٥٥) الشعراء: ٨٣.
- (٥٦) رجال الطوسي، ترجمة ١٢٤٥، ص ١٢٤.
- (٥٧) رجال النجاشي، ترجمة ٤٩، ص ٢٦.
- (٥٨) الفهرست، ترجمة ٣٢، ص ٤٦.
- (٥٩) رجال النجاشي، ترجمة ٢٨٧، ص ١١٢.
- (٦٠) رجال الكشي، ترجمة ١٠٨، الحديث ٤٣١، ص ٢٠٦.



- (٦١) معجم رجال الحديث ج ٤ ص ١٩٥.
- (٦٢) رجال النجاشي، ترجمة ٢٩٠، ص ١١٣.
- (٦٣) فوائد الوحيد ص ٣١ - ٣٢.
- (٦٤) الرعاية في علم الدرایة ص ٢٠٧.
- (٦٥) قواعد الحديث، ج ٣، ص ١٠٩.
- (٦٦) رجال النجاشي، ترجمة ٢٩٦، ص ١١٥.
- (٦٧) الفهرست، ترجمة ١٣٨، ص ٩٠.
- (٦٨) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٤٤٤.
- (٦٩) رجال الكشي، في ترجمة عبد الملك بن أعين، الحديث [٣٠٢]، ص ١٥٧.
- (٧٠) راجع معجم رجال الحديث ج ٤ ص ١٣٢.
- (٧١) خاتمة مستدرك الوسائل، ج ٤، ص ٤٤٦.
- (٧٢) المصدر السابق ص ١٣١.
- (٧٣) المصدر السابق ص ٢٩٦.
- (٧٤) راجع معجم رجال الحديث، ج ٥، ص ٣٤٨.
- (٧٥) رجال الشيخ، ترجمة (٤٩٨١)، ص ٣٣٥.
- (٧٦) معجم رجال الحديث، ج ٥، ص ٣٥٦.
- (٧٧) رجال النجاشي، ترجمة ٩٣، ص ٤٦.
- (٧٨) راجع معجم رجال الحديث ج ١٢ ص ٢٤٧، وتعليق جواد القبيومي الأصفهاني على الرواية في رجال الكشي ص ٣٣٩.
- (٧٩) توضيح المقال في علم الرجال، الملا علي كني، ص ٢٢٠.
- (٨٠) معجم رجال الحديث، ج ٨، ص ١٨.
- (٨١) رجال النجاشي، ترجمة ٤٤٩، ص ١٧٠.
- (٨٢) رجال النجاشي، ترجمة ٥٠١، ص ١٨٨.
- (٨٣) الفهرست، ترجمة ٣٣٧، ص ١٤١.
- (٨٤) راجع معجم رجال الحديث، ج ٩، ص ٢٨١.
- (٨٥) رجال النجاشي، ترجمة ٥٢١، ص ١٩٥.

- (٨٦) الفهرست، ترجمة ٣٥٣، ص ١٤٥.
- (٨٧) رجال النجاشي، ترجمة ٦٢، ص ٣٠.
- (٨٨) لسان العرب ج ١ ص ١٠٣٣.
- (٨٩) رجال النجاشي، ترجمة ٥٥٦، ص ٢١٣.
- (٩٠) عدة الأصول ج ١ ص ٣٨١.
- (٩١) راجع أصول علم الرجال ج ٢ ص ٣٨٨.
- (٩٢) رجال النجاشي، ترجمة ٩٣، ص ٤٦.
- (٩٣) رجال النجاشي، ترجمة ١١٣٢، ص ٤٢٢.
- (٩٤) رجال النجاشي، ترجمة ٨٨٧، ص ٣٢٦.
- (٩٥) الفهرست، ترجمة ٦١٧، ص ٢١٨.
- (٩٦) رجال الطوسي، ترجمة ٤٦١٣، ص ٣١١.
- (٩٧) رجال النجاشي، ترجمة ٨٩٣، ص ٣٣٠.
- (٩٨) رجال الطوسي، ترجمة ٥٣٩٣، ص ٣٦٤.
- (٩٩) رجال النجاشي، ترجمة ٨٨٢، ص ٣٢٣.
- (١٠٠) راجع معجم رجال الحديث، ج ١٩، ص ١٧٦.
- (١٠١) رجال النجاشي، ترجمة ١١٢٧، ص ٤٢١.
- (١٠٢) رجال النجاشي، ترجمة ١١٥٣، ص ٤٢٩.
- (١٠٣) رجال النجاشي ترجمة ١١٨٧، ص ٤٤١.
- (١٠٤) رجال الكشي، ترجمة ١٠٨، الحديث ٤٣١، ص ٢٠٦.
- (١٠٥) معجم رجال الحديث ج ٢١ ص ٨٢.
- (١٠٦) معجم رجال الحديث ترجمة رقم ١٣٥٩٩ (١٣٥٩٩) ج ٢١ ص ٨٩.
- (١٠٧) مقياس الرواية في كليات علم الرجال ص ٢٣٦.
- (١٠٨) التوبية: ١٠٢.
- (١٠٩) رجال النجاشي، ترجمة ١٠٥٩، ص ٣٩٦.
- (١١٠) قواعد الحديث ج ٣ ص ١٦٥.
- (١١١) الفهرست، ترجمة ٣٨٩، ص ١٥٦.

- (١١٢) راجع مقياس الرواية، ص ٢٣٧.
- (١١٣) رجال النجاشي، ترجمة ١٢١٥، ص ٤٥٠.
- (١١٤) الفهرست، ترجمة ٨٠٧، ص ٢٦٤.
- (١١٥) رجال الطوسي، ترجمة ٥٤٨٨، ص ٣٦٩.
- (١١٦) رجال الطوسي، ترجمة ٥٧٩٧، ص ٣٩٣.
- (١١٧) رجال النجاشي، ترجمة ١٢٠٧، ص ٤٤٦.
- (١١٨) رجال الطوسي، ترجمة ٥١٦٠، ص ٣٤٥.
- (١١٩) رجال الطوسي، ترجمة ٥٤٧٧، ص ٣٦٨.
- (١٢٠) ينبغي الالتفات إلى أن الإدراجه ضمن الثقات أو الحسان أو الضعاف إنما هو على حسب ذكر ابن فضال له حتى وإن ثبت خلافه بالالتفات إلى القرائن الأخرى.
- (١٢١) هذه العلامة إشارة إلى أن التوثيق إنما هو بناءً على نقل العلامة وحيث لم يعلم صحة واتصال طريق العلامة إلى ابن فضال لا يمكن الاعتماد على التوثيق بناء على نقله.



حجية الظواهر عند صاحب الحدائق

سعيد جعفر حماد

الدلالات اللفظية تنقسم من جهة مدلولاتها إلى ثلاثة

أقسام:

الأول: أن يكون مدلول الدلالة اللفظية واضحًا، وبحيث يحصل العلم لدى السامع بأنه هو المراد، ولا يكون لديه احتمال بأن المراد معنى آخر، فهذه الدلالة الصريحة هي المعبّر عنها بالنص في المراد ولا شبهة في أنها حجة بمحض القطع والعلم.

الثاني: أن تكون للدلالة اللفظية أكثر من معنى محتمل

ولا تنصرف عند إطلاقها إلى معنى معين من تلك المعاني، فيكون المدلول بجمل وغير متعين ولا شك في عدم حجية هذه الدلالة سواء كانت المعاني المحتملة

متكافئة على مستوى الاحتمال أو كان بعضها أرجح لا بمستوى تعين المعنى فيه بالانصراف العرفي واللغوي إليه حين إطلاق الدلالة.

الثالث: أن تكون للدلالة اللفظية أكثر من معنى محتمل ويكون أحد المعاني المحتملة هو المتعين من تلك المعاني إلا أن تعينه لا يصل إلى مستوى القطع بل يظلُّ احتمال الخلاف وارداً، وإنما كان منشأ تعينه الانصراف العرفي والاعتبارات العقلائية. فتكون هذه الدلالة ظاهرة في ذلك المعنى^(١).

ولا خلاف في حجية الظهور في الجملة، لأن المفروض كونه معتبراً عند أهل اللسان في حاوراتهم المقصود بها التفهم، ومن المعلوم بديهيَّة أن طريقة حاورات الشارع في تفهيم مقاصده للمخاطبين لم يكن طرِيقاً مخترعاً مغايراً لطريق حاورات أهل اللسان في تفهيم مقاصدهم.

وإنما وقع الخلاف والإشكال في موضعين:
أحدهما: جواز العمل بظواهر الكتاب.

والثاني: أن العمل بالظاهر مطلقاً في حق غير المخاطب بها قام الدليل عليه بالخصوص بحيث لا يحتاج إلى إثبات انسداد باب العلم في الأحكام الشرعية، أم لا^(٢).

ويظهر من صاحب المدائق أنه يوجد اختلاف ثالث وهو أن نفس الظهور بما أنه من أقسام الظن فهو ليس بحججة عند بعض الأخباريين، فلا بد من تحقق العلم والوثوق بضمون النص حتى يكون حجة في استنباط الأحكام الشرعية^(٣).
وقام بعرض بعض النماذج من الأدلة التي استدل بها هؤلاء الأخباريون على دعواهم، وسعى لردتها وبيان عدم دلالتها على ما يدعون.

دليل عدم حجية الظهور

الأول: ما دل على التثليث في الأحكام الشرعية كقولهم عليهما السلام: «حلال بين

وحرام بُّين وشبهات بين ذلك»^(٤).

الثاني: ما دل من الآيات الكريمة على عدم ترتيب الأثر على الظن، كقوله تعالى: «إِنَّ الظَّنَّ لَا يُعْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا»^(٥)، وكذا الآيات الدالة على عدم القول في أحكام الله بغير علم ك قوله تعالى: «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمَعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً»^(٦).

الثالث: ما دل من الروايات على تحريم الإفتاء بغير علم، مثل صحيحة أبي عبيدة عن جعفر عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ قال: «من أفتى الناس بغير علم ولا هدى من الله لعنته ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ولحقه وزر من عمل بفتياه»^(٧)، وكذا مثل صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج، قال: قال لي أبو عبد الله عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمَرْغُوبُ فِيهِ: «إِيَّاكَ وَخَصْلَتِينَ فِيهِمَا هَلْكَ مِنْ هَلْكَ، إِيَّاكَ أَنْ تَفْتَيِ النَّاسَ بِرَأْيِكَ، أَوْ تَدِينَ بِمَا لَا تَعْلَمُ»^(٨)، وكذلك جملة من الأحاديث الأخرى^(٩).

مناقشة صاحب الحدائق

ناقشت عدم الأخذ بالظهور الظني من الكتاب والسنة واثبتت أن الأدلة السابقة لا تدل على المدعى، وي يكن أن نقرب مناقشة صاحب الحدائق بال نحو التالي:
 أما ما دل من الأحاديث على تثليث الأحكام الشرعية فإن المراد من الحال البَيِّن أو الحرام البَيِّن لا يخلو من أحد معنيين:
 الأول: المراد من العلم بالحلية وبالحرمة العلم الأعم من اليقين والظن البالغ درجة الوثوق والاطمئنان.

الثاني: العلم بالحلية وبالحرمة يعني العلم بقيام الحجة والدليل على الحلية وعلى الحرمة، وإن كانت دلالة دليل الحلية ودليل الحرمة لا تصل إلى درجة العلم الوجدني بل يكفي وصولها إلى مرتبة الظن الخاص.
 والمعنى الأصح هو الثاني، فمع العلم بقيام الدليل من الكتاب أو السنة اللذين

جعلهما الشارع مناطاً لأحكامه فالاستناد إليهما في محلية وحرمة استناد إليه على العلم واليقين، فحلال بين من الشارع وحرام بين من الشارع يكون مع العلم بقيام الدليل من الكتاب أو السنة على محلية أو حرمة، وإن كانت دلالة الدليل على محلية أو حرمة بنحو الظن الخاص.

وبذلك يظهر عدم دلالة أحاديث التثليث على عدم حجية الظاهر.

وأما الآيات النافية عن العمل بالظن فإن الظاهر منها جعل الظن مناطاً للعمل وليس الأمر كذلك في العمل بظواهر الكتاب والسنة، وذلك لعلمنا بدلالة الآيات والسنة على الأحكام، فالعمل بالمعنى الظاهر لها إلا ما قامت القرينة على خلافه عمل بأمر الله تعالى، وذلك لأننا مأمورون بالعمل بالكتاب والسنة والأخذ بما فيهما فنأخذ بدلاتها الظنية بالظن الغالب، وقيام الاحتمال الضعيف لا يقدح في ذلك، إذ لا قول إلا وللقائل فيه مجال، ولا دليل إلا وهو قابل للاحتمال، وأما حمل العلم على العلم بالحكم الواقعي على نحو اليقين فهو بعيد غاية البعد، بل متعدد^(١٠).

وأما الأخبار المانعة عن القول بلا علم وعلى عدم العمل بالظن في الأحكام فإن الظاهر منها المنع من القول بلا علم، والعمل بالظن في صورة كون القول والظن مستندًا إلى الأخذ بالرأي والهوى، والقياس والاستحسان ونحو ذلك مما خرج عن دليلي الكتاب والسنة، كما عليه العامة، وتشير إلى ذلك جملة من الأخبار نستعرض بعضًا منها:

١- ما روي عن أمير المؤمنين عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «يا معاشر شيعتنا والمتخلين مودتنا، إياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، تفلت منهم الأحاديث أن يحفظوها، وأعيبتهم السنة أن يعواها -إلى أن قال- فعارضوا الدين بآرائهم فضلوا وأضلوا»^(١١).

فإن الرواية جعلت ما يأخذونه من الرأي في مقابل الأخذ بالأحاديث، وأن

أخذهم بالرأي سبب لعدم أخذهم بالسنن ولضلالهم، فيفهم من فحوى الحديث الأمر بالأخذ بالأحاديث والسنن والنهي عن الأخذ بالرأي. فانسجم الأخذ بالظن مع الأخذ بالرأي.

٢- رواية حبيب عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «ما أخذ أحد أحبابكم إلا منكم، إن الناس سلكوا سبلًا شتى، منهم من أخذ بهواه، ومنهم من أخذ برأيه، وإنكم أخذتم بأمر له أصل»^(١٢).

والأخذ بالأمر الذي له أصل هو الأخذ بآحاديثهم وهو مأمور به، وهو مقابل الأخذ بالرأي والهوى وهو منهي عنه، فالنهي عن العمل بالظن ينسجم مع الرأي والهوى.

٣- روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: «من أخذ دينه من كتاب الله وسنة نبيه صلوات الله عليه وآله زالت الجبال قبل أن يزول، ومن أخذ دينه من أفواه الرجال ردته الرجال»^(١٣).

وما يأخذ من أفواه الرجال الذي يكون مقابل الأخذ بالكتاب والسنن فهو الأخذ بالرأي، ولا يكون الرأي ثابتًا لصاحبها إلا مع تحقق الظن لديه.

٤- رواية الشمالي عن علي بن الحسين عليهما السلام قال: «إن دين الله لا يصاب بالعقل الناقص والآراء الباطلة والمقاييس الفاسدة، ولا يصاب إلا بالتسليم، فمن سلم لنا سلام، ومن اهتدى بنا هدي، ومن دان بالقياس والرأي هلك.. ألم»^(١٤).

٥- رواية يزيد بن عبد الملك، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «تزاوروا فإن في زيارتكم إحياء لقلوبكم وذكرنا لأحاديثنا، وأحاديثنا تعطف بعضكم على بعض، فإن أخذتم بها رشدتم ونجتم، وإن تركتموها ضللتم وهلكتم، فخنعوا بها وأنا بمجاتكم زعيم»^(١٥).

والأخذ بظواهر الأحاديث أخذ بالأحاديث عرفاً.

٦- وما روي في الصحيح عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال ضمن رواية: «إما

هلك من كان قبلكم بالقياس»^(١).

فإن القياس يفيد الظن لكن مع ذلك فهو يوجب الهاك بصورة مطلقة.

٧- في رسالة الإمام الصادق عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى أصحابه التي يرويها الكليني بأسانيد ثلاثة أنه قال: «أيتها العصابة المرحومة المفلحة إن الله أتم لكم ما آتاكم من الخير واعلموا أنه ليس من علم الله ولا من أمره أن يأخذ أحد من خلق الله في دينه بهوى ولا رأي ولا مقاييس قد أنزل الله القرآن وجعل فيه تبيان كل شيء وجعل للقرآن ولتعلم القرآن أهلا لا يسع أهل علم القرآن الذين آتاهم الله علمه أن يأخذوا فيه بهوى ولا رأي ولا مقاييس أغناهم الله عن ذلك بما آتاهم من علمه وخصهم به ووضعه عندهم كرامة من الله أكرمه بها وهم أهل الذكر الذين أمر الله هذه الأمة بسُؤالهم وهم الذين من سألهم - وقد سبق في علم الله أن يصدقهم ويتبع أثرهم - أرشدوه وأعطوه من علم القرآن ما يهتدى به إلى الله ياذنه وإلى جميع سبل الحق وهم الذين لا يرغبون عنهم وعن مسائلهم وعن علمهم الذي أكرمه الله به وجعله عندهم إلا من سبق عليه في علم الله الشقاء في أصل الخلق تحت الأظللة فأولئك الذين يرغبون عن سؤال أهل الذكر والذين آتاهم الله علم القرآن ووضعه عندهم وأمر بسؤالهم وأولئك الذين يأخذون بأهوائهم وآرائهم ومقاييسهم حتى دخلهم الشيطان»^(١٧).

فكل هذه الروايات ترشد إلى أن الظن المنهي عن الأخذ به هو الظن نتيجة للقياس والأهواء وأمثالهما، ولم ترد رواية دالة على النهي عن العمل بالمعانى الظاهر للأحاديث التي ينصرف إليها الذهن، بل الروايات ترشد إلى الأخذ بالأحاديث والأخذ بظواهر الأحاديث أخذ بالأحاديث عرفاً.

رأي الأمين الإسترآبادي

من اختار عدم حجية مطلق الدلالة الظنية من الأخباريين المحدث الأمين الإسترآبادي في كتابه الفوائد المدنية^(١٨)، ونرى هنا صاحب المدائق يفتح نقاشاً



معه ويقف في صف المجتهدین في قبول حجية الظهور مما يدل على أنه غير متغصّب لفئة ولا لمجموعة، وإنما يعمل على وفق ما يقوده الدليل الشرعي بحسب اعتقاده.

وقام الحق البحري بتقصي كلام الإسترآبادي وحيث رأه سقيما بادر للرد عليه^(١٩)، فنستعرض أولاً لزوايا كلام الأمين الإسترآبادي ثم نستعرض نكات رد صاحب المذايق عليه.

عقد الإسترآبادي كلامه في المقام في محورين:

الأول: في إثبات أن الدلالات التي يعتمد عليها في الأحكام الشرعية من الأدلة اللفظية دلالات قطعية.

الثاني: أن الاختلاف الواقع بين علمائنا ليس نتيجة لعدم قطعية دلالات الأحاديث.

المحور الأول: ادعى فيه أن الدلالات التي يعتمد عليها في الأحكام الشرعية من الأدلة اللفظية دلالات قطعية من غير أن يحتاج إلى التمسك بالدلائل الظننية لأنها غير حجة، كما أن أكثر الروايات الواصلة إلينا -على ما يدعى- دلالتها قطعية، ولذا قام بطرح كلام لمستشكل عليه ثم أجاب عليه ضمن الفصل الذي عقده للإجابة على الإشكالات المتوجة على مسلكه، قال في مقام بيان الإشكال وجوابه:

إنه لا مفر للأخباريين عن العمل بالظن المتعلق بنفس أحکامه تعالى أو بنفيها، وذلك لأن الحديث ولو كان صحيحا باصطلاحهم وهو المقطوع بوروده عن أهل الذكر عليهم السلام قد يحتمل التقية، وقد يكون دلالته ظنية، وعلى التقديرين لا يحصل القطع.

وجوابه أن يقال: أكثر أحاديثنا المدونة في كتابنا صارت دلالتها قطعية بعونه

القرائن الحالية أو المقالية وأنواع القرائن كثيرة، من جملتها: أن الحكم في مقام البيان والتفسير لا يتكلم بكلام يريد به خلاف ظاهره، لا سيما من اجتمعت فيه نهاية الحكمة مع العصمة.

ومن جملتها: تعارض الأخبار بعضها بعضاً.

ومن جملتها: خصوصيات أجزاء بعض الأحاديث.

ومن جملتها: قرينة السؤال والجواب، والدلالة التي لم تصر قطعية بمعونة القرآن لا توجب الحكم عندهم وإنما توجب التوقف.

وأما احتمال التقية وغير قادح فيما حققناه لما سبق: من أنه يكفي أحد القطعين^(٢٠)، ومن أن مناط العمل القطع بأن الحكم ورد عنهم عليهما لا الظن بأنه حكم الله في الواقع^(٢١).

فبالقرائن اللغوية أو الحالية المتصلة أو المنفصلة التي من جملتها الأربع التي عددها حاول الإسْتِرَآبَادِي إثبات قطعية دلالات غالب الأحاديث، وأما احتمال صدور الحديث على وجه التقية وإن كان ثابتاً في بعض الموارد غير أنه لا ينافي قطعية الدلالة، إذ أن المناط في إثبات الحكم -عنه- إنما هو قطعية الدلالة التي علم بتصورها من المعصوم عليهما، سواء احتمل صدورها على وجه التقية أم لم يُحتمل ذلك، نعم إذا علم صدورها على وجه التقية فلا يصح الإفتاء على ضوء دلالتها.

مناقشة صاحب الحدائق

يفيد صاحب الحدائق بأن الأحاديث التي وصلت إلينا على الغالب لا تعلو عن مراتب الظهور إلى مرتبة اليقين وذلك لعدة أمور:

الأول: ما أشار إليه بقوله: «أن دلالة الأنفاظ ظنية، وقيام الاحتمالات وشيوخ المجازات، بل غلبتها على الحقائق مما لا ينكره الممارس الحاذق»^(٢٢) أي أن

الدللات اللفظية التي جاءت في الروايات لها وجوه متعددة من المعاني وكل منها محتمل وإن اختلفت نسبت الاحتمال، لتباعدنا عن زمن الخطاب بعقود، وهذا بسبب ضيق المخناق في نفس الدلالات اللفظية، وذلك لما نراه من تعدد استعمالات لفظية محددة لإيصال معاني مختلفة، مضافاً لما فيها من كثرة استعمال المجازات والكتابات، وبعض القرائن الواسطة إلينا لا تتحقق لنا القطع في المعنى المراد غالباً، ولذا مع فرض الفصل الزمني لعقود بين وقوع الدلالات اللفظية وبين الاستفادة منها فإن نفس الدلالات تقتضي أن تكون دلالتها على المعنى دلالة ظنية لا تصل إلى درجة اليقين، وإن تفاوتت درجة الظن بحسب القرائن التي تصل إلينا التي تساعده في تقوية احتمال إرادة معنى معين، وقد تصل إلينا قرائن قوية توجب إيصال إدراك معنى معين إلى مرحلة اليقين، لكنها موارد قليلة جداً بالنسبة إلى بقية الأحكام.

نعم من يكون معاصرًا للأئمة عليهما السلام والذى لم ينفصل زماناً عن إلقاء الأحاديث ويكون هو المخاطب بها عادة ما يكون وافقاً على قرائن للخطاب حالية أو لفظية توجب له اليقين للمعنى المراد منها، ولذا قال صاحب المدائق:

«نعم لا ريب أن الدلالة بالنسبة إلى من خوطب بذلك الأحكام في تلك الأيام كانت قطعية لظهور القرائن الحالية والمقالية لهم، إلا أنها خفيت علينا في هذا الزمان بأمور عديدة أوجبت لنا الإشكال والداء العضال»^(٢٣).

الثاني: في أحاديث الأئمة عليهما السلام خصوصية توجب تعدد الوجوه غير خصوصية ما تقتضيه الدلالات اللفظية مع البعد الزمني، وهي أن الأئمة عليهما قد يجعلون كلامهم ينصرف إلى وجوه متعددة وذلك لحكمة ترجع بالنفع لأتباعهم، ومنها عدم إرادة التصریح بالمراد في كلامهم لما تقتضيه المصلحة من المحافظة على الشيعة إذ كانت ظروف الأئمة عليهما السلام والشيعة ظروف تقىة في كثير من الأحيان،

وقد دلت مجموع من الروايات على أن كلامهم يمكن أن يُحمل على معانٍ كثيرة، منها ما يلي:

١- ما رواه محمد بن الحسن الصفار بسند صحيح عن محمد بن علي الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «أنتم أفقه الناس ما عرفتم معاني كلامنا، إن كلامنا لينصرف على سبعين وجهًا»^(٢٤).

٢- رواية داود بن فرقد، قال: سمعت أبي عبد الله عليه السلام يقول : «أنتم أفقه الناس إذا عرفتم معاني كلامنا، إن الكلمة لتنصرف على وجوه ، فلو شاء إنسان لصرف كلامه كيف شاء ولا يكذب»^(٢٥).

٣- رواية إبراهيم الكرخي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: «حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معارض كلامنا، وإن الكلمة من كلامنا لتنصرف على سبعين وجهًا لنا من جميعها المخرج»^(٢٦).

٤- ما رواه الصفار عن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنا لتكلمن بالكلمة بها سبعون وجهاً لنا من كلها المخرج»^(٢٧).

٥- ما رواه بسند صحيح إلى حمران بن أعين، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إني أتكلّم على سبعين وجهاً لي من كلها المخرج»^(٢٨)، وبنفس الفاظ هذه الرواية يرويها مجموعه من الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام^(٢٩).

٦- وبسند له إلى عبد الأعلى بن أعين قال: «دخلت أنا وعلي بن حنظلة على أبي عبد الله عليه السلام، فسألته علي بن حنظلة عن مسألة، فأجابه فيها، فقال رجل: فإن كان كذا وكذا؟ فأجابه فيها بآخر، قال: وإن كان كذا وكذا؟ فأجابه بوجه آخر، حتى أجابه فيها بأربعة وجوه، فالتفت إلى علي بن حنظلة، قال: يا أبا محمد قد أحكمناه، فسمعه أبو عبد الله، فقال: لا تقل هكذا يا أبا الحسن، فإليك رجل ورع إن من الأشياء أشياء ضيقة وليس تجري إلا على وجه واحد، منها وقت الجمعة، ليس لوقتها إلا واحد حين تزول الشمس، ومن الأشياء أشياء موسعة

تبحري على وجوه كثيرة، وهذا منها، والله إن له عندى سبعين وجهًا»^(٣٠).

٧- وبسند له إلى علي ابن أبي حمزة، قال: «دخلت أنا وأبو بصير على أبي عبد الله عليه السلام، فبينا نحن قعود إذ تكلم أبو عبد الله عليه السلام بحرف، فقلت أنا في نفسي: هذا مما أحمله إلى الشيعة، هذا والله حديث لم أسمع مثله قط. قال: فنظر في وجهي ثم قال: إني لا تكلم بالحرف الواحد لي فيه سبعون وجهاً إن شئت أخذت كذا وان شئت أخذت كذا»^(٣١).

ونرى صاحب المدائق يعلق على الروايتين الأخيرتين ما مفاده: أن ابن أبي حمزة في الرواية الأخيرة أسر في نفسه أنه ينقل ما فهمه من كلام الإمام عَلِيٌّ التَّنْكِيرِ إلى الشيعة، ولكن يلتفت إليه الإمام عَلِيٌّ التَّنْكِيرِ ويقول له أنك «ما عرفت»، وقول علي بن حنظلة في رواية عبد الأعلى: إنه قد أحكم المسألة بسبب ما اعتقده من إدراكه وفهمه لوجوه إجابات الإمام عَلِيٌّ التَّنْكِيرِ وأجابه الإمام بأنه لم يُحْكَم بقوله: «ومن الأشياء أشياء موسعة تجري على وجوه كثيرة، وهذا منها» فما عرفه علي بن حنظلة بعض الوجوه وأن للإمام عَلِيٌّ التَّنْكِيرِ في المورد سبعين وجهاً. كيف يصح ما ذكره الإسْتَرَآبَادِيُّ من أن دلالات غالب الأحاديث على الأحكام دلالات قطعية لمن يقرأها من المحدثين؟^(٣٢)

لكن يحتمل أن كثرة الوجوه المشار إليها في راوية عبد الأعلى إنما أراد بها الإمام عاشور كثرة فروع وشقوق المسألة في ذلك المورد وعليه لا تصلح أن تكون هذه الرواية شاهدًا لما ي يريد صاحب المذاق.

الثالث: من العوامل المساعدة للتوصل للمعنى المراد من الكلام في المحاورات على وجه اليقين هو كون الكلام الدائر فيها على نسق واحد في مستوى التفهيم، وهذا العامل مفقود في كثير من أحاديث الأئمة عليهما السلام، فأحاديثهم وإن امتازت بأنفاس الطاهرين غير أنها في مستوى التفهيم ليست على نسق واحد في كثير

من الموارد، وذلك لما دل من أن الأئمة عليهم السلام يكلمون الناس على قدر عقوتهم، إذ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إنا معاشر الأنبياء نكلم الناس على قدر عقوتهم»^(٣٣).

وأما القرائن التي ذكرها الإسترآبادي فإنها لا توجب القطع في أغلب الأحاديث ولا تخرجها عن دائرة الظهور، وقال صاحب المدائيق في رده: «إن القرائن التي ذكرها لا يكاد يُشم منها رائحة ما ادعاه»^(٣٤) من أن أكثر دلالات أحاديثنا دلالات قطعية.

وأما المحور الثاني لكلام الأمين الإسترآبادي فيصب في إثبات أن منشأ الاختلاف الذي وقع بين علمائنا ابتداء من أصحاب الأئمة عليهم السلام ومروراً بالعلماء المتقدمين والمتاخرين ووصولاً إلى عاصرهم إنما كان لأسباب خارجة عن ما تقتضيه دلالات الأدلة اللغوية، فلا يلزم من ثبوت الاختلاف بين علمائنا كون غالب دلالات الأدلة اللغوية ظنية، إذ أن إدراك تلك الدلالات ليست من أسباب الاختلاف، بل سبب الاختلاف أحد أمرين:

الأول: إن بعض الأحاديث التي وصلت لمن عمل بها إنما وردت من باب التقية ولم يتضح له أنها من باب التقية، بينما وصلت أحاديث أخرى تختلف في مضمونها عنها، فوقع الاختلاف، وهذا الاختلاف الذي وقع بين أصحاب الأئمة عليهم السلام من الرواية، وهم قدماء الأخباريين.

الثاني: العمل على وفق الاستنباطات الظنوية التي لم يدل عليها الكتاب ولا السنة، وعدّد أمثلة من علمائنا المتقدمين والمتاخرين عملوا بذلك -على ما يدعى به-، فوقع الاختلاف بين علمائنا.

قال في بيان القسمين من الاختلاف: الاختلاف في الفتوى قسمان:

أحد هما: أن يكون سببه اختلاف ما بلغهم من الروايات، ومن المعلوم أن هذا النوع من الاختلاف لا يؤدي إلى تناقض، لابتناء أحد القولين على ما ورد من

باب التقية - كما حققه رئيس الطائفة تيسّر - والاختلافات الواقعة بين قدمائنا الأخباريين وأصحاب الأئمة عليهم السلام من هذا القبيل، كما تقدم نقله عن رئيس الطائفة تيسّر.

وثانيهما: أن يكون سببه غير ذلك من الاستنباطات الظنية. ومن المعلوم: أنه لم يرد إذن من الله تعالى في ذلك، بل توالت الأخبار عن الأئمة الأطهار عليهم السلام بأن المفتي المخطئ ضامن ويلحقه وزر من عمل بفتياه وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحُكِمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٣٥).

ومن المعلوم أن كل حكم تحتاج إليه الأمة قد أنزله الله في كتابه لكن لا تبلغه عقول الرجال، وقد بينه النبي صلوات الله عليه وآله وسلامه لأمته وبينه أمير المؤمنين عليه السلام كذلك، ومن المعلوم أنه لا اختلاف فيما أنزل الله تعالى كما مر بياده سابقاً، فكل من اختلف في الفتوى ولم يكن سببه ابتناء أحد قوله على حدث وارد من باب التقية يكون حاكماً بغير ما أنزل الله.

وأقول: يمكن أن يقال: الجماعة التي وقع منهم القسم الثاني من الاختلاف - وهم جماعة قليلة نشّوا في زمن الغيبة الكبرى، أو لهم: الأقدمان ابن الجنيد وابن أبي عقيل فيما أظن، ثم بعدهما نسج على منواهما الشيخ المفید ثم ابن إدريس الحلبي، ثم العلامة الحلبي، ثم من وافقه من المتأخرین - معدوزون من جهة غفلتهم عن أن سلوك طريقة الاستنباطات الظنية منافق لما هو من ضروريات مذهبنا من أنه صلوات الله عليه وآله وسلامه بعدهما جاء في كل واقعة تحتاج إليها الأمة إلى يوم القيمة بحكم وخطاب قطعي وقد أودع كل ما جاء به عند الأئمة عليهم السلام أمر الناس بسؤالهم في كل ما لا يعلمون^(٣٦) والرد إليهم والتمسك بكلامهم عليهم السلام^(٣٧)، وهم عليهم السلام مهدوا أصولاً لرجوع الشيعة إليها، لا سيما في زمن الغيبة الكبرى.

وكلامه هذا يعني بأن الاختلاف بين الأخبارية منحصر في القسم الأول، وإنما

هو نتيجة لاختلاف الروايات لا اختلاف الاستظهارات، وأما الاختلاف بين المجتهدين مضافاً إلى اختلاف الروايات فإنه بسبب اعتمادهم الاستنباطات الظنية التي ليست من الكتاب ولا من السنة وعدم انحصار الأدلة عندهم بالكتاب والسنة، وهذا الكلام منه -على ظاهره- في غاية الغرابة، إذ كيف يخفى على مجتهد أن كثيراً من الاختلاف الواقع بين العلماء سواء كانوا أصوليين أو أخباريين -منشأه الاختلاف في فهم الأحاديث.

مناقشة صاحب الحدائق له

وتدور مناقشة صاحب الحدائق له حول هذا المحور في ثلات جهات:

الجهة الأولى: في المنشأ الغالب للاختلاف بين الأخباريين في بعض الأحكام بطبيعة الحال، فإن صاحب الحدائق ونظراً لتبنته أقوال العلماء المتقدمين والمتاخرين -ويقف على ذلك كل من راجع كتابه الحدائق- يرى أن دعوى انحصار اختلاف الأخباريين بسبب اختلاف الأحاديث وكون اختلاف الاستظهار بينهم ليس منشأ للاختلاف الواقع بينهم دعوى على خلاف الوجdan وكما هي دعوى انحصار منشأ اختلاف المجتهدين بالاستنباطات الظنية الخارجة عن الكتاب والسنة، بل أن غالباً الاختلافات وقعت بسبب اختلاف استظهار المراد من الروايات سواء بين الأخبارية أو بين المجتهدين، قال:

«إن حصر خلاف الأخباريين فيما ذكره أمر يكذبه العيان ودعوى عريقة من البرهان، فإنه لا يخفى على من تتبع كلام الأخباريين من المتقدمين ما وقع لهم من الاختلاف في فهم معانٍ الأخبار، وتعين ما هو المراد منها في ذلك المضمار، وجُلّ الاختلافات الواقعة بين علمائنا الأبرار مجتهدهم وأخباريهم إنما نشأت من اختلاف الأنظار في مبادئ الإدراك لتلك الأحكام، وتغاوت الأفهام المفاضة من الملك العلام، فإن منها كالبرق الخاطف، ومنها كالسكن الواقف، وبينهما مراتب لا يخفى على

الفطن العارف»^(٣٨)

ثم صاحب المدائق قام باستعراض نماذج من الاختلافات الواقعة بين بعض الاخباريين نتيجة لاختلاف استظهار الأحاديث تثبت عدم صحة مدعى الأمين الإسترآبادي^(٣٩)، نوضح أكثرها بالنحو التالي:

الأول: أخبار الثنوية الواردة في الوضوء مثل رواية صفوان عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «الوضوء متى متى»^(٤٠)، ورواية زرارة عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه قال: «الوضوء متى متى، فمن زاد لم يؤجر عليه»^(٤١)، ومرسلة أبي جعفر الأحوص عن أبي عبد الله عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «فرض الله الوضوء واحدة واحدة ووضع رسول الله عَلَيْهِ السَّلَامُ للناس اثنين اثنين»^(٤٢) اختلاف الأصحاب في المراد منها، فحملها ثقة الإسلام الكليني على من لم تقنعه المرة لغسله^(٤٣)، والشيخ الصدوقي حمل بعضها على تجديد الوضوء^(٤٤) وحمل الرواية الأخيرة على الغسلتين وإن رأى أنها تنفيهما^(٤٥)، والشيخ حمل تلك الأخبار على استحباب الثنوية^(٤٦) كما هو المشهور بين الأصحاب، والمحدث الكاشاني حمل أخبار الوحدة على الغسلة، والثانية على الغرفة^(٤٧)، فلو كانت دلالة تلك الأخبار قطعية في المراد لما وقع هذا الاختلاف.

الثاني: مسألة ارث ولد ولد الميت إذا اجتمع مع أبي الميت فذهب الشيخ الصدوقي إلى أن ابن الابن لا يرث مع وجود الآبوبين أو أحدهما، استناداً لما فهمه من صحيحة عبد الرحمن بن الحجاج، وصحيفة سعد بن أبي خلف عن أبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: «بنات الابنة يقعن مقام البنات إذا لم يكن للميت بنات ولا وراث غيرهن، وبنات الابن يقعن مقام الابن إذا لم يكن للميت ولد ولا وارث غيرهن»^(٤٨). وقال الشيخ الصدوقي: «إذا ترك الرجل أبوبين، وابن ابن وابن ابنة، فالمال للأبوبين للأم الثالث، وللأب الثاني، لأن ولد الولد إنما يقومون مقام الولد إذا لم يكن هناك ولد، ولا وارث غيره، والوارث هو الأب والأم»^(٤٩).

بينما فهم الفضل بن شاذان من قوله «ولا وارث غيرهن» عدم وجود الولد الذي تقرب به ولد الولد^(٥٠)، وكذلك فهم ذلك الشيخ الطوسي في التهذيبين وذكر شاهداً على صحة فهمه في رده على الشيخ الصدوقي، قال: «فأما ما ذكره بعض أصحابنا من أن ولد الولد لا يرث مع الأبوين، واحتجاجه في ذلك بخبري سعد بن أبي خلف، وعبد الرحمن بن الحجاج، في قوله: «إن ابن الابن يقوم مقام الابن إذا لم يكن للميت ولد ولا وارث غيره»، قال: ولا وارث غيره إنما هما الوالدان لا غير ففلط، لأن قوله عليه السلام: «ولا وارث غيره» المراد بذلك إذا لم يكن للميت الابن الذي يتقرب ابن الابن به، أو البنت التي تتقرب بنت البنت بها، ولا وارث له غيره من الأولاد للصلب، والذي يكشف عما ذكرناه ما رواه محمد بن الحسن الصفار عن إبراهيم بن هاشم عن صفوان عن خزيمة ابن يقطين عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ابن الابن إذا لم يكن من صلب الرجل أحد قام مقام الابن، قال: وابنة البنت إذا لم يكن من صلب الرجل أحد قامت مقام البنت^(٥١).

الثالث: في مسألة ميراث الزوجة اختلفوا في المراد من صحيحة أبي بصير، قال: «سألت أبا جعفر عليه السلام عن امرأة ماتت وتركت زوجها ولا وارث لها غيره؟ قال: إذا لم يكن غيره فالمال له، والمرأة لها الربع وما بقي فلإمام»^(٥٢).

هل أن المراد ما بقي للإمام عليه السلام حال حضوره أو حتى مع غيبته، فذهب الشيخ الصدوقي إلى أن ذلك حال حضوره خاصة، ولذا عقب على الرواية السابقة بقوله: «هذا في حال ظهور الإمام عليه السلام فأما في حال غيبته فمتى مات الرجل وترك امرأة ولا وارث له غيرها فالمال لها»^(٥٣).

واستشهد على ما ذهب إليه بصحيفة أبان بن عثمان الدالة على أن المال يكون للزوجة^(٥٤)، وذهب الشيخ إلى أن المراد من صحيحة أبي بصير هو أن الزوجة لا يُرد عليها لأنها ليست من قرابة الزوج، وما دل على أن المال لها فلأنها

من أقرباء الزوج^(٥٥).

وذهب الفيض الكاشاني إلى أن المراد من أن «للمرأة الريع وما بقي فللامام» مطلق سواء حضر الإمام أم كان غائباً، فيما إذا لم تكن قريبة للزوج، وما دل على أن المال لها إنما كان بحكم الإمام الحاضر فهو هبة منه إليها^(٥٦).

الرابع: فهم الشيخ الصدوق من روایة علي بن مهزيار عن أبي جعفر الثاني علیه السلام: «لا بأس أن يتكلم الرجل في صلاة الغريضة بكل شيء ينادي به ربه عز وجل»^(٥٧) جواز الدعاء باللغة الفارسية في الصلاة، بينما فهم منها صاحب المدائني وجماعة من الأخبارية ممن عاصرهم، أن المراد من قوله «بكل شيء ينادي به ربه عز وجل» ليس هو صفة اللغة التي يدعوا العبد بها ربه، بل المراد كل الكلمات التي تكون متعلقة بالدعاء لا بأس بذكرها في الصلاة سواء كانت من المطالب الدينية أو الدنيوية ولا تفسد الصلاة بها، كما روی عن الإمام الباقر علیه السلام أنه قال: «ما كلام العبد به ربه في الصلاة فليس بكلام»^(٥٨)، وليس في العموم نظر إلى صفة اللغة، ويفيد ذلك انصراف فعل التكلم في الروايات إلى التكلم باللغة العربية^(٥٩).

الخامس: جاء في عدة روایات منها الصحيحه قوله علیه السلام: «لا رضاع بعد فطام»^(٦٠) فهم الشيخ الكليني والشيخ الصدوق منها: أن المرضع الذي ليس ابن المرضعة إذا شرب لبن المرضعة بعد أن يُفطم، فإن ذلك الرضاع لا يُحرم التناكح، بينما الذي فهمه ابن بكر أن المراد ولد المرضعة إذا أتم له حولين فإن الرضاع لا ينشر الحرمة لمن شرب من لبنه بعد ذلك^(٦١)، وذهب أبو الصلاح وابن زهرة إلى اشتراط كون الابن الراضع والمرتضع من لبنه ينقص سن كل منهما عن الحولين^(٦٢) وعد ابن حمزة من شروط التحرير كون الصبي المرضع دون السنين، وأن تكون المرضعة في مدة السنين من وقت الولادة^(٦٣)، وكل ذلك بسبب

الاختلاف في تفسير «لا رضاع بعد فطام».

السادس: ما جاء في رواية بريد بن معاوية من أنه قال: «إن رجلا مات وأوصى إلى والي آخر أو إلى رجلين، فقال: أحدهما خذ نصف ما ترك، وأعطني النصف مما ترك، فأبى عليه الآخر، فسألوا أبا عبد الله عليه السلام عن ذلك، فقال: ذلك له»^(٦٤).

اختلف في المراد من قوله: «ذلك له» فالشيخ الصدوق يرى أن المراد هو جواز القسمة لتعلق اسم الإشارة بالقسمة، وبناء على ذلك فإنها تعارض مكتوبة محمد بن الحسن الصفار حيث كتب إلى أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام: «رجل أوصى إلى رجلين أيجوز لأحدهما أن ينفرد بنصف التركة والأخر بالنصف ؟ فوقع عليه السلام: لا ينبغي لهم أن يخالفوا الميت ويعملان على حسب ما أمرهما إن شاء الله». قال: وهذا التوقيع عندي بخطه عليه السلام^(٦٥).

ولذا عقب الصدوق على رواية بريد بن معاوية بقوله: «لست بهذا الحديث بل أفتني بما عندي بخط الحسن بن علي عليه السلام»^(٦٦).

وأما الشيخ الطوسي فيرى بأن اسم الإشارة يتعلق بإباء الآخر وامتناعه عن القسمة، وعلى ذلك لا تنافي بين الخبرين، قال الشيخ مناقشاً الشيخ الصدوق لتعقيبه على رواية بريد بن معاوية: «ذكر أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه(رحمه الله): أن هذا الخبر لا أعمل عليه، ولا أفتني به، وإنما أعمل على الخبر الأول، ظنا منه أنهما متفايان، وليس الأمر على ما ظن، لأن قوله عليه السلام: «ذلك له» ليس في صريحه أن ذلك للطالب الذي طلب الاستبداد بنصف التركة، وليس يمتنع أن يكون المراد بقوله: «ذلك له» يعني الذي أبى على صاحبه الاتقىاد إلى ما يريده، فيكون تلخيص الكلام أن له أن يأبى عليه ولا يجيب مسألته وعلى هذا الوجه لا تنافي بينهما على حال»^(٦٧).

واستصوب الفيض الكاشاني دلالة روایة بريد على المنع كالمكتوبة^(٦٨).

السابع: اختلفوا في معنى التغني بالقرآن الذي جاء في روایة للنبي ﷺ حيث قال: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن»^(٦٩)، ففسره الشيخ الصدوقي بالاستغناء به^(٧٠)، وذهب أكثر العلماء -على نقل الطبرسي^(٧١)- إلى أن المراد تحسين الصوت وممن ذهب إلى ذلك المحدث الكاشاني في تفسيره^(٧٢).

الثامن: اختلفوا في معنى تفسير القرآن بالرأي التي نهت عنه جملة من الروايات^(٧٣)، فذهب الأمين الإسترآبادي إلى أن المعنى هو تفسير القرآن بغير كلام المعصوم، فلذا منع من الاستدلال بالظواهر القرآنية على الأحكام من غير ورود تفسيرها من أهل العصمة علیه السلام^(٧٤)، بينما ذهب الفيض الكاشاني إلى أن المراد من التفسير بالرأي أحد معنيين:

الأول: أن يتأول المفسر القرآن ويفسّره على وفق رأيه وميل طبعه وهواد حتى يحتاج على تصحيح غرضه ومدعاه ولو لم يكن له ذلك الرأي لم يفسر القرآن بذلك التفسير.

الثاني: أن يتسرّع المفسر إلى التفسير بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن^(٧٥).

وقام المحدث الكاشاني بالرد على الإسترآبادي وعرض به في جملة من مصنفاته منها الأصول الأصلية^(٧٦) وتفسيره الصافي، قال في تفسيره: «إن من ذمم أن لا معنى للقرآن إلا ما يترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه، وهو مصيب في الأخبار عن نفسه، ولكن مخطئ في الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التي هي حده ومقامه بل القرآن والأخبار والأثار تدل على أن في معانٍ القرآن -لأرباب الفهم- متسعًا بالفأً ومجالًا رحبًا...»^(٧٧)

وبهذه الشواهد يتضح بأن دعوى أن الاختلاف الواقع بين الأخباريين

خارجية عن الاختلاف في الفهم، وإنما هي لاختلاف الروايات دعوى في غاية السقوط على أن الشواهد لا تحصر بما قدمناه، من هنا قال صاحب الحدائق في رده على الإسترآبادي: «فادعاء توافق الأفهام عند الأخباريين خاصةً من بين الأنام أمر يكذبه البيان، ويشهد ببطلانه الإنس والجان، وبذلك يظهر لك ما في دعواه بقطعية دلالة الأخبار بمعونة القرائن التي ذكرها»^(٧٨)

الجهة الثانية: اعتماد المحتددين الاستنطاطات الظنية

ما ادعاه من كون المحتهدين يعملون بالاستنباطات الظننية وهي ليست بحججة،
أجابه صاحب المدائق بفad ما يلى:

أولاً: إنما الاختلاف في الاصطلاح ولا مشاحة في الاصطلاح، وذلك أن الاختلاف في نوع فهم أدلة الكتاب والسنّة على الغالب بين الأصوليين والأخباريين يرجع في حقيقته إلى الاختلاف في التسمية ، ولذا فإنهم جميعاً يشتركون في كثير من الأدلة التي يستدلّون بها على الأحكام، كما يتفقون كثيراً في الأحكام المستفادة من تلك الأدلة غير أن الأخباريين يسمونه استدلالاً قطعياً والأصوليين يسمونه استدلالاً ظنّياً ولكنّه حجة، قال: «قد يدعى أن ما يفهمه (٧٩) وهذا من حذوه يُسمى علمًا لا ظنّاً، وسائر المجتهدين يطلّون عليه الظنّ، فإنّ نرى الأخباريين والمجتهدين مشتركين في استفادة جملة من الأحكام من الكتاب والسنّة، ولكن أحدهما يدعى كون ما فهمه واستفاده معلوماً محققاً، ويسميه علمًا، والآخر يسميه ظنّاً. وحينئذ فقصاري غلط المجتهدين في التسمية خاصة، وهو لا يوجب قدحاً ولا تشنيعاً» (٨٠).

فاستناد المجتهدين في فتواهم إلى ما استظهروه من الكتاب والسنة كاستناد المحدثين في فتواهم إلى الكتاب والسنة، غاية الأمر أن المجتهدين يطلقون عليه استظهارا ظنيا لكنه حجة أو استنباط صحيح، والمحدثين لا يطلقون عليه ذلك.

ثانياً: إن الاستنباطات الظنية التي يعتمدها المجتهدون إنما منشئها يرجع إلى السنة، وأن اختلافهم في تأسيس مبني الاستنباطات يرجع إلى مدى اختلافهم في فهم السنة كما هو اختلافهم في بناء الاستدلال، وإذا كان المنشأ يرجع إلى فهم السنة فلا معنى للطعن على المجتهدين بأنهم عملوا باستنباطات تختلف عن الكتاب والسنة، فكيف يصح ما يدعوه من أن هذه الاستنباطات لم يأذن الله فيها، قال صاحب المذايق في ردِه: «وهذه الاستنباطات الظنية التي يكررها في غير مقام ويشتّع بها على سائر العلماء الأعلام ليست إلا عبارة عمّا ذكرنا من النظر في الدليل بما رزقه من العقول والأفهام، والعمل بما فهموه من ذلك الدليل من نقض وإبرام»^(٨١).

وبما أن صاحب المذايق يرى انحصر الدليل الشرعي بالكتاب والسنة، فإنه يوافق الإسترآبادي في خصوص اعتماد المجتهدين في استنباطاتهم على غير الكتاب والسنة^(٨٢).

وعلى كل حال فكما أن المجتهدين يختلفون في الاستنباط لاختلافهم في استظهار الأحاديث والآيات فكذلك المحدثين يختلفون في الفتوى لاختلافهم في فهم الأحاديث والآيات، وليس الاستنباط المستند إلى الاستظهار من الكتاب والسنة الذي قامت عليه الحجة شيئاً يختلف عن فهم الأحاديث، فكما أن اختلاف فهم المحدثين لبعض الآيات والروايات يوجب اختلافهم في الفتوى، فكذلك استظهارات المجتهدين إذا اختلفت في بعض الموارد أو جبت اختلافهم في الفتوى، فلا صحة للقول بأن اختلاف المجتهدين يختلف عن اختلاف المحدثين حيث يستند اختلاف المجتهدين إلى استنباطاتهم الظنية إذا كان استنباطاً من الكتاب والسنة.

الجهة الثالثة دليل حرمة الاستنباطات الظنية

في ما ذكر الأمين من أدلة على حرمة الاستنباطات من كون المفتى بالاستنباطات يلحقه وزر من عمل بفتواه وأنه هو المقصود في جملة من الروايات^(٨٣) الدالة على حرمة الإفتاء بغير علم، ومنها صحيحة أبي عبيدة الحذاء عن أبي جعفر ع عليهما السلام قال: «من أفى الناس بغير علم ولا هدى لعنته ملائكة الرحمة، وملائكة العذاب، وللقه وزر من عمل بفتياه»^(٨٤).

ومن أن قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾^(٨٥) يشمل المفتى بالاستنباطات، فأجابه بالنسبة إلى الروايات أن المراد من الإفتاء بغير علم ليس هو الإفتاء مع عدم العلم الوجданى للحكم الواقعي بل هو الإفتاء مع عدم مراعاة القواعد الشرعية في استنباط تلك الفتوى، قال: «فاما ما ذكره من الأخبار الدالة على أن المفتى ضامن ويلحقه وزر من عمل بفتياه فالظاهر حمله على من تجاوز الأوامر الشرعية وتعدى الحدود المقررة المرعية، إما بعدم إعطاء الواسع حقه من التتبع فيما يضاف إلى ذلك الدليل من مقيد، أو مخصوص، أو ناسخ، أو نحو ذلك مما يدخل في هذا القبيل، أو بأخذ الأحكام بطريق الرأي والقياس المنهي عنه في الأخبار، أو البناء على بعض القواعد الأصولية والضوابط الخارجة عن أدلة الكتاب والسنة، وإلا فمن أخذ الأحكام من الكتاب بعد بذل الجهد في الفحص والتتبع لما يتعلّق بها، وأداء فهمه إلى شيء منها كيف يكون مؤاخذاً لو فرض قصور فهمه ونقصان ذهنه عن معرفة الحكم الواقعي، وقد أتى بما أمر به وامتثل ما رسم له؟»^(٨٦).

وأما الآية التي استشهد بها الأمين في المقام فإنها فلا تدل على أن من أخذ بظواهر الكتاب والسنة فإنه حكم بغير ما أنزل الله تعالى، بل المعنى كما في بعض التفاسير هو أن من يحكم بغير ما أنزل الله وهو عالم بحكم الله أو بطريقه ومع ذلك

لم يحكم بحكم الله بل أخفاه وحكم بحكم آخر^(٨٧)، ويؤيد هذا التفسير أن مورد الآية هم اليهود الذين عندهم حكم الله ويعرّفونه ومع ذلك لم يحكموا بحكم الله لبعض المصالح الشخصية، واحتُمل صاحب المدائن أن المراد من (ومن لم يحكم بما أنزل الله) من لم يستند في حكم ما أفتى به أو في حكم ما حكم به إلى ما أنزل الله من آية أو سنة فلا تشمل من استظره الحكم من الكتاب والسنة، لأن حكمه يستند إلى الكتاب والسنة، نعم من استند في حكمه إلى القياس أو إلى الآراء فتشمله الآية الكريمة^(٨٨).

المواهش:

- (١) معجم الأصول للشيخ صنفور، ص ٧٢٣ - ٧٢٤.
- (٢) فرائد الأصول، ج ١، ص ٥٥.
- (٣) الدرر النجفية، ج ١، ص ٣١٧.
- (٤) الكافي، ج ١، باب اختلاف الحديث، ص ٦٨؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، باب الاتفاق على العدلين في الحكومة، ص ١٠؛ وج ٤ منه، باب دية جوارح الإنسان ومفاصله، ص ٧٥.
- (٥) سورة يونس، آية ٣٦.
- (٦) سورة الإسراء، آية ٣٦.
- (٧) الكافي، ج ١، باب النهي عن القول بغير علم، ص ٤٢، ح ٣؛ وفي ح ٧ منه، باب أخذ الأجرة والرشا على الحكم، ص ٤٠٩، ح ٢؛ وسائل الشيعة، ج ٢٧، باب عدم جواز القضاء والافتاء بغير علم، ص ٢٠، ح ١.
- (٨) الكافي، ج ١، ص ٤٢، ح ٢، الخصال للصدوق، ص ٥٢، ح ٦٦، تحف العقول، ص ٣٦٩.
- (٩) وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٣١ - ٢٠، الباب الرابع من أبواب صفات القاضي.
- (١٠) انظر الدرر النجفية، ج ١، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.
- (١١) بحار الأنوار، ج ٢، ص ٨٤.
- (١٢) الحاسن، ج ١، ص ١٦٥؛ وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ٥٠؛ الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج ١، ص ٥٥٤.

- (١٣) الكافي، ج ١، في خطبة الكتاب، ص ٧؛ تصحيح اعتقادات الشيعة، ص ٧٢؛ روضة الوعاظين، ص ٢٢؛ الحاشية على أصول الكافي، ص ٣٨؛ شرح أصول الكافي، ج ١، ص ٥٢.
- (١٤) كمال الدين وقام النعمة، ص ٣٢٤؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ٣٠٣.
- (١٥) الكافي، ج ٢، باب تذكرة الأخوان، ص ١٨٦، ح ٢؛ وسائل الشيعة، ج ٦، باب استحباب تذكرة فضل الأئمة، ص ٣٤٦، ح ٣.
- (١٦) الكافي، ج ١، باب البدع والرأي والمقاييس، ص ٥٧، ح ١٥؛ بصائر الدرجات، ص ١٦٧، وص ١٧٠.
- (١٧) روضة الكافي، ص ٦؛ بحار الأنوار، ج ٧٥، ص ٢١٤.
- (١٨) الفوائد المدنية، للمحدث الإسْتَرِ آبادِي، ص ٣١٤-٣١٧.
- (١٩) الدرر النجفية، ج ٢، ص ١٠.
- (٢٠) إما القطع بأنه حكم الله في الواقع، أو القطع بورود الحكم عن الأئمة عليهم السلام وإن لم يستلزم القطع بكونه حكم الله في الواقع، وتقدم منه في تحرير ما اختاره في العمل بالأخبار قوله: صريح كلام رئيس الطائفة فتى أنه لا يجوز العمل بخبر لا يوجب القطع بما هو حكم الله في الواقع أو حكم ورد عنهم عليه السلام ويجوز العمل بخبر يوجب القطع بورود الحكم عنهم عليه السلام وإن لم يوجب القطع بما هو حكم الله في الواقع. الفوائد المدنية، ص ١٤٥.
- (٢١) الفوائد المدنية، ص ٣١٤-٣١٥.
- (٢٢) الدرر النجفية، ج ٢، ص ١١، ذكر عبارة قريبة منها مع شرح أكثر في ج ١، ص ٣١٨.
- (٢٣) الدرر النجفية، ج ٢، ص ١٠.
- (٢٤) بصائر الدرجات، ص ٣٤٩، ح ٦؛ الاختصاص للمفید، ص ٢٨٨؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٩٩.
- (٢٥) معاني الأخبار للصدق، في الباب الذي عقده لسبب تسمية كتابه معاني الأخبار، ص ١، ح ١؛ وسائل الشيعة، ج ٢٧، ص ١١٧، ح ٢٧؛ الفصول المهمة في أصول الأئمة، ج ١، ص ٥٧٣، ح ٢؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٨٤.
- (٢٦) معاني الأخبار، ص ٢، ح ٣؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٨٤؛ مستدرک سفينة البحار، ج ٧، ص ١٧٢.
- (٢٧) بصائر الدرجات، ص ٣٤٩؛ الاختصاص، ص ٢٨٨؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٩٨، ح ٥٣.

- (٢٨) بصائر الدرجات، ص ٣٤٩، ح ٥، وص ٣٥٠، ح ١٤.
- (٢٩) بصائر الدرجات، ص ٣٤٨، ح ١، وص ٣٤٩، ح ٧ - ١٠، ١٣ - ١٥؛ الاختصاص، ص ٢٨٧؛ مناقب آل أبي طلب، ابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٧٣؛ بحار الأنوار، ج ٤٧، ص ٣١؛ الأنوار البهية، ص ١٥٢.
- (٣٠) بصائر الدرجات، ص ٣٤٧، ح ٢؛ الاختصاص، ص ٢٨٨؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٩٧، ح ٥٠.
- (٣١) بصائر الدرجات، ص ٣٤٩؛ بحار الأنوار، ج ٢، ص ١٩٨.
- (٣٢) أنسُر الدرر النجفية، ج ٢، ص ١١ - ١٤.
- (٣٣) الحاسن، ج ١، ص ١٩٥، ح ١٧؛ الكافي، ج ١، ص ٢٣، ح ١٥، وج ٨، ص ٢٦٨، ح ٣٩٤؛ أمالى الصدوق، ص ٥٠٤؛ تحف العقول، ص ٣٧؛ مختصر بصائر الدرجات، ص ١٥٤.
- (٣٤) الدرر النجفية، ج ٢، ص ١٠.
- (٣٥) المائدة، آية ٤٤.
- (٣٦) الكافي، ج ١، ص ٢١٠ - ٢١٢، ح ١ - ٩، باب أن أهل الذكر الذين أمر الله... الخلق بسؤالهم على الأئمة عليهما السلام.
- (٣٧) الكافي، ج ١، ص ٦٨، ح ١٠، باب اختلاف الحديث؛ عوالي الالى، ج ٤، ص ١٣٣ - ١٣٥، ح ٢٣٠ - ٢٣١.
- (٣٨) الدرر النجفية، ج ٢، ص ١٤.
- (٣٩) الدرر النجفية، ج ٢، ص ١٤ - ٢٢.
- (٤٠) تهذيب الأحكام، ج ١، باب صفة الوضوء، ص ٨٠، ح ٥٨؛ الاستبصار، ج ١، باب عدد مرات الوضوء، ص ٧٠، ح ٦.
- (٤١) تهذيب الأحكام، ج ١، باب صفة الوضوء، ص ٨١، ح ٦٠ الاستبصار، ج ١، باب عدد مرات الوضوء، ص ٧٠، ح ٧.
- (٤٢) من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب صفة وضوء رسول الله ﷺ، ص ٣٨، ح ٧٧.
- (٤٣) الكافي، ج ٣، باب صفة الوضوء، ص ٢٧، تعقيباً على ح ٩.
- (٤٤) من لا يحضره الفقيه، ج ١، باب صفة وضوء رسول الله ﷺ، ص ٣٩، تعقيباً على ح ٨٠.
- (٤٥) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣٨.

- (٤٦) تهذيب الأحكام، ج ١، باب صفة الوضوء، ص ٨٠، تعقيباً على ح ٥٨، ح ٥٩؛ الاستبصار، ج ١، باب عدد مرات الوضوء، تعقيباً على ح ١٤، وح ١٥.
- (٤٧) الوفي، ج ٦، ص ٤١٧، وص ٣٢٠ - ٣٢١.
- (٤٨) الكافي، ج ٧، ص ٨٨، ح ١، وح ٤؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٤، باب ميراث ولو الولد، ص ٢٦٨، ح ٥٦١٨.
- (٤٩) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، باب ميراث الأئتين مع الولد، ص ٢٦٩، وقريب من العبارة في المقنع، ص ٤٩٠، وفي الهدایة، ص ٣٣٠ - ٣٣١.
- (٥٠) نقل قوله الكليني في الكافي، ج ٧، ص ٨٨، ورد عليه الصدوق في من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٧٠.
- (٥١) التهذيب، ج ٩، ص ٣١٦ - ٣١٧؛ الاستبصار، ج ٤، ص ١٦٨.
- (٥٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٦٢، ح ٥٦١٢؛ تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ٢٩٥، ح ١٥؛
- (٥٣) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٦٢.
- (٥٤) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٦٣، ح ٥٦١٣.
- (٥٥) تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ٢٩٥.
- (٥٦) الوفي، ج ٢٥، ص ٧٧٢.
- (٥٧) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٣١٧؛ وسائل الشيعة، ج ٦، ص ٢٨٩، ح ٢.
- (٥٨) دعائم الإسلام، للقاضي الغربي، ج ١، ص ١٧٢؛ مستدرك الوسائل، ج ٥، ص ٤١٨؛ جامع أحاديث الشيعة، ج ٥، ص ٥١٢.
- (٥٩) الحدائق الناضرة، ج ٨، ص ٣٧١ - ٣٧٢؛ الدرر النجفية، ج ٢، ص ١٨.
- (٦٠) كتاب التوادر لأحمد بن عيسى الأشعري، ص ٢٦، ح ١٧؛ الكافي، ج ٥، باب أنه لا رضاع بعد فطام، ص ٤٤٣، ح ١ - ٥؛ دعائم الإسلام للقاضي الغربي، ج ٢، ص ٢٤١؛ من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣٧٦.
- (٦١) حکی قول ابن بکیر الشیخ فی التهذیب، ج ٧، باب ما یحرم من النکاح من الرضاع، ص ٣١٨، تعقیباً على ح ١٩، وفي الاستبصار، ج ٣، ص ١٩٨، باب مقدار ما یحرم بالرضاع، تعقیباً على ح ١٩.
- (٦٢) الكافي في الفقه للحلبي، ص ٢٨٥؛ غنية النزوع لابن زهرة، ص ٣٣٥

- (٦٣) الوسيلة، ص ٣٠١؛ مختلف الشيعة، ج ٧، ص ١٤.
- (٦٤) الكافي، ج ٧، ص ٤٧، ح ٢؛ الاستبصار، ج ٤، ص ١١٨، ح ٢؛ تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٨٥، ح ٤.
- (٦٥) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٠٣، ح ٥٤٧١؛ الكافي، ج ٧، ص ٤٦، ح ١؛ تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٨٥، ح ٣. الاستبصار، ج ٤، ص ١١٨، ح ١.
- (٦٦) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ٢٠٣.
- (٦٧) تهذيب الأحكام، ج ٩، ص ١٨٥ - ١٨٦؛ الاستبصار، ج ٤، ص ١١٨، أقول لا يبعد أن الشيخ إنما حمل روایة برید على المكتوبة لكون المكتوبة أكثر ظهوراً، وهذا لا يمنع من التنافي في الظهورين وإنما رفع اليد عن ظاهر روایة برید حملاً للظاهر على الأظهر.
- (٦٨) الوافي، ج ٢٤، ص ١٧٢.
- (٦٩) معاني الأخبار، ص ٢٧٩؛ الجازات النبوية للرضي، ٢٣٤؛ أمالى السيد المرتضى، ج ١، ص ٢٤ - ٢٥؛ شرح أصول الكافي للمازندرانى، ج ١١، ص ٢٩؛ مستدرک الوسائل، ج ٤، ص ٢٧٣ - ٢٧٤.
- (٧٠) معاني الأخبار، ص ٢٧٩.
- (٧١) تفسير مجتمع البيان، ج ١، ص ٤٦.
- (٧٢) التفسير الصافى، ج ١، ص ٧٢.
- (٧٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧ - ١٨.
- (٧٤) الفوائد المدنية، ص ٣٥٦.
- (٧٥) تفسير الصافى، ج ١، ص ٣٦ - ٣٧.
- (٧٦) الأصول الأصيلة، ص ٣٦ - ٤٤.
- (٧٧) تفسير الصافى، ج ١، ص ٣٥ - ٣٦.
- (٧٨) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٢٣.
- (٧٩) يعني الأمين الإسترآبادى.
- (٨٠) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٢٥ - ٢٦؛ ونظر ج ١، ص ٣٢٠ - ٣٢١.
- (٨١) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٢٥.
- (٨٢) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٢٦.

الله
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- (٨٣) الكافي، ج ١، باب النهي عن القول بغير علم، ص ٤٢-٤٣؛ دعائم الإسلام، ج ١، ص ٩٦-٩٧.
- (٨٤) عيون أخبار الإمام الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَرَّأُ، ج ١، ص ٥١؛ التهذيب، ج ٦، ص ٢٢٣.
- (٨٥) سورة المائدة، آية: ٤٤.
- (٨٦) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٢٦.
- (٨٧) تفسير التبيان، ج ٣، ص ٥٣٤؛ تفسير مجمع البيان، ج ٣، ص ٣٤٢؛ تفسير الميزان، ج ٥، ص ٣٤٣-٣٤٤.
- (٨٨) الدرر النجفية، ج ٢، ص ٢٦-٢٧.



عروج روح... ويتيم أمّة

محمد صالح رضي

أُخْلَاقٌ عَالِيَّة، رُوحٌ مَنْفَتَحَة، حَنَانٌ أَبُوِي غَامِر.... يَفْسِرُ
اسْتِقْطَابَهُ وَجَاذِبَيْتَهُ لِلنُّفُوسِ مِنْذُ أَوْلَى وَهَلَةٍ مِنْ رَؤْيَاِتِهِ.
عِلْمٌ غَزِيرٌ، بَصِيرَةٌ نَافِذَةٌ، كَرَامَاتٌ باهِرَةٌ.... تُفْصِحُ عَنْ
قَرْبَهِ مِنَ اللَّهِ وَعِرْفَانِهِ.

هَدْوَةٌ وَطَمَانِيَّةٌ وَابْتِسَامَةٌ، تَسْخِيرٌ لِلنَّفْسِ فِي سَبِيلِ
قَضَاءِ حَوَائِجِ الْمُؤْمِنِينَ وَحْلٌ مَشَاكِلَهُمْ، إِحْسَانٌ وَرَأْفَةٌ
بِالْفَقَرَاءِ.... تَكْشِفُ عَنْ مَوَاسِيَّتِهِ لِلنَّاسِ وَإِحْسَاسِهِ بِهِمْمَهِمْ.
تَلْكَ هِيَ بَعْضُ مَلَامِحِ شَخْصِيَّةِ الْفَقِيدِ الْعَزِيزِ، فَقِيدِ الْعِلْمِ

وَالْتَّقْوَى سَمَاحَةً آيَةَ اللَّهِ الْعَظِيمِ الْمَرْجَعُ الدِّينِيُّ وَالْأَبُو الرُّوحِيُّ السَّيِّدُ مُحَمَّدُ مُفتَقِي
الشِّيعَةِ الْمُوسَوِيِّ الْأَرْدَبِيلِيِّ (قَدَّسَ اللَّهُ نَفْسَهُ الزَّكِيَّةَ)^(١)، وَالَّذِي وَقَعَ نِيَّاً رَحِيلَهُ

كالصّاعقة على قلوب محبّيه في ذلك اليوم من ظهر الأربعاء الأليم...
حين عرجت روحه النّورانية إلى عالم الملائكة الأعلى تاركة عالم الظلام
المادي، لينام قرير العين -بعد عطائه الجمّ- في روضة كريمة أهل البيت عليهما السلام مع
عمّته سيدة سادات قم ومنبع الف gioضات والبركات... وكفى بذلك شرفًا.
حقًّا إنَّ فقده ليعدُّ خسارةً كبيرةً لحاضرة العلم... وثلمةً كبرى في صرح
المجتمع الإيماني. فقد فقدنا برحيله علمًا بارزاً من أعلام التشيع ومفخرةً لرجاله
وقدوةً بارزةً في التقوى والأخلاق... فيصعب سدُّ الفراغ الذي تركه تَبَّعُّ.

وإيَّي إذ أكتب هذه الكلمات أودّ أن أذكر النذر اليسير من ملامح هذه
الشخصية والتي جهلها الكثير من الناس وقصر البعض في الاستفادة منها في حين
أنَّها كانت متاحةً للجميع.

وقد نشأت في قلبي للسيد تَبَّعُّ علاقة ومحبة خاصة حيث توَّقْفتني شخصيته
وبهرتني أخلاقه وسماته الخاصة التي يحملها وهي تعدُّ نبراساً حريًّا أن نقتدي بها.
ولا تزال هذه الصورة مرتسمةً في ذهني وذلك في لقائي الأخير به عندما قام
على قدميه لاستقبال شخص مثلِّي! وهو يرحب مبتسما، جلست بجانبه سائلاً
إياه عن مسألة أخلاقية فأنصت لها ثم قال وهو يهمس في أذني: تعال غداً عصراً
وسأجيب على مسائلكم. ولكنني لم أعلم سبب عدم إجابته فاعتقدتُ أنَّه يُريد
أنْ يبسط في المخاب لذا قد أجهَّلها للغد، فأردفت بسؤال آخر أسهل لاغتنام
الفرصة، فأنصت للسؤال ثم قال لي بكل عطف وحنان: هذا أيضاً أجيب عليه
غداً، وبعد ذلك تبيَّن لي سبب تأجيل الإجابة أنَّ شقيقته قد انتقلت لجوار ربه
وقتذاك، حيث أنَّ المؤمنين الذين كانوا في المجلس جاءوا لمواساته وتعزيته...
فتملَّكتني حينها دهشة من خلقه الكريم حيث لم يشعرني بما هو فيه من مصاب
وإلا لصرت في حرج شديد.

وكم تأسفت أني لم أفع بوعدي لأنني لم أتمكن من الحضور في اليوم التالي ولم أعلم أن ذلك اللقاء هو آخر لقاء يجتمعني به في دار الدنيا وأن عالم الملوك كان في انتظاره وبعد أيام سيستبشر بلقائه...

سلام عليك أيها الأب الحنون المربى العطوف يوم ولدت مباركاً، وعشت عملاً ومجاهداً، ويوم عرجت روحك لبارئها سعيدةً مطمئنةً، ويوم تبعث في زمرة أجدادك الطاهرين مسروراً.

فلا تنسى أبداً أخلاقك السامية وعطاءاتك الكثيرة التي لا تزال حيةً في قلوب من عرفوك...

وإليك بعض مميزات شخصيته المعطاءة حصرتها في ثلاثة أبعاد:-

١- قضاء الحاجات:

كان سماحته يفتح مكتبه بشكل يومي في أوقات متعددة لاستقبال وفود المؤمنين بكل رحابة صدرٍ وعلوٌ همة لقضاء حاجتهم. والأعجب من ذلك أنه يصرف الكثير من وقته الثمين في ذلك!!!

ولعل هذا من أبرز ما يميز شخصية مرجعنا الراحل قده ولهذا كان قبلة الكثير من المؤمنين من الإيرانيين والعرب بختلف أجنبائهم فيستقبل الكل بسوقٍ واهتمامٍ، ويبذل كل ما يملك من أجل مساعدتهم.

وتتميز شخصيته قده بأن الكل يستطيع الجلوس معه فلم يجعل حاجزاً ولا حاجباً بينه وبين الناس ب مختلف مستوياتهم.

فهو يجيب على كل مسائل قاصديه، الفقهية منها والعقائدية والأخلاقية وغيرها من دون استثناء، مع بساطة بعض الأسئلة التي يمكن أن يجيب عليها صغار الطلبة، وهو كذلك موضع استشارة وإرشاد وتوجيه في مختلف الحالات والعلوم، وبعبارة مختصرة: إن فقييدنا "موسوعة شاملة".

كل ذلك لم يشغله ولم يمنعه من إلقاء دروسه في البحث الخارج فقهًا وأصولًا،
مضافًا إلى دروسه في الفلسفة والعرفان -التي استمر فيها حتى آخر عمره-
والإجابة على الاستفتاءات في جلسته الخاصة لذلك.

٢- الأخلاق العالية:

وفي هذا الجانب يتبوأ سيّدنا المقدّس الدرجة العالية من الأخلاق بترت
جليليةً في شخصيّته فتسامي بها، وهذا ما زاده على مرجعيته عظمةً ورقةً، هي
تلك الأخلاق التي لم يُبعث جده ﷺ إلا ليتمّها في عالم الوجود... نعم هي
نفحاتٌ من أخلاق رسول الله ﷺ... حتّى إنَّ المرء ليخرج عندهما يأتي لزيارته
وتراه يقوم على قدميه بشيبيته البهية وجسمه المتعب؛ إجلالاً واحتراماً لكلّ أحد
بدون استثناء، والابتسامة مشرقةً على أسارير وجهه... ويبتديء بالسؤال عن
أحواله وأموره وهو يضع نفسه موضع الخدمة... وعن الخروج يتحرّك نحوك
باهتمام متمنياً عليك زيارته مستقبلاً وهو يشيعك بنظراته حتّى تصير إلى الباب.
هكذا كان يرحب قائم بضيوفه، وهكذا يبدأ جاهداً في أن يريهم اهتمامه
وترحبيه، حتّى أنه نقل عنه قبل بضعة أعوام عندما أصيب بكسر في رجله
فمنعه من كثرة الحركة، لم يأبه لذلك ولما قصده بعض الزائرين قام على قدميه
لاستقبالهم كعادته، فآلمه جرحه الذي لم يلتئم بعد، فوضعت له جبيرةً أخرى
لذلك!!!

ما أروعه خلقاً يذوب له الحبّ حياءً، ويلين له قلب العدوّ خضوعاً
واستسلاماً.

ولا يفوتنا عند الحديث عن خلقه تذكر أن نتوه بصفة التواضع التي قد استأثر
فيها بالحلّ الأعلى، ويتمسّ ذلك في موقف عدة، فتراه يقرّب الزائر من مجلسه لا
يأبه بالفاصل التي تفصل بين مرجع كبير وبين عامة النّاس... كما تراه حيناً آخر



قائماً من مجلسه ليخلو بأحدهم نزولاً عند رغبته في سماع السيد لمشكلته في غرفة خاصة معدّة لذلك، فيستمع لمشكلته بكل اهتمام ليعطيه الحل الناجع إلى ما ألم به من مشكلٍ.

إن إيمان سيدنا المفتى بضرورة مواساة الإخوان وما لها من الأجر عند الله حقيقةٌ حاضرةٌ في وجدانه وتمثلةٌ في سلوكه فهو المواسي لأهل المصائب المعين للقراء محسناً إليهم بقدر الوسع، بل كان جوده وكرمه يتدفق إلى أكثر من ذلك ليشمل عموم الناس من غير القراء بعنوان آخر كبذله المال إلى زوار الإمام الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ الْمُبَارَكُ لِكُلِّ مَنْ عَلِمَ مِنْهُ أَنَّهُ قاصِدًا لِتَكَ الْمَدِيَارِ الْمَقَدَّسَةِ.

٣- الانقطاع إلى الله:

يعيش السيد مقام العبودية لله بمدوامة الذكر وحقيقة الإخلاص... مما يجعله قريباً من ساحة القدس وعالم المعنى فهو من تلامذة المرجع العارف السيد عبد الأعلى السبزواري قديس في الأذكار، كما تتلمذ على يدي غيره من الأولياء. ويكفيك في ذلك ما ظهر في حياته من كرامات باهرة نقلها مرتدوه، والتي تدل على اتصاله وقربه منه جل شأنه وهو سبحانه وتعالى - القائل في الحديث القدس: «يا بن آدم ، أنا أقول للشئ كن فيكون ، أطعني فيما أمرتك ، أجعلك تقول للشئ كن فيكون»^(٢).

ولا عجب من شخصية بذلت كل الجهد في ترويض النفس ومعارضة الهوى والوقوف عند الشبهات أن تظهر لها بعض الكرامات التي هي غير بعيدة عن أولياء الله.

وهذه رشحات من بعض ما يذكر عن سيدنا المرحوم:

أ- أراد أحد الطلبة الرجوع إلى بلده من أجل أن يكون قريباً من والديه الكبار في السن، فذهب ليستشير السيد، فلما دخل عليه بادره السيد بالقول:

أجلس لطلب العلم ولا تغتم لأمر والديك. هذا مع العلم بأن القاصد لم يُخبر السيد عن أمره مسبقاً.

ب- ويذكر بعضهم أن أحد الزوار البحرينيين قصده بشأن استشارته في طريق طلب الذرية التي حرم منها، فأرشده السيد نديم بأن يتوجه إلى مشهد الإمام الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ ويزوره بهذه الكيفية: أزور سيدي ومولاي الإمام علي بن موسى الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ لقضاء الحاجة المكنونة في قلبي، المخفية في ضميري لنديها قربة إلى الله تعالى. وبعد ذلك يقرأ الزيارة المأثورة ثم يصلّي ركتتين، وبعد تسبيح الزهراء عَلَيْهِ الْكَلَمُ يهدي ثواب الزيارة والركعتين إلى الإمام الحجّة عَلَيْهِ الْكَلَمُ ويطلب من الله قضاء الحاجة التي نواها.

فذهب الرجل وفعل ذلك... وبعدها بعدها بعده رزقه الله بولود أسماء "عبد الرضا" جاء به إلى قم المقدسة في السنة التالية وزار السيد وأخبره بما حصل... ثم التقى صورةً مع السيد والابن المولود ليكون تذكاراً وعرفاناً بفضل السيد عليه، فقال له السيد نديم: هذا بفضل الإمام الرضا عَلَيْهِ الْكَلَمُ لا بفضلي أنا.

ج- ويروي أحدهم حادثة عن بعض الزوار الحجازيين أنه قصده مع زوجته في مكتبه القديم (خلف منتدى جبل عامل اللبناني) رجاء أن يكتب له ذكراؤ أو حرزاً لتنجب زوجته أولاداً، فأخبره السيد بأن كتابة الأحراز لا تتناسب مع حال المرجعية فالسيد قبل أن يطرح مرجعيته كان يكتب الأحراز للكثيرين - فاقتصر عليهم ابن السيد بأنه توجد شجرة تين في البيت، فاقطظفوا شيئاً من ثمرها وأتوا به للسيد ليقرأ عليها أذكاراً، ثم يأكله صاحب الحاجة بقصد الشفاء، ففعلوا ما أوصاهم به نجل السيد وتناولت المرأة من ذلك التين فصار فيه الشفاء وحصلت الغاية المرجوة.

د- أخبرني بعض طلبة العلم أنه استشاره في نزوله لعيادة أمه التي كانت

المواهش:

(١) هو السيد محمد بن السيد محمد تقي بن السيد مرتضى وينتهي نسبه إلى السيد إبراهيم الأصغر الملقب بالمرتضى ابن الإمام موسى بن جعفر عاش عليهما السلام المرجع الراحل في أرديبل في العاشر من شهر رجب عام ١٣٤٧هـ وكان والده السيد محمد تقي الأرديبيلي من

مريضة مخافة أن يمنعه غيابه عنها من رؤيتها قبل وفاتها، فقال له السيد قيثر: كنت أيام شبابي في غربتي لطلب العلم بعيداً عن الأهل فتوفيت والدتي ولم أتمكن من الوصول إليها إلا في أيام العزاء في أرديبل... فعلم الطالب من خلال معاشرته للسيد أنه كان يلمح إلى أنه لن يدرك أمه. وفعلاً بعد يومين من إخبار السيد توفيت والدته ولم يتمكن من السفر سريعاً بسبب تأخر الإجراءات فوصل بعد انتهاء العزاء.

هـ- كما يذكر بعض الطلبة أنه قيثر كان يقول للطلبة: إذا أردتم الرجوع لبلادكم فزوروني قبل يوم أو يومين، فإذا جاءوه أعطاهم بعض النصائح، فيرون ثراثها متحققة على أرض الواقع، ومن ضمنها قوله لأحدهم: ربما تتعرض للمساءلة والامتحان من أحد الأطراف في عودتك، وفي ليلة عودته لبلده رأه أحد أقربائه فسأله عن بعض ما درس في الحوزة، وأطال في الأخذ والرد، وعند إقام الإجابات تذكر وصية السيد وشعر بأنه مشمول باللطف الخفي.

وـ وأخيراً نذكر هذه الحادثة عندما زاره بعضهم في آخر حياته يريد منه أن يقرأ بعض الأذكار على إحدى مكعبات السكر للشفاء كما هو المعتاد عند السيد، ففعل ذلك وكان هذا الشخص يتمنى في نفسه لو يبلُّ السيد قطعة السكر بريقه المبارك -على خلاف عادته- فنظر السيد قيثر حينئذٍ إليه ورمقه بعينيه وبليها بريقه مع أنه لا يفعل ذلك عادةً ولم يخبر صاحب الحاجة السيد بأمنيته... وبعد فترةٍ قائل للشفاء.



الراجع العظام (م ١٣٦١هـ)، وكذلك كان جده السيد مرتضى الأردبيلي عليه السلام.
كان سماحة المرجع الراحل معروفاً في بلده وأسرته منذ أيام الشباب بالورع والتقوى والعفة
واللتقوى، بدأ دراسته في أردبيل ثم هاجر إلى مدينة قم المقدسة عام ١٣٦٧هـ ومن ثم إلى
النجف الأشرف عام ١٣٧٤هـ وحضر عند السيد محسن الحكيم، والسيد محمود الشاهرودي
والسيد الخوئي والشيخ حسين الحلي عليه السلام، ثم رجع إلى أردبيل بطلب مجموعة من أهاليها
وموافقة السيد الحكيم، وبعد سنة ونصف تقريباً، رجع إلى النجف الأشرف، ثم في عام
١٣٩٦هـ أصدر النظام الباعثي قراراً بطرد العلماء والطلبة الأجانب من العراق، وأخذ المرجع
الراحل وسجين أياماً ثم أخرج من العراق، فذهب إلى قم المقدسة واستقر بها إلى حين
رحيله عليه السلام في يوم الأربعاء الخامس من شهر جمادى الثانية ١٤٣١هـ الموافق (١٩/٥/٢٠١٠م)،
وُدفن بجوار عمتة السيدة فاطمة المعصومة عليها السلام، فرحمه الله عليه، وحشره الله مع الأئمة
الطاهرين عليهم السلام.

(٢) مستدرك الوسائل، ج ١١، ص ٢٥٩.



Resalat Alqalam

Islamic, Enlightening & Comprehensive

- General Supervisor &
Executive Manager:
Abdulla Ali Al daqaq
 - Editor in Chief:
Aziz Hassan Salman
 - Editor in Director:
Abdulraoof Hassan Alrabia
 - Chairman of the Editorial Board:
Ghazi Abdulhassan
- Editorial Board:
- husain ali abu rwais
husain fuad Almarzooq
mohammed ali khatam
m.bager khalil Alshaikh



A Periodical Magazine Issued by the
Bahraini Students
of the Educational Hawza the
Holy City of Qom

